تفسیر قاضی بیضاوی

تفسیر قاضی بیضاوی

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا
فتحدى باقصر سورة وقر مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد
به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء
قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسب ما
عن لهم من مصالحهم ليتدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا
فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقايق ولطائف الدقايق
ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا القدس والجبروت ليتفكروا فيها
تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الايات والماعها
ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو
شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفأ
نبراسه يعش ذميما وسيصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود
ويا غاية كل مقصود صل عليه صلاة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى
من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك
كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا وبعد فان اعظم العلوم مقدارا
وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها
ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من
برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية
والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي بان اصنف في

روي عن ابن عباس انه قال لكل شيء اساس واساس القرآن فاتحة الكتاب واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين
ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة
استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه
القراءات المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين
الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام
حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما
قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التاويل
فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل
سؤل **سورة فاتحة الكتاب** وتسمى ام القران لانها مفتتحه ومبدؤه فكانها
اصله ومنشاؤه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء
على الله والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم
النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب
السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك
وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة
لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله هي شفاء
كل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد
التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال
ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد
صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي **بسم
الله الرحمن الرحيم** من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك
والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك

ولا وزاد ولم ينص ابو حنيفة فيه بشي فظن انها ليست من السورة عنده و
سئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى ولنا احاديث كثيرة
منها ما روى ابو هريرة انه عليه السلم قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولهن
بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرا رسول الله صلى الله عليه واله الفاتحة
وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية ومن اجلها اختلف في انها
اية براسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على
اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القران حتى لم يكتب امين والباء
متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرا لان الذي يتلوه مقروء وكذلك
يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدا له وذلك اولى من ان يضمر ابدا لعدم
ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا
اوقع كما في قوله بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص
وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف لا و
قد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه
لقوله عليه السلم كل امر ذي بال لم يبدا باسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة
والمعنى متبركا باسم الله اقرا وهذا وما بعده مقول على السنة العباد
ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسال من فضله وانما كسرت
ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت
لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينها وبين لام الابتداء
والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال و
بنيت اوايلها على السكون وادخل عليها مبتدا بها همزة الوصل لان
من دابهم ان يبتدوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على

واصله سمو وفي بعض التعابير استثقال الفعل منه ثم نقل حركة الواو الى الميم ثم سكون الميم الى السين فلما تعذر الابتدا بالساكن اوتي بهمزة الوصل للنطق فصار اسما

اسماء واسامي وسمي وسميت ومجي سمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك
سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من
السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم
حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة
لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال
باسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتالف
من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد
تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشي فهو المسمى
لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى تبارك اسم ربك المراد به اللفظ لانه
كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة
لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول
ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو راي الشيخ ابي الحسن الاشعري
انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس
هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة
بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة
الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض
عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق
والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه
من اله الاهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله و
قيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته او من الهت الى فلان
اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته

أو من أله إذا فزع من أمر نزل عليه وآلهه غيره أجاره إذ العائذ يفزع إليه وهو
يجيره حقيقة أو بزعمه أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه إذ العباد مولعون بالتضرع إليه
في الشدائد أو من وله إذا تحير وتخبط عقله وكان أصله ولاه فقلبت الواو
همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه فقيل إله كإعاء
وإشاح ويرده الجمع على آلهة دون أولهة وقيل أصله لاه مصدر لاه
يليه ليها ولاها إذا احتجب أو ارتفع لأنه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار ومرتفع
على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر: كحلفة من أبي رباح
يسمعها لاهه الكبار. وقيل علم لذاته المخصوصة لأنه يوصف ولا يوصف به
ولأنه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولأنه لو
كان وصفا لم يكن قول لا إله إلا الله توحيدا مثل لا إله إلا الرحمن فإنه لا يمنع
الشركة والحق أنه وصف في أصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره
وصار كالعلم مثل الثريا والصعق أجري مجراه في إجراء الأوصاف عليه وامتناع
الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة إليه لأن ذاته من حيث هو بلا اعتبار أمر
آخر حقيقي أو غيره غير معقول للبشر فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ ولأنه لو دل
على مجرد ذاته المخصوص لما أفاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا
ولأن معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب
وهو حاصل بينه وبين الأصول المذكورة وقيل أصله لاها بالسريانية فعرب
بحذف الألف الأخيرة وإدخال اللام عليه وتفخيم لامه إذا انفتح ما قبله أو انضم
سنة وقيل مطلقا وحذف ألفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به
صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر: ألا لا بارك الله في سهيل إذا ما الله
بارك في الرجال. والرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان

من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان
ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها وأسماء الله تعالى إنما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي
أفعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن أبلغ من الرحيم لأن زيادة البناء
تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك إنما يؤخذ تارة باعتبار الكمية
وأخرى باعتبار الكيفية فعلى الأول قيل يا رحمن الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر ورحيم
الآخرة لأنه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لأن النعم
الأخروية كلها جسام وأما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وإنما قدم والقياس يقتضي
الترقي من الأدنى إلى الأعلى لتقدم رحمة الدنيا ولأنه صار كالعلم من حيث إنه لا يوصف به
غيره لأن معناه المنعم البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لأن من عداه
فهو مستعيض بلطفه وإنعامه يريد به جزيل ثواب أو جميل ثناء أو مزيح رقة الجنسية
أو حب المال عن القلب ثم إنه كالواسطة في ذلك لأن ذات النعم ووجودها والقدرة
على إيصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي يحصل بها
الانتفاع إلى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها أحد غيره أو لأن الرحمن لما دل على جلائل النعم
وأصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف أو للمحافظة على
رؤوس الآي والأظهر أنه غير مصروف وإن حظر اختصاصه بالله أن يكون له مؤنث
على فعلى أو فعلانة إلحاقا له بما هو الغالب في بابه وإنما خص التسمية بهذه الأسماء ليعلم
العارف أن المستحق لأن يستعان به في مجامع الأمور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى
النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره إلى جناب القدس و
يتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره. **الحمد لله**
الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا
تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما أخوان

والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني
والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع
للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل
رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده
والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله
النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون
تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها
والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق
اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم
من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان
هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما
يستعملان معا منزلة كلمة واحدة **رب العالمين** الرب في الاصل بمعنى التربية
وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل
هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك
لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك
والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع فهو كل ما سواه
من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على
وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء
والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين
وتناوله لغيرهم على الاستتباع وقيل عني به الناس هاهنا فان كل احد منهم عالم
من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع

كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما قال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل
على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال
بقائها **الرحمن الرحيم** كرره للتعليل على ما سنذكره **مالك يوم الدين**
قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ
لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك
اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك
والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك
بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا
على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين
يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق
الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك
في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة
وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم
بالاضافة اما للتعظيم او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على
الله تعالى من كونه ربا للعالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها
عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد
لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر
بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل
لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب

للمجد وهو كالايجاد والتربية والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس
يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد
والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد للحامدين والوعيد
للمعرضين **اياك نعبد واياك نستعين** لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام
تميز بها عن ساير الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا
شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان
الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود بني اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف
من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنايعه على عظيم
شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير
من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين
دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب
الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم
وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح
فتثير سحابا فسقناه وقول امرء القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم
ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبإ جاءني
وخبرته عن ابي الاسود وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء
مزيدة لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف
في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ
الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضماير
وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا
لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء

والعبادة

والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب
ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة
طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية ما لا ياتي الفعل دونه كاقتدار
الفاعل وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل
بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل
ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه
عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها
او في اداء العبادة والضمير المستكن في الفعلين للقاري ومن معه من الحفظة
وحاضري الجماعة او له ولساير الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عباداتهم
وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة
وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس
معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على
ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة
لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة
بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب
القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث
انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن
ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر
الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة
ليتوافق رؤوس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى
الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا

منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا تتم
ولا تستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك
مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف
المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها **اهدنا الصراط المستقيم**
بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو
المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى
فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها
والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معه معاملة اختار
في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تتنوع انواعا لا يحصيها عد
لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من
الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة
والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه
اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف
على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام او المنامات الصادقة
وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة
ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف
الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط
غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان

الصراط والسراط والزراط الطريق

المنح بالكسر العطية

الميط والمياط الدفع والزجر

لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من
سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم و
الصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت
الزاي ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرا ابن كثير ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة
بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط
ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق
وقيل ملة الاسلام **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الاول بدل الكل
وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص
على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل
كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون
طريق المؤمنين وقيل الذين انعم عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام
قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي
في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين
ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين
دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني
كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والذكر والنطق
وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة
وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات
الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول المال
والجاه والثاني ان يغفر له ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة
المقربين ابد الابدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الاخر

فان ما عداه كذلك يشترك فيه المؤمن والكافر **غير المغضوب عليهم ولا الضالين**
بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او
صفة له مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم عليهم هم الذين جمعوا بين النعمة
المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح
باحد تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى في
قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني
او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليه
فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور
والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين
والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى
والغاية على ما مر وعليهم مرفوع المحل لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول
ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين
ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا
زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق
السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه
كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه
والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي
مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله
لان المنعم عليهم من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل
له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه
لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال

لقوله

لقوله تعالى وماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة
من جد في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم للفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس
سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين
لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال
امين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به
لقوله عليه السلام علمني جبرئيل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم
على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء
عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه عليه السلام كان
اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقوله
والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه
لقوله عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة يقولون آمين
وان الامام يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة
لم تنزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب
انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس قال بينا
رسول الله صلى الله عليه وآله اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما
نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته
وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وآله قال ان القوم ليبعث الله عليهم
العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون

فيسمعه الله تعالى فيرفع بذلك عنهم العذاب اربعين سنة **بسم الله
الرحمن الرحيم الم** وساير الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف

التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير
والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود
انه عليه السلام قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول
الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي
اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله
ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها ليكون تاديتها بالمسمى
اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم
تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة
اياه معرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما
بين ساكنين ولم تعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام
وبسائطه التي تركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقران
وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من
عند غير الله لما عجزوا عن اخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما
يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء
الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد
مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز
عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما
هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم تعد فيها الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين
سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من
المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها
الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة يجمعها لن يقطع امر

ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك
ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد
والطاء والضاد والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة
وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها
ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت
بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين
والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف
البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد
طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم
سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء في صراط وزراط
والفاء في جدف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك
حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين
ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين
والفاء والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والظاء
والشين والزاء والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيها وهي الثلاثة عشر الباقية
نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون
لما في الادغام الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا يدغم فيما قاربها ويدغم
فيها مقاربها وهي الميم والزاء والسين والفاء نصفها ولما كانت
الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب
منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة
كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن

السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها
تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة
من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية
وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات
مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلث سور
لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات
لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف
كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه
ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ
على لغة من جر بها وثلث الثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في عشرة سوره
تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلث عشرة منها للاسماء وثلثة
للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر
وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد
باجمعها في اول القران لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير
التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف
او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها
اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لما تساقطت
مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة
كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القران
باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد
بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل

لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره
وهو باطل لان القران نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس من
لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف
اخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر
في قوله قلت لها قفي فقالت قاف كما روي عن ابن عباس انه قال الالف
الاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن
وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في ساير الفواتح وعنه ان الالف من الله
واللام من جبريل والميم من محمد اي القران منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما السلم
او الى مدد واقوام واجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه
عليه السلم لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه فقالوا كيف ندخل في دين
مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا فهل غيره
فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته
اياها عليهم بهذا الترتيب وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة
وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها
بالمعربات كالمشكوة والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة
مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله ومادة خطابه هذا و
ان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلثة
اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي
تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول انها لما
لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الاستيناف والانقطاع يلزم منها وغيرها
من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها

ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس
فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة
الا يرى انه عدّ كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون
غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث
لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع
لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا
ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد
فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء
حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤه فلا اتحاد وهو مقدم من حيث
ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق
للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع
واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القرآن
ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه
ان عليا كرم الله وجهه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ولعله اراد يا منزلهما
وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو
وسطها والميم من الشفة وهي اخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون
اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثر الله بعلمه
وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار
بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب
بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان لها حظ
من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم

على طريقة الله لافعلن او غيره كما ذكرا او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب
لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست
الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها
فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر
وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله
لافعلن وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات
او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة
والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى
ما بعدها وليس شيء منها اية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص
وكهيعص وطه وطسم وحم ويس اية وحم عسق ايتان والبواقي ليست
بايات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه **ذلك الكتاب** ذلك اشارة
الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القرآن فانه
لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا أشير
اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه
خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود
انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة
وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم
اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع و
منه الكتيبة **لا ريب فيه** معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث
لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا
لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد

الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه
ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة
ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور
والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء
اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق
النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك
ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه **هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**
يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالتقى والسرى ومعناه الدلالة
وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى
اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب
واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت
دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس
او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الدلائل
والآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح
لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعيين
المراد منه لانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال والمتقي اسم فاعل من قولهم
وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه
عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي من العذاب المخلد
بالتبري من الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب

عن كل

عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى
في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة
ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق واتقوا الله حق تقاته وقد فسر المتقين ههنا
على الاوجه الثلثة واعلم ان الآية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ
على انه اسم القرآن او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من
المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في
تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك
وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته
وريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية
للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة
ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله لا
فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة
او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير
ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير
لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب
الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم
والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك
لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس
ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه
ثالثة تشهد على كماله اذ لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له
مبتدأ رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله او يستتبع السابقة منها

اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه على اعجاز المتحدى به من حيث
انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال
واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب بأطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك و
الشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة
ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود وفي الثانية فخامة التعريف
وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف و
التوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين
باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشأنه
الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة
مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية
والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية
لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة
والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية
المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين
والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح وتخصيص الايمان بالغيب
واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على ساير ما يدخل
تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم
الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون
الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة التصديق مأخوذ من الامن كأن
المصدق آمن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه

معنى

الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه
ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع
فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلوات الله عليه كالتوحيد والنبوة
والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه
عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق
ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج
خارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق
وحده ان الله سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان ولم
تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع
لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين
امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
مع ما فيه من قلة التغيير فانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الاية اذ
المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق
القلبي هل هو كاف لانه المقصود او لا بد من انضمام الاقرار للمتمكن منه ولعل
الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل
الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة
في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة
التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه
الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني
بقوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل
كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في هذه الاية هذا اذا جعلته

صلة للايمان واوقعه موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب
كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوكم
قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي ان
ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ
هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث
للآلة **ويقيمون الصلوة** يعدلون اركانها ويحفظونها من ان
يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت
السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال ✱ اقامت غزالة سوق
الضراب ✱ لاهل العراقين حولا قميطا ✱ فانه اذا حوفظ عليها كان كالنافق
الذي يرغب فيه واذا اضيعت كان كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون
لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد
وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها
على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر
لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى
حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة كالخشوع والاقبال
بقلبه على الله لا المصلون الذين هم عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق
المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة
من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل
المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان
المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم

اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه
بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة الحظ قال تعالى
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من
الاشباع به والمعتزلة لما استحالوا على الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الاشباع به
وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه اسند الرزق ههنا الى
نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح
وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق
فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق
والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا
لشمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا
فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه
لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى
وما من دابة الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت
الالفاظ وجدت كل ما يوافقه في الفاء والعين دالا على معنى الذهاب
والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا
ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه
بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآي وادخال
من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع
المعاون التي منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام
ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم
من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك**

هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب وداخلون معهم في جملة المتقين دخول الخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنه او على المتقين وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين امنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة اشادة وترغيبا لغيرهم والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول فيلقيه والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب حينئذ منزلا كله وبما انزل من قبلك سائر الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وتشويش المعاش

وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا العلوم الضرورية والآخرة تانيث الآخر غلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الي مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود **اولئك على هدى من ربهم** الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له وكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات والا فاستئناف لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل وغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة

النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم وكانه اريد به ضرب لا يبالغ كنهه ولا يقادر
قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد
وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في
الراء بغنة وبغير غنة **واولئك هم المفلحون** كرر اسم الاشارة
تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحد من الاثرتين وان
كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم
الجملتين هنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون
فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهايم شيء واحد وكانت الجملة الثانية
مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة و
يوكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا والمفلحون خبره
والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفايز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له
وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ
وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس
الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد
من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم **تنبيه** تامل كيف نبه سبحانه وتعالى
على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على
اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل
لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبث به الوعيدية
في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون
في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له
راسا **ان الذين كفروا** لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه

بصفاتهم

بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة
الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يغني عنهم الايات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين
كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى
سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في
الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح
ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين
ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع
في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي
بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء
الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين
اعمال الحرف وفايدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها
الاجوبة ويذكر في معرض الشك مثل ويسالونك عن ذي القرنين قل سأتلو
عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين
قال المبرد قولك عبد الله قايم اخبار عن قيامه وان عبد الله قايم جواب
سايل عن قيامه وان عبد الله لقايم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول
اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن مغيرة واحبار
اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص عنهم غير المصرين بما اسند اليه
والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل
كافر ولاكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجي الرسول به
وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب
فان من صدق الرسول عليه السلم لا يجترى عليها ظاهرا الا انها كفر في انفسها

واحتج المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه مخبرا عنه
واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به
كما ينعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان
وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك
وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما
يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او
مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه
كقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا ويوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع
بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من
ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما
جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد
التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به
التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس
من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم
النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها
الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده
وبتوسيط الالف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف
الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها **لا يؤمنون**
جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او
بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به

من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان
فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان
والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا
سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي
القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم
بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم
ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد
بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم**
وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان لما يقتضيه والختم
الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره
نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه
بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة
وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي
واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر
الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير
كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الانفس
والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها
وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم
المؤوفة باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد
عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم

وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه وبالاقساء في قوله
وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى
واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى
بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت
الاية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطرت المعتزلة فيه
فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في
قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني
ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهايم التي خلقها الله تعالى خالية عن
الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك
وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل
الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه
اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت
بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم
ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار
على ترامي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون
حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي
اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن
الذين كفروا الاية السادس ان ذلك في الاخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه
وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما
السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وتنفرون
عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع

واضلال ونحوها وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه و
للوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما
من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة
المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون
ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن
عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير
مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين
وقد يطلق على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في
الاية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم
وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها
من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش
ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرى بالنصب على تقدير وختم على ابصارهم
بغشاوة وبالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة
بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة
ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال
بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه العذب
لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع واطلق
على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة
فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية
والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير وكما ان الحقير دون الصغير

فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه و
حقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآيتين ان على ابصارهم غشاء غير ما يتعارف
الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه الا الله
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه بشرح الكتاب
وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم
وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفته رأسا
وثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر و
خلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم
وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة
المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت
الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع
بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال
اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او
آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم
واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس
يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابي
واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد
الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لا يابى
دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات تختلف فيها

ابعاضها واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود
الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان
بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق
لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم
التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم
في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم
عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي
تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو
التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ
وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى
ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة
وما هم بمؤمنين انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما
آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا
ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان
عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا
من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان
من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه
بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف
مع الكرامية في الثاني فلا ينتهض حجة عليهم **يخادعون الله والذين آمنوا**
الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم

خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه
ثم خرج من باب اخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين
في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى
عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف
المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال
ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما
ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله
معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك
الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء
حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المتخادعين
ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استيناف بذكر
ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت
للمغالبة والفعل متى غولب فيه فاعله كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة
معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرا يخدعون
وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة
وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين
فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض
والمقاصد **وما يخادعون الا انفسهم** قراءة نافع وابن كثير وابي عمرو
والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك
خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني
الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرا الباقون وما يخدعون

لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى
يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض
والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح
او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم
في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه و
المراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وارائهم **وما يشعرون**
لا يحسون ذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم
في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور الاحساس
ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار **في قلوبهم مرض**
فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال
الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها
كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة
عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية والاية تحتملهما
فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون
من ثبات امر الرسول واستعلاء شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد
في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت موفة بالكفر وسوء الاعتقاد
ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف
وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه
مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم
لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين
شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم

وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد
ولهم عذاب اليم اي مولم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب
للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده **بما كانوا يكذبون**
قراه حمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا
وقرا الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا
خلوا الى شطار دينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء
وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه
فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام
كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابرهيم عم
كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به
واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي
عن سلمان ان اهل هذه الآية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين
كانوا فقط بل هم وسيكون بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها
بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده
وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب
والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان
ذلك يودي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار
المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب
الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله او الرسول او بعض المومنين
قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة
والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا

متمحضة عن شوائب الفساد لان انما يفيد حصر ما دخل على ما بعده مثل انما زيد منطلق
وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما
في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا **الا انهم هم
المفسدون ولكن لا يشعرون** رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره
بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا
دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع
الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى بها القسم واختها اما التي هي من طلايع
القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في
قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمومنين والاستدراك بلا يشعرون
واذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين
الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي
وهو المطلوب بقوله آمنوا **كما آمن الناس** في حيز النصب على المصدر
وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون
في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا
يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب
عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم ونحوه وقد جمعهما
الشاعر في قوله اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول
ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا
ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل
به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد
قالوا انومن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى

الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم
فساد رأيهم او لتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب
او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه
والسفه خفة وسخافة راي يقتضيهما نقصان العقل والحلم تقابله **الا انهم
هم السفهاء ولكن لا يعلمون** رد ومبالغة لتجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على
خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما
يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون
لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل
مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك
بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم **واذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا** بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة
فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه
استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء
عنكم فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم
وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله
ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه
الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا
بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت واللقاء
المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته
اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى **واذا خلوا الى شياطينهم** من خلوت
بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك

ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء
والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم
اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه
نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد
قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل
قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين
بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية
تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة
فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين
من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار **انما نحن مستهزئون**
تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان
من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا
انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك
والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت
واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات
على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف **الله يستهزئ بهم** يجازيهم
على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة
اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون
كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء
او الغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام
المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان

واما في الآخرة فبأن يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا
اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون
وانما استؤنف ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج
المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم
ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا
ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال اولا يرون انهم
يفتنون في كل عام مرة او مرتين **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** من مد الجيش
وأمده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما
بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملى له ويدل عليه
قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره
قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم و
اصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة
تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم
طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان
اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند
المد الى الشياطين اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي وقيل اصله يمد لهم
بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا
وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما قال واختار موسى قومه او التعدي
يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم
والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر واصله تجاوز
الشيء عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر

وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى
الهدى بالجاهلين العمه **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** اختاروها
عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان
احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء
والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع و
لذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا
به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة رأسا
ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما
اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا
في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي
فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة
واستحبوها على الهدى **فما ربحت تجارتهم** ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء
في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رأيت النسر
عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري والتجارة طلب الربح
بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي شفا واسناده
الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه
من حيث انها سبب الربح والخسران **وما كانوا مهتدين** لطرق التجارة فان
المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين
لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات
بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به الى درك
الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين للاصل **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا**

لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير تقول مِثل ومَثَل ومثيل كشِبه وشَبَه وشبيه ثم للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه الا يجمع كما لم يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا **فلما اضاءت ما حوله** اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول

لانه يدور **ذهب الله بنورهم** جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استيناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن اللبس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكد بقوله **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض ومفعول لا يبصرون من قبيل المطرح المتروك كان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته

الآية كالمثل ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم
من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على
الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له احوال الارادة
فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم
من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين
في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره
باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها **صم بكم عمي**
لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا
الآيات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ۞ وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا ۞ اصم
عن الذي لا اريده ۞ واسمع خلق الله حين اريده ۞ واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل
لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام
على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف
له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه
صفحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول ۞ بان له حاجة في السماء
وهنا وان طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد
علي وفي الحروب نعامة ۞ فتخاء تنفر من صفير الصافر ۞ هذا اذا جعلت الضمير
للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي
على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب
على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم

وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون
باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم
الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة **فهم لا
يرجعون** لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي
اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدؤوا
منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب
لتحيرهم واحتباسهم **او كصيب من السماء** عطف على الذي استوقد اي كمثل
ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم
اتسع فيها فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله
ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان
ومن ذلك قوله او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين
وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايتهما شئت
والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ
واسحم دان صادق الرعد صيب وفي الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع
من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء
كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء وقال ومن بعد ارض
بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير و
قيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية **فيه ظلمات ورعد وبرق**
ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة
الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان
اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا

لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب
اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من
السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا
يجعلون اصابعهم في آذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه
واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في
قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يؤذن
بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع
موضع الانامل للمبالغة **من الصواعق** متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون
كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء
الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع
او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت
وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين
في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة
وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية
او مصدر كالعافية والكاذبة **حذر الموت** نصب على العلة كقوله
واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضاده
لقوله خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة
والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط
لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها **يكاد البرق يخطف ابصارهم**
استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال

المقاربة

المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط
او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف
عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب
من غير ان لتوكد القرب بالدلالة على الحال وقد يدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل
عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة
وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطّف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء
ثم ادغمت في الطاء ويخطّف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها
ويتخطف **كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا** استيناف
ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق وخفيته فاجيب بذلك واضاء
اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى
كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم
الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام هما اظلما
حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين
لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع
الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه
فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق
اذا ركدت وقام الماء اذا جمد **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم**
اي ولو شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق
لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد
حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته
ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة

اشعاء الملزوم عند اشعاء لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفايدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم
وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها
مشروط بمشية الله تعالى وان وجودها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته وقوله
إنّ الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود
لانه في الاصل مصدر شاء أطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول البارى تعالى
كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده
وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير
والله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح
ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا
لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد
الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من
الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل
وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما
يوصف به غير البارى تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع
الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث
حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى
لانه شيء وكل شيء مقدوره والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة
وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامّت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت
شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية الآية فانه
تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل

اسفار

اسفار الحكمة والغرض منها تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد
من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة
مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل
التمثيل المفرد وهو ان تأخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما
يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان تشبه في
الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار و
ما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار
ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم و
ابقاءهم في الخسار الدايم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم
وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط للكفر والخداع بصيب فيه
ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه
الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون
من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت من
حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم
لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة
انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا
خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقرآن
وساير ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي
به حيوة الارض وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات
المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة

بالبرق وتصامّهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسدّ اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم بما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيّرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعنّ لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدّوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير **يا ايها الناس اعبدوا ربكم** لما عدّد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزًّا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرًا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتيقظوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع

واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي التربية **الذي خلقكم** صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس **والذين من قبلكم** متناول لكل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم

يتما الناس بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال
اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح
المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو
التبرؤ من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته
ويكون ذا خوف ورجاء كما قال جل ذكره يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون
رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه
خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه
وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم
جميعا وقيل تعليل للخلق اى لكي خلقكم تتقوا كما قال وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت مثله في اللغة والآية تدل
على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة
النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا
فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ
الاجر قبل العمل **الذي جعل لكم الارض فراشا** صفة ثانية او مدح منصوب
او مرفوع او مبتداء خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلثة
اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل
من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله
وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله جعل لكم
الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى و
معنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه
من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهياة

لان

لان يقعدوا وينا موا عليها كالفراش المبسوط ولا يستدعي ذلك كونها مسطحة
لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يابى الافتراش عليها **والسماء بناء**
قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم
وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه
بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا **وانزل من السماء**
ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار
بقدرة الله تعالى ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها
ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها
على المادة الممتزجة منهما او اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد
من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب
ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال
الى حال صنايع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته
ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب
فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدأ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض
على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق
الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى
واخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا
من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم و
هكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل
كل المرزوق او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت
من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرة

جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من الثمرة على التوحيد
او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وقوله
ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا
ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم **فلا
تجعلوا لله اندادا** متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب
باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات والارض فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة
لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا له اندادا او بالذي جعل
ان استانف على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء
للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى من حفكم بهذه النعم
الجسام والايات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير
اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت
الرجل اذا خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي بالمماثل
في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها
تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته
الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات
قادرة على ان تدفع عنهم باس الله تعالى وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم
وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال
موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين
اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير
وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطرح اي وحالكم

الكم

انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى
اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي
وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل
من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره
عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكاليف واعلم ان مضمون
الايتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة
والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة
لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم
من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والملبوس
والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره
شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الاية
الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق
الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن
بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية و
النظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية
والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية
المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق
الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وهو القران المعجز بفصاحته التي بزت فصاحة كل منطيق وافحامه
من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم في

المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعُرِّف ما يتعرف به

اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجماً فنجماً

بحسب الوقايع على ما يرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم

وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القران جملةً واحدة فكان الواجب تحديهم

على هذا الوجه ازاحةً للشبهة والزاماً للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويهاً بذكره

وتنبيهاً على انه مختص به منقاد لحكمه وقرى عبادنا يريد محمداً وامته والسورة

الطايفة من القران المترجمة التي اقلها ثلث ايات وهي ان جعلت واوها اصلية

منقولة من سورة المدينة لانها محيطة بطايفة من القران مفرزة محوزة

على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سورة المدينة على ما فيها

او من السورة التي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد

ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القاري

او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان

جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي البقية والقطعة من الشي والحكمة في

تقطيع القران سوراً افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم

وتنشيط القاري وتسهيل الحفظ والترغيب فانه اذا ختم سورة

نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلاً او طوى بريداً والحافظ متى

حذقها اعتقد انه اخذ من القران حظاً تاماً وفاز بطائفة محدودة مستقلة

بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوايد من مثله صفة سورة

اي بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او التبيين وزايدة

عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن

للابتداء اي بسورة كاينة ممن هو على حاله من كونه بشراً امياً لم يقرا الكتب

ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق

لقوله فاتوا بسورة مثله ولساير ايات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه

فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل

ما اتى به واحد من ابنائهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات بنحو ما اتى به

هذا اخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله قل لئن اجتمعت الجن والانس

على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان

صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى

الحاضر او القايم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر النوادي

ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل

للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملايكة حضروه ومعنى

دون ادنى مكان من الشي ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض

ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون

عمرو اي في الشرف ومنه الشي الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز

حد الى حد وتخطي امر الى اخر قال الله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء

من دون المومنين اي لا يتجاوزوا ولاية المومنين الى ولاية الكافرين وقال امية

يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره

ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من حضركم او رجوتم

معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر ان ياتي بمثله الا الله

او ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا

بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او بشهداء اي شهداءكم

تمامه
اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

الذين اتخذتموهم من دونه اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيامة او الذين
يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها
وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية
التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء
العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى
لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله **ان كنتم صادقين**
انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق
وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين
في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب
الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين **فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة** لما بين لهم ما يتعرفون
به امر الرسول وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة
وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه
او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب
المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره
ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكني عنه وتهويلا
لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان
الذي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن
شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم
او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم
وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول

ولانها

ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع
فكأنه قال ان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير
انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي
الرواية الاخرى لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما توقد
به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول
وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان
فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد المصدر
فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة
جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا
بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار
بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا
بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون
زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها
وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل
حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل
شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به
كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضي الله عنه فلعله عنى به
ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية
نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة
وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة
اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت

من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القران ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجاوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلم لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فيدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقران ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هولاء ويبشر هولاء وانما امر الرسول او عالم كل عصر او تقدير كل احد على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت

فيكون استينافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هي الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا ما هو داخل فيه **أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ** منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوى

ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت
الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان
والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا
وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل
بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى للنبي عليه السلام لئن اشركت
ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد هاهنا استغناء بها
تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة
على شواطئها وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في
الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود
هي الانهار المذكورة في قوله عز وجل انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بالفتح
والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب
للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها واسناد
الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها **كلما رزقوا منها
من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا** صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ
محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع
اثمارها مثل ثمار الدنيا ام اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف
ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل
الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ
من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من
ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال

ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة
الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به
العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جرياته وان كانت الاشارة
الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك
ابو يوسف ابو حنيفة **من قبل** اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس
ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة
عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه
لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان
احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول
مثل ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف او لما روي انه عليه السلام
قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها
فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة
الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم
هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما
وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة **واتوا
به متشابها** اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في
الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق
فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والاخرة
كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت
التشابه بينهما حاصل في الهيئة واللون دون المقدار والطعم وهو كاف في

اى اصحاب الدخان الكبير حتى تسود رؤسهن

اى طبخت فتيلا هو نحو المطبوخ بالزاد

اطلاق التشابه هذا وان للآية محملا اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة
ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها
فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذى رزقنا انه ثوابه ومن تشابهها تماثلها
في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم
تعملون في الوعيد **ولهم فيها أزواج مطهرة** مما يستقذر من النساء ويذم
من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل
في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال
النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان
تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت والجمع على اللفظ والافراد
على تاويل الجماعة ومطّهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة
ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل
والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف
فان قيل فائدة المطعوم هو التغذى ودفع ضر الجوع وفائدة المنكوح
التوالد وحفظ النوع وهى مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها
وساير احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات
وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام
حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها **وهم فيها خالدون**
دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك
قيل للاثافى والاحجار خوالد وللجزء الذى يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا
خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله خالدين فيها ابدا
لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا

والاصل

كاطلاق الجسم على الانسان

والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار مثل قوله تعالى
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام هنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات
والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات
المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى
يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية
متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الاخر متعانقة متلازمة
لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك
العالم على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان
معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه
الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها
خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها
ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات
بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور **إن الله لا يستحيي أن يضرب
مثلا ما بعوضة** لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل
عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق
الممثل له من الجهة التى يتعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف
دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب
عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل و
يصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم
لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب
الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير

كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل
الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير
وجاء في كلام العرب اسمع من قرادة واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض
لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين و
اصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت
وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب
الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان
المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره
شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل
بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن
القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم
المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه
من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي
الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى
كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله
حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا
فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف
والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما
استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وانما عدل به
عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على
المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماده من ضرب الخاتم واصله

وقع الشيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب
بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما
وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان
او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن
كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضع لان يذكر مع غيره فيفيد
له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا
او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل
وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان يكون موصولة
حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة
كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كانه لما رد
استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب
به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار
ودينارين والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب
غلب على هذا النوع كالخموش **فما فوقها** عطف على بعوضة او ما ان جعل
اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد
ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او
في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام
ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب
فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما من مسلم
يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه
يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النمل لقوله عليه السلام

ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة **فاما الذين امنوا**
فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف تفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر
ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن
من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء
على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوضوا
المبتداء عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم
وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت
الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال
الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج **واما
الذين كفروا فيقولون** كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون
ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال
جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه **ماذا اراد الله بهذا مثلا**
يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته و
المجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل
على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على
الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث
يحملها عليه وتقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله و
كلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى
ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها
فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل و
الوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على

الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار
فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال
كقوله هذه ناقة الله لكم اية **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا** جواب ماذا
اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث
والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى
وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة
كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون
بالاضافة الى اهل الضلال كما قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل
ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما
قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال ان الكرام كثير في البلاد وان
قلوا كما غيرهم قل وان كثروا **وما يضل به الا الفاسقين** اي الخارجين عن حد
الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها
اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها
جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات
ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك
وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا
اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر
وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق
الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما
قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق و
جحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في

بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي
اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق
واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به
حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل
على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع **الذين ينقضون عهد الله** صفة
للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل
واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط
احد المتعاهدين بالاخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان
ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات
الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه
الناس فان فيهما تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته و
العهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين
ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا
العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة
على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم
على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق
بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار
بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره وقيل عهود الله
ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية ادم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين
بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا
الحق ولا يكتموه **من بعد ميثاقه** الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به

الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الايات والكتب او ما وثقوه
من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض
بعد الميثاق **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضاها
الله كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب
في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه
يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل فصل ووصل و
الامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر
الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان
وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل
النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى **ويفسدون
في الارض** بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام
العالم وصلاحه **اولئك هم الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل عن
النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات
بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض
بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب **كيف تكفرون بالله**
استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق
البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال
يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من
اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر
وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم
مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك اخبروني على اي حال تكفرون **وكنتم امواتا**

اى اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة
فأحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه
غير متراخ عنه بخلاف البواقى ثم يميتكم عند تقضى آجالكم ثم يحييكم بالنشور
يوم ينفخ الصور او للسؤال فى القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم
او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل
ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون
قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلايل منزل منزلة علمهم فى ازاحة العذر
سيما وفى الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا
قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين
فانه سبحانه لما بين دلايل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعد على
الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر
منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية
المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت
وصلة الى الحيوة الثانية التى هى الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الآخرة
لهى الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع
من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان
بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين
خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر
وكنتم امواتا اى جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت
المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة فى القوة الحساسة

اوما

او ما يقتضيها وبها سمى الحيوان حيوانا مجاز فى القوة النامية لانها من طلايعها
ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضايل كالعقل والعلم والايمان من حيث
انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها فى كل مرتبة قال الله تعالى
قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها وقال او من
كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس فاذا وصف بها البارى تعالى
اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قايم
بذاته يقتضى ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء فى
جميع القرآن هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى
فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه
بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم فى دنياكم باستنفاعكم
بها فى مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط او دينكم بالاستدلال والاعتبار
والتعرف لما يلايمها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان الفاعل
لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضى
اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة
فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما فى الارض
لا الارض الا اذا اريد به جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال
عن الموصول الثانى ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى
اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوى على شىء
واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء
ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال
قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل

والصلة المعدّى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام
العلوية او جهة العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء
على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف
ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم
على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان يستانف بدحاها مقدرا لنصب
الارض فعلا اخر دل عليه اانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها
بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر **فسويهن** عدلهن وخلقهن مصونة من العوج
والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم
يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا **سبع سموات** بدل او تفسير فان قيل
اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك
وان صح فليس في الاية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق
خلاف **وهو بكل شيء عليم** فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء
كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من
كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان
الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم
حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت
وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية
بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان
ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات
وقد برهن عليها في هذه الاية اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع و
الحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم

فان

فان تعاقب الاجتماع والافتراق والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها
بذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها و
بمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر
على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم و
احيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه
مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته
ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها
لهما بعضد **واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة** تعداد لنعمة ثالثة تعم
الناس كلهم فان خلق ادم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود
انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع
اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث
في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما
النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالى
واذكر اخا عاد ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث و
اقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء
معمولا له صريحا في القران كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل
وبدا خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة
وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل والتاء لتانيث
الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين
الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم
على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة

قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت
طايفة من النصارى هى النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكما
انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم
الاستغراق فى معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم فى محكم تنزيله
فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون
وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم
الالهى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم
سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته فى كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة
كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان
معه فى محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم فى الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم
ابليس فى جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم فى الجزاير والجبال وجاعل من جعل
الذى له مفعولان وهما فى الارض خليفة عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال و
معتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره و
ينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به ادم عليه السلم لانه كان خليفة الله فى
ارضه وكذلك كل نبى استخلفهم فى عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم
وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول
فيضه وتلقى امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم
بحيث يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى
رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى فى الميقات ومحمدا عم ليلة المعراج ونظير ذلك
فى الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل البارى تعالى

بينهما الغضروف المناسب لهما لياخذ من هذا ويعطى ذاك او خليفة من سكن الارض قبله
او ذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء
بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر ابى القبيلة فى قولهم مضر وهاشم او على تاويل
من يخلفكم او خلفا يخلفكم وفايدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان
المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله
الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضى ايجاد ما يغلب
خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها
من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما
خفى عليهم من الحكمة التى بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح
شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج فى صدره وليس باعتراض على الله تعالى و
لا طعن فى بنى ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد
مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله
او تلق من اللوح او استنباط عما ركز فى عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس
لاحد الثقلين على الاخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب
فالسفك يقال فى الدم والدمع والسبك فى الجواهر المذابة والسفح فى الصب
من اعلى والشن فى الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك الدماء
على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا
محذوفا اى يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة
لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى اتستخلف
عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم

مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا التعجب والتفاخر وكانهم
علموا ان المجعول ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به
الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة
وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا يقتضي الحكمة ايجاده فضلا
عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة
تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة
مطواعة متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم
يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط
الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود
من الاستخلاف واليه اشار بقوله تعالى اجمالا **قال اني اعلم ما لا تعلمون** والتسبيح
تبعيد الله من السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض
اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار
وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا
لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك
الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك
واللام مزيدة **وعلم آدم الاسماء كلها** اما بخلق علم ضروري بها فيه
او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل
يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ
واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي
عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم

فلذلك

فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس
من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون
علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله
عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مفردا او مركبا مخبرا عنه او خبرا او
رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة
الثلثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ
من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى
متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات
والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول
العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها **ثم عرضهم على الملائكة** الضمير فيه
للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه
لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا لان العرض
للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ
والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من
العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها **فقال
انبئوني باسماء هؤلاء** تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف
والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات
وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار
فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما **ان كنتم صادقين** في زعمكم
انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم
وهو وان لم يصرح به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار

منطوقه وقد يتطرق اليه بعرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاآت قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عنهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى صلوات الله عليه سبحانك تبت اليك وقال يونس عم سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار

دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذ طأطأ راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات

و وصلة لظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا
فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته واللام فيه كاللام في
قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقران والسنن او في
قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لادم تحية
وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به
معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم
ما سبق **فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر** امتنع عما امر به استكبارا من
ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما
فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره
والاستكبار طلب ذلك بالتشبع **وكان من الكافرين** اي في علم الله تعالى
او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لادم اعتقادا بانه افضل
والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله
انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت
من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان ادم افضل من الملائكة المامورين
بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم
يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز
ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رضي الله عنهما
روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه
ليس من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشا بين اظهر الملائكة وكان مغمورا
بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى
بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل

علم ان الاصاغر مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال
فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب
فيهم العصمة كما ان من الانس معصومون والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من
الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة
والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قال ابن عباس رضي الله عنهما
فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط من محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس
كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار
لما روت عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج
من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك
غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة و
الاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة
الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه
بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الآية
استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره
وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر
هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة
المنسوبة الى شيخنا الاشعري **وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة**
السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف
عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له
والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد
قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى

امتحانا لآدم وحمله لا هباط على اشتغال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا
مصرا **وكلا منها رغدا** واسعا رافها صفة مصدر محذوف **حيث**
شئتما اى مكان من الجنة شئتما وسّع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول
من الشجرة المنهى عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا**
من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهى بالقرب الذى هو من مقدمات التناول
مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشى يورث
داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما قيل
حبك للشى يعمى ويصم فينبغى ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه
وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى او
بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية
سواء جعلته للعطف على النهى او الجواب له والشجرة هى الحنطة او الكرمة او
التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم
تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء
وهذى بالياء **فازلهما الشيطان عنها** اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما
على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امرى
او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان
في المعنى غير ان زل يقتضى عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله انى لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما
فقاولهما بذلك او القاه اليهما بطريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما
بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة

كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل
قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل
دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله
فاخرجهما مما كانا فيه اى من الكرامة والنعيم **وقلنا اهبطوا** خطاب لآدم وحواء
لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم
او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة
او من السماء **بعضكم لبعض عدو** حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين
يبغى بعضكم على بعض بتضليله **ولكم في الارض مستقر** موضع استقرار او استقرار
ومتاع تمتع **الى حين** يريد به وقت الموت او القيامة **فتلقى آدم من ربه**
كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير
بنصب آدم ورفع كلمات على انها استقبلته وبلغته وهى قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا
الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت
نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال يا رب
الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فيّ الروح من روحك قال بلى قال
الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكنّى جنتك قال بلى قال يا رب
ان تبت واصلحت اراجعى انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التأثير
المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة **فتاب عليه** رجع عليه
بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقى الكلمات لتضمنها معنى التوبة
وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم
لان حواء كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنن
انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذى يكثر اعانتهم على التوبة

واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف
به الباري تعالى اريد به الرجوع عن العقوبة الى المغفرة **الرحيم** المبالغ في الرحمة
وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو **قلنا اهبطوا منها جميعا**
كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون
فيها ولا يخلدون والثاني يشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا
ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها
كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم يجد
له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى
سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد
في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط
في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا **فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم**
الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت بها ان ولذلك حسن
تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال
او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن
لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم
من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا
فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه **ولا هم يحزنون**
ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع
نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه وقرئ هدي على
لغة هذيل فلا خوف بالفتح **والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون** عطف على من تبع الى اخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع

بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون
الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة الظاهرة وتقال للمصنوعات
من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القران المتميزة
عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه واصلها
اية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت
او ائية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الايات المنزلة او ما يعمها
والمعقولة **تنبيه** وقد تمسك الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء
من وجوه الاول ان ادم صلوات الله عليه كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له
عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على
الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى ادم ربه فغوى
والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه
بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب
من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه
وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد الغي
والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات
عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه
والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ
عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام
اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه
على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشانه لا يقال انه

لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناولها حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلم اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تفظيعا لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار دايم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلايل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد وما انزل اليه فقال **يا بني اسرائيل** اي يا اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلم ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** بالتفكر فيها والقيام بشكرها

وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط واذا نظر الى ما انعم به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلعم وقرئ اذكروا والاصل افتعلوا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها **واوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة **اوف بعهدكم** بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلايل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدايم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرايض وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسايط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة **واياي فارهبون** فيما تأتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز

والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن
ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله **وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم** افراد للايمان
بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه
مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او مطابق لها
في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس
والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت
الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى
فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك
قال عليه السلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا
ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله **ولا تكونوا اول كافر به** بان الواجب
ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه و
المستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول
فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة
فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به
التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا
اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه
او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من
وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أوّل من آل فقلبت همزته
واوا وادغمت **ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا** ولا تستبدلوا بالايمان
بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى
ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم

وهدايا

وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون
الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه **واياي فاتقون** بالايمان واتباع الحق والاعراض
عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت
بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة
التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه
ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء
مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه
حتى لا يميز بينهما او ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله
او تذكرونه في تاويله **وتكتموا الحق** جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا
بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على
من لم يسمع او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل
وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين
وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق **وانتم تعلمون** عالمين
بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة**
يعني صلوة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام
بعدما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكا
الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او
من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل **واركعوا مع الراكعين**
اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها
من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل
الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف

علّك أن تركع يوما والدهر قد رفعه **أتأمرون الناس بالبر** تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب **وتنسون أنفسكم** وتتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد عليه السلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون **وأنتم تتلون الكتاب** تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل **أفلا تعقلون** قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر **واستعينوا بالصبر والصلوة** متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوايجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية

بالقلب

القران

بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة الحق والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصايب روي انه عليه السلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعا **وإنها** اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة شاقة لقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **إلا على الخاشعين** اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب **الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون** اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه السلم وجعلت قرة عيني في الصلوة **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم** كرره للتوكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها **وأني فضلتكم** عطف على نعمتي **على العالمين** اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم من العلم والايمان والعمل وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف **واتقوا يوما** اي ما فيه من الحساب والعذاب **لا تجزي نفس عن نفس شيئا** اي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى

وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي
والجملة صفة ليوما والعايد منها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف
العايد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم
حذف كما حذف من قوله ام مال اصابوا **ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل**
اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب
احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني
اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو
ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له
كان شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به
الفدية لانها سويت بالمفدى **ولا هم ينصرون** يمنعون من عذاب الله والضمير
لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره
بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر و
قد تمسك المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكباير واجيب بانها مخصوصة
بالكفار للآيات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم
والآية نزلت ردا لما كانت اليهود يزعم ان اباءهم تشفع لهم **واذ نجيناكم
من آل فرعون** تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على
نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان
تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون
لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه
تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه
وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة

فرداً فجعله الشفيع

ما ادري اغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا

يسومونكم

يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب
الشيء **سوء العذاب** افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سايره والسوء مصدر ساء
يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون
او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم**
بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك
لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد
اجتهادهم من قدر الله شيئا **وفي ذلكم بلاء** محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم و
نعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة
بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان
الشايع بينهما **من ربكم** بتسليطهم عليكم او ببعث موسى ع وتوفيقه لتخليصكم
او بهما **عظيم** صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار
من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير
المختبرين **واذ فرقنا بكم البحر** فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض
حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت
اثني عشر بعدد الاسباط **فانجيناكم واغرقنا آل فرعون** اراد به فرعون و
قومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن
كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغني بذكره عن ذكر اتباعه
وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق
يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا
روي ان الله تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون

وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوه فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون وراه منفلقا اقتحم هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد عليه السلام مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة تدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره **واذ وعدنا موسى اربعين ليلة** لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وحمزة وابن عامر والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور **ثم اتخذتم العجل** الها ومعبودا **من بعده** اي من بعد موسى اي مضيه **وانتم ظالمون** باشراككم **ثم عفونا عنكم** حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس **من بعد ذلك** اي الاتخاذ **لعلكم تشكرون** لكي تشكروا عفوه **واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان** يعني التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه لقوله تعالى يوم الفرقان يريد يوم بدر **لعلكم تهتدون**

لكي

لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات **واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى** **بارئكم** فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت ومتميزا بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين **فاقتلوا انفسكم** تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشا حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب **ذلكم خير لكم عند بارئكم** من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية **فتاب عليكم** متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر الباري وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب **انه هو التواب الرحيم** الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك** لاجل قولك او لن نقر لك **حتى نرى الله جهرة** اي عيانا

وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على
المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح
على انها مصدر كالغلبة او جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون
الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة الاف من قومه والمؤمن به
ان الله الذي اعطاك التورية وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط
العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا
رؤيته رؤية الاجسام والاحياز المقابلة للرائي وهو محال بل الممكن ان يرى
رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الاخرة ولافراد من الانبياء في بعض
الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود
سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون
ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث
لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث
او ما كفرتموه لما رايتم باس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله
لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى
الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع
ويبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه
وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول
وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية
يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا
واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب القرية

او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام
سجدا متطامنين منحنين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا
حطة اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب
على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا
هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم فيها نغفر
لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء
للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة
همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا
وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء
ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء و
سبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان
المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين
ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار
طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة
في تقبيح امره واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه
او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء
بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما
يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون
روي انه مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه
لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على
ما روي انه كان حجرا طوريا مربعا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلث اعين

يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر
اثني عشر ميلا او حجرا اهبط مع آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا
او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه
من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يأمره
ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة
بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا
ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع
الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان
ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة و
له شعبتان تتقدان في الظلمة **فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا**
متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت
كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه **قد علم**
كل اناس كل سبط **مشربهم** عينهم التي يشربون منها **كلوا واشربوا**
على تقدير القول **من رزق الله** يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون
وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت منه **ولا تعثوا في الارض**
مفسدين اي لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب
في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه
ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه
العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية
جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما
يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره

لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد
ونحو ذلك **واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد** يريد به ما رزقوا في التيه من
المن والسلوى وبوحدته انها لا تختلف ولا تتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد
يريدون انه لا يتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما طعام اهل التلذذ
وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه **فادع لنا ربك**
سله لنا بدعائك اياه **يخرج لنا** يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان
دعوته سبب الاجابة **مما تنبت الارض** من الاسناد المجازي واقامة القابل
مقام الفاعل ومن للتبعيض **من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها** تفسير وبيان
وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر و
المراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم
وقرئ قثائها بالضم **قال** اي الله او موسى **أتستبدلون الذي هو ادنى**
اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير
البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة
بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم
الحاجة الى السعي **اهبطوا مصرا** انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي
اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله
الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تأويل البلد
ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وقيل اصله مصرايم
فعرب **فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة** احيطت بهم احاطة
القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران
النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة

ان نضاعف جزيتهم **وباءو بغضب من الله** رجعوا به او صاروا احقاء
بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة
ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب **بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق** بسبب كفرهم بالمعجزات
التي من جملتها ما عدّ عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار
العيون من الحجر او بالكتب كالانجيل والقران وآية الرجم والتي فيها نعت محمد عم
من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق
عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع
الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** اي
جرّهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان
صغار الذنوب سبب يؤدّي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب
مودّية الى تحرّي كبارها وقيل كرّر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب
الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل
الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد
الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير
قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق
والذي حسّن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليست
على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع **ان الذين آمنوا** بالسنتهم يريد
بهم المتدينين بدين محمد عليه السلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم
في سلك الكفرة **والذين هادوا** تهوّدوا يقال هاد وتهوّد اذا دخل في اليهودية
ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سمّوا بذلك لما تابوا من عبادة العجل و

واما معرّب يهوذا كانهم سمّوا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلم **والنصارى** جمع نصران
كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سمّوا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم
كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسمّوا باسمها او من اسمها **والصابئين**
قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلم وقيل هم عبدة
الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع
وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان
الى دينهم ومن الحق الى الباطل **من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا** من كان منهم
في دينه قبل ان نسخ مصدّقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل
من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا خالصا صادقا
فلهم اجرهم عند ربهم الذي وعدلهم على ايمانهم وعملهم **ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون** حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على
تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان
او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط
وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورُدّ بقوله تعالى
ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم **واذ اخذنا
ميثاقكم** باتباع موسى والعمل بالتورية **ورفعنا فوقكم الطور** حتى
اعطيتم الميثاق روي ان موسى عم لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف
الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرئيل عم بقلع الطور فظلله فوقهم
خذوا على ارادة القول **ما آتيناكم** من الكتاب **بقوة** بجد وعزيمة
واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه وتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به
لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة

ان تعلو بالقول المحذوف اى قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم
من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيقكم للتوبة او بمحمد عليه السلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين
المغبونين بالانهماك فى المعاصى او بالخبط والضلال فى فترة من الرسل ولو فى
الاصل لامتناع الشئ لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشئ
لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة
الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين
اعتدوا منكم فى السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود
اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه
ناس منهم فى زمن داود عليه السلم واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون
قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا
حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا
اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد
فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء
وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا
بالقردة كما مثلوا بالحمار فى قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس
بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك
كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها
اى المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اى تمنعه ومنه
النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت
حالهم فى زبر الاولين واشتهرت قصتهم فى الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم

او لما يحضرها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل
ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق
سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى
واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع
اخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء فى السوال وترك المسارعة
الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا فى ميراثه
وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة و
يضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا مكان هزو او
اهله او مهزوا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا
به وقرأ حمزة عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء فى مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه
ما رمى به على طريقة البرهان واخرج ذلك فى صورة الاستعاذة استفظاعا له
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى اى ما حالها وصفتها وكان حقه ان
يقولوا اى بقرة هى او كيف هى لان ما يسال به عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا
به على حال لم يوجد بها شئ من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله
قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت
البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة
والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك
اى بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد
وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة
ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق

البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص
ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازه ويؤيد الراي الثاني ظاهر اللفظ والمروي
عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزاتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد
الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون
اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم
بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء
فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال
اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل
تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة
السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي
هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان
سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع
تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او
توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف
زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف
بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر
والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها
على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه
بالتذكير ومتشابهة ومتشابه ومتشبهة ومتشبه وانا ان شاء الله لمهتدون
الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد
واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة

والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان
التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث
اي لم تذلل للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية
مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية
وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو
وتسقي من اسقى مسلمة اي سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص
لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها
وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا
الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام
والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير
فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعتهم
او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم
كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر فشبت
وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء
مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع
لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا
والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها
لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم
وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا
خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شانها اذ
المتخاصمون يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه

الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التا في الدال واجتلبت لها همزة الوصل **والله مخرج ما كنتم تكتمون** مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية **فقلنا اضربوه** عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل **ببعضها** اى بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب **كذلك يحيي الله الموتى** يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الآية **ويريكم آياته** دلايله على كمال قدرته **لعلكم تعقلون** لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضه انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رايقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى حيوة طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع **ثم قست قلوبكم** القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة **من بعد ذلك** يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما يوجب لين القلب **فهي كالحجارة**

في قسوتها **او اشد قسوة** منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زايدة عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله** تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية ويهبط بالضم **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد على ذلك وقرا ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء **افتطمعون** الخطاب لرسول الله وللمؤمنين **ان يؤمنوا لكم** ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود **وقد كان فريق منهم** طايفة من اسلافهم **يسمعون كلام الله** يعني التورية **ثم يحرفونه** كنعت محمد عم وآية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا **من بعد ما عقلوه** اى فهموه بعقولهم ولم يبق لهم ريبة **وهم يعلمون** انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك **واذا لقوا**

الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية
واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق أتحدثونهم
بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد عليه السلم او الذين
نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا
في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار
ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم
بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل
عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر
اذ لا اخفاء لا يدفعها افلا تعقلون اما تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون
انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى
افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم او لا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين
او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها
اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف
الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب استثناء
منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا
قدر ~~جهلة لا يحسنون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها~~ ولذلك
يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب
اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها
الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن
قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى
داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون

جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية الا اماني

ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من
غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل
اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيها
من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما
ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله
اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم
يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا اي يحصلوا به عرضا من اغراض الدنيا
فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت
ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد الرشى وقالوا لن تمسنا
النار المس ايصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له
ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان
بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا
مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم
عند الله عهدا خبرا ووعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال
والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال
ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين
كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على
التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا طويلا ودهرا
مديدا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفي من
كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات
والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ والكسب استجلاب النفع و

جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده

تعلقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم **واحاطت به خطيئته** اي
استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه
وهذا انما يصح في شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار
لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا
ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه
حتى يستولي عليه الذنوب وياخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي
مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه
فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله
وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما **فاولئك**
اصحاب النار ملازموها في الاخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا **هم**
فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها
على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها **والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك**
اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده
بوعيده ليرجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان على خروجه
عن مسماه **واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله** اخبار في معنى النهي
كقوله لا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان
المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه وتعضده قراءة لا تعبدوا وعطف
قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف
ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان لا
تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم
دل عليه المعنى كانه قال وحلفناهم لا تعبدون وقراءة نافع وابن عامر

وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم
غيب **وبالوالدين احسانا** متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا **وذي القربى**
واليتامى والمساكين عطف على الوالدين واليتامى جمع يتيم كنديم وندامى
وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه **وقولوا للناس حسنا**
اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرئ حُسُنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز
وحَسَنا وحُسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد **واقيموا**
الصلوة وآتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم **ثم توليتم** على طريقة الالتفات
ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد الرسول ومن قبلهم على التغليب اي
اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه **الا قليلا منكم** يريد به من اقام اليهودية
على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم **وانتم معرضون** قوم عادتكم الاعراض
عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض
واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم
على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن
وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه
قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم
او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا
تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي **ثم اقررتم**
بالميثاق واعترفتم بلزومه **وانتم تشهدون** توكيد كقولك اقر فلان
شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم
فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا **ثم انتم هؤلاء** استبعاد لما ارتكبوه
بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى

انتم بعد ذلك هؤلاء الناقصون كقولك انت ذاك الرجل الذي فعل كذا انزل تغير
الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما
سيحكى عنهم غيبا **تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم** اما حال
والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو
الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير **تظاهرون**
عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر
التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التاءين وقرئ
باظهارهما وتظّهرون بمعنى تتظهرون **وان ياتوكم اسارى تفادوهم**
روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا
عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر
احد من الفريقين جمعوا له حتى تفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في
ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم
انفسكم كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو
جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة و
ابن عامر تفدوهم **وهو محرم عليكم اخراجهم** متعلق بقوله وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم ويفسره
اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان
افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء **وتكفرون ببعض** يعني حرمة
المقاتلة والاجلاء **فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا** كقتل
قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي
ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما **ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب**

لان

لان عصيانهم اشد **وما الله بغافل عما تعملون** تاكيد للوعيد اي الله سبحانه
بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله
منكم وابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن **اولئك**
الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة آثروا الحيوة الدنيا على الاخرة
فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة **ولا هم ينصرون**
بدفعهما عنهم **ولقد آتينا موسى الكتاب** التوراة **وقفينا من بعده بالرسل** اي ارسلنا على اثره
الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اتبعه اياه
من الذنب **وآتينا عيسى ابن مريم البينات** اي المعجزات الواضحات كاحياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية
ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال
رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل **وايدناه**
قويناه وقرئ آيدناه **بروح القدس** بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود
ورجل صدق اراد به جبرئيل عليه السلام وقيل روح عيسى عليه السلام ووصفها بالقدس
لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها الى نفسه او لانه
لم يضمه الاصلاب والارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي
كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القرآن **افكلما جاءكم**
رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب
وهوى بالفتح هويا بالضم اذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا
لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان تكون استينافا والفاء
للعطف على مقدر **استكبرتم** عن الايمان واتباع الرسل **ففريقا كذبتم**
كموسى وعيسى والفاء للسببية او التفصيل **وفريقا تقتلون** كزكريا ويحيى

وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان
الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حولتم قتل محمد
لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة **وقالوا قلوبنا غلف**
مغشاة باغشية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من
الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غُلُف جمع غلاف فخفف والمعنى انها
اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون
بما فيها عن غيره **بل لعنهم الله بكفرهم** رد لما قالوا والمعنى انها خلقت
على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم
او انها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال
فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم و
الاستغناء عنك **فقليلا ما يؤمنون** فايمانا قليلا يؤمنون وما
مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم
ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القران **مصدق لما معهم** من كتابهم
وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب
لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا**
اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان المنعوت
في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب
زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل سأل ذلك عن نفسه
فلما جاءهم ما عرفوا من الحق **كفروا به** حسدا وخوفا على الرياسة
فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم
فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان

لان الكلام فيهم **بئسما اشتروا به انفسهم** ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس
المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم
خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا **ان يكفروا بما انزل الله** هو المخصوص
بالذم **بغيا** طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة ان يكفروا دون اشتروا
للفصل **ان ينزل الله** لان ينزل الله او حسده على ان ينزل الله من فضله
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف **من فضله** يعني الوحي **على من يشاء من عباده**
على من اختاره للرسالة **فباءوا بغضب على غضب** للكفر والحسد على من هو افضل
الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله **وللكافرين عذاب مهين**
يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه **واذا قيل لهم آمنوا بما**
انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها **قالوا نؤمن بما انزل علينا** اي التورية **ويكفرون**
بما وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف
الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد ما يواريه و
هو قدامه ولذلك عد من الاضداد **وهو الحق** الضمير لما وراءه والمراد به القران
مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق
التورية فقد كفروا بها **فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين**
اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه
وانما اسنده اليهم لانه فعل ابائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرأ نافع
وحده انبياء الله مهموزا في كل القران **ولقد جاءكم موسى بالبينات** يعني الآيات
التسع المذكورة في قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات **ثم اتخذتم**
العجل اي الها **من بعده** بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور **وانتم ظالمون**
حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بايات الله او اعتراض بمعنى

وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه
على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليهما السلام لا لتكرير القصة وكذا
الآية التي بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا
اي وقلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا
قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في
قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن
وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم
بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في
قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يامركم به ايمانكم اي بالتورية والمخصوص
بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلث
الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتورية وتقديره
ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه ورخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها
فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن
الايمان بها لا يامر به فاذن لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة
خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار
الآخرة من دون الناس سائرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها
من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت على الموت
او سقط علي الموت وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه
وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني
سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم

من موجبات النار كالكفر بمحمد عليه السلام والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة
مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن
النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا
لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا
وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان
بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض والله عليم بالظالمين
تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم
احرص الناس على حيوة من وجد بعقله الجاري مجرى علم مفعولاه هم واحرص
وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام
ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن الذين
اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة
العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون
بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز
ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر
مبتدا محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود
لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاول بيان
لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم
ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجري على الغيبة لقوله يود كقولك
حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم و
ان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم من النار بمن يزحزحه تعميره او لما دل
عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة

لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت
عليها السنون والزحزحة التبعيد **والله بصير بما يعملون** فيجازيهم **من كان
عدوا لجبريل** نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه
انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل
فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم
تقتلونه وقيل دخل عمر مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك
عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل
صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه و
ميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين
ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما كان عدوا لله ثم رجع فوجد جبريل
قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان
لغات قرئ بهن اربع في المشهورات جبرئيل كسلسبيل قرأه حمزة والكسائي
وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قرأه ابن كثير وجبرئل كجحمرش قرأه عاصم
برواية ابي بكر وجبريل كقنديل قرأه الباقون واربع في الشواذ جبرائيل
وجبرائل وجبرال وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله
فانه نزله البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور
يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره **على قلبك**
فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء
على حكاية كلام الله تعالى كأنه قال ما تكلمت به **باذن الله** بأمره او
تيسيره حال من فاعل نزل **مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين** احوال

من مفعول نزل والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل
فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي
لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عادى
فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي
وانا عدوه كما قال **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله
عدو للكافرين** اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده
وصدر الكلام بذكره تفخيما لشأنهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد
الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل
سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكأنه عادى الجميع
اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر
وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وحفص ميكال كميعاد
وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائيل **ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر
بها الا الفاسقون** اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في
نوع من المعاصي دل على اعظمه كأنه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك
اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره
اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا
اوكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا **نبذه فريق منهم** نقضه واصل
النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض **بل
اكثرهم لا يؤمنون** رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذها

فهم يؤمنون به خفاءً **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم** كعيسى ومحمد

نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله يعني التوراة لأن كفرهم بالرسول

المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الإيمان بالرسل المؤيدين

بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن **وراء ظهورهم** مثل لإعراضهم عنه

رأساً بالإعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات إليه **كأنهم لا يعلمون**

أنه كتاب الله يعني أن علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عناداً واعلم أنه تعالى دل بالآيتين

على أن جل اليهود أربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني

أهل الكتاب وهم الأقلون المدلول عليهم بقوله بل أكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا

بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمرداً وفسوقاً وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم

وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الأكثرون وفرقة تمسكوا بها

ظاهراً ونبذوها خفية عالمين بالحال بغياً وعناداً وهم المتجاهلون **واتبعوا**

ما تتلو الشياطين عطف على نبذ أي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر

التي تقرأها أو تتبعها الشياطين من الجن أو الإنس أو منهما **على ملك سليمان**

أي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون

إلى ما سمعوا أكاذيب ويلقونها إلى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس

وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل إن الجن تعلم الغيب وإن ملك سليمان تم

بهذا العلم وأنه تسخر به الإنس والجن والريح له **وما كفر سليمان** تكذيب لمن

زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفر وأن من كان نبياً كان معصوماً منه

ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي

ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين **يعلمون الناس السحر** إغواءً وإضلالاً

والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشياطين

مما لا يستقل به الإنسان وذلك لا يستتب إلا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فإن

التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي وأما ما

يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية أو يريه صاحب خفة اليد

فغير مذموم وتسميته سحراً على التجوز أو لما فيه من الدقة لأنه في الأصل لما خفي سببه

وما أنزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار أو المراد به نوع

أقوى منه أو على ما تتلو وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزاً

بينه وبين المعجزة وما روي أنهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال

لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما فمحكي

عن اليهود ولعله من رموز الأوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان

سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل وما أنزل نفي معطوف

على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة **ببابل** ظرف أو حال من الملكين أو الضمير

في أنزل والمشهور أنه بلد من سواد الكوفة **هاروت وماروت** عطف بيان للملكين

ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا وقيل

بدل من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت

وماروت **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** فمعناه على الأول

ما يعلمان أحداً حتى ينصحاه ويقولا له إنما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل

به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الإيمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به

وفيه دليل على أن تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وإنما المنع من اتباعه

والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا إنا مفتونان فلا تكن مثلنا **فيتعلمون**

منهما الضمير لما دل عليه من أحد **ما يفرقون به بين المرء وزوجه** أي من السحر ما يكون

سبب تفرقهما **وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله** لأنه وغيره من الأسباب غير مؤثرة

بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضارّي على الاضافة الى احد وجعل الجار
جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل
او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع
في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه
اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا
عن العمل ما له في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل
المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او
حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التاكيد القسمي العقل الغريزي
او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا
يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول
والكتب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند
الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به
انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم
بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة
لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ
وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه
لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها
الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون
يقولون لرسول الله راعنا اي راقبنا وتأنّ بنا فيما تلقننا حتى نفهمه
وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين به نسبته الى الرعن او سبه
بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها

وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا
من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا
على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو
الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا وحسنوا
الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود
او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم
يعني للذين تهاونوا بالرسول عليه السلام وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم
الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في
قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم
مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي
والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة
ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة
وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار
بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيته
وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او
اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ
في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه
التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب
ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا
وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية

وقرأ ابن عامر ننسخ من انسخ اى نامرك او جبريل بنسخها او نجده منسوخة وابن كثير
وابو عمرو ننسأها اى نؤخرها من النسأ، وقرئ ننسها اى ننس احدا اياها و
ننسها اى انت وتنسها اى على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين
نات بخير منها او مثلها اى بما هو خير للعباد فى النفع والثواب او مثلها
فى الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا **الم تعلم ان الله على كل شىء قدير**
فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير والاية دلت على جواز النسخ
وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك
لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا
من الله تعالى ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب
المعاش فان النافع فى عصر قد يضر فى غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل
او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الماتى به بدلا والسنة
ليس كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ
قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك
فى اللفظ والمعتزلة على حدوث القران فان التغير والتفاوت من لوازم
الحدوث واجيب بانهما من عوارض الاحكام المتعلقة بالمعنى القايم بالذات القديم **الم
تعلم** الخطاب للنبى عليه السلم والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده
لانه اعلمهم ومبدأ علمهم **ان الله له ملك السموت والارض** يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شىء قدير وعلى جواز النسخ
ولذلك ترك العاطف **وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير** وانما هو الذى
يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولى والنصير ان الولى
قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور **ام تريدون**

ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة فى الم تعلم اى
الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشيا كلها يامر وينهى كما اراد ام تعلمون
وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة
به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت فى اهل الكتاب حين سالوا ان ينزل الله كتابا من السما
وقيل فى المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه **ومن يتبدل
الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل** ومن ترك الثقة بالايات البينة وشك فيها
واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع فى الكفر بعد الايمان ومعنى الاية
لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدى بكم الضلال الى البعد عن المقصد
وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل **ود كثير من اهل الكتاب** يعنى
احبارهم **لو يردونكم** ان يردوكم فان لو ينوب عن ان فى المعنى دون اللفظ
من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين **حسدا** علة ود
من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اى تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من
قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اى حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم
من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة فى التورية **فاعفوا
واصفحوا** العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه **حتى ياتى الله بامره**
الذى هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بنى النضير
وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق
ان الله على كل شىء قدير فيقدر على الانتقام منهم **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة**
عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالقة واللجأ الى الله تعالى بالعبادة والبر
وما تقدموا لانفسكم من خير كصدقة وصلوة وقرئ تقدموا من اقدم
تجدوه عند الله اى ثوابه **ان الله بما تعملون بصير** لا يضيع عنده عمل

وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ودّ والضمير لاهل الكتاب من اليهود
والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين
كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ
وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم
اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم
كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف اي امثال تلك
الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل
هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان
كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم
وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره
الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب
من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط
فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل
مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت
اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به
نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وآله واتاهم احبار اليهود
فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس
اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا
يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه
بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت
لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بكتابه

ونبيه مع ان لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب
وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام
لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم
لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله صلعم
ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع
وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم
ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع لله
فضلا ان يجترئوا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين
ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه
فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل
معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوز ابو حنيفة و
منع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل
وسبي وذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم
ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص
به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت
لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة
فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد
او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته
بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن
كلها وعن ابن عمر انها في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة

فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد
ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطية لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان
يكون في حيز وجهة **وقالوا اتخذ الله ولدا** نزلت لما قال اليهود عزير ابن الله
والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله عطف على قالت
اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو **سبحانه** تنزيه له
عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية
مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد
اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا **بل له ما في السموات والارض** رد
لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي
من جملته الملائكة وعزير والمسيح **كل له قانتون** منقادون لا يمتنعون عن مشيته
وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له
ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم
وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه
اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا مطيعون مقرون بالعبودية
فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه
واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات
الملك وذلك يقتضي تنافيهما **بديع السموات والارض** مبدعهما ونظيره
السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من
بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال
مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن
الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق

بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير
وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح
واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او
فعلا كقوله فقضاهن واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه
فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر
وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه
تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة
وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم ان السبب في
هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه
السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة
منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا
حسما لمادة الفساد **وقال الذين لا يعلمون** اي جهلة المشركين او المتجاهلون من
اهل الكتاب **لولا يكلمنا الله** هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله
او تأتينا آية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود لان ما اتاهم آيات
استهانة به وعنادا **كذلك قال الذين من قبلهم** من الامم الماضية **مثل قولهم**
فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ان ينزل علينا مائدة من السماء **تشابهت قلوبهم**
قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين **قد بينا الآيات**
لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد
وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه
عتوا وعنادا **انا ارسلناك بالحق** ملتبسا مؤيدا به **بشيرا ونذيرا** فلا عليك
ان اصروا وكابروا **ولا تسأل عن اصحاب الجحيم** ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت

وقرأ نافع ويعقوب لا تسأل على انه نهي للرسول عن السؤال او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى** مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال **قل** تعليما للجواب **ان هدى الله هو الهدى** اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه **ولئن اتبعت اهواءهم** آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى راي يتبع الشهوة **بعد الذي جاءك من العلم** اي الوحي او الدين المعلوم صحته **ما لك من الله من ولي ولا نصير** يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن **الذين آتيناهم الكتاب** يريد به مؤمني اهل الكتاب **يتلونه حق تلاوته** بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنو اهل الكتاب **اولئك يؤمنون به** بكتابهم دون المحرفين **ومن يكفر به** بالتحريف والكفر بما يصدقه **فاولئك هم الخاسرون** حيث اشتروا الكفر بالايمان **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة** لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة **واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات** كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابرهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة والشرط احد التقدير والكلمات

قد يطلق على المعاني ولذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين والمسلمات الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سنته وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عاملة بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنته الآيات التي بعدها وقرئ ابرهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا بلدا آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام **فاتمهن** فاداهن كملا وقام بهن حق القيام كقوله وابرهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه **قال اني جاعلك للناس اماما** استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا وكان من ذريته مأمورا باتباعه **قال ومن ذريتي** عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب ساكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة **قال لا ينال عهدي الظالمين** اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته **واذ جعلنا البيت** اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا **مثابة للناس** مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار وامثالهم

حتى تتبع ملتهم

ولا هم ينصرون

او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد وامنا
وموضع امن لا يتعرض لاهله لقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم او يامن حاجه
من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو
مذهب ابي حنيفة واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة القول او عطف على
المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب
لامة محمد عليه السلم وهو امر استحباب ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي
كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم
روى انه عليه السلم اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر رضه افلا نتخذه مصلى
فقال عليه السلم لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي
الطواف لما روى جابر انه عليه السلم لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه
ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل
مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب
الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ
الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابرهيم
واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن
العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه
للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود
اي المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان
بلدا آمنا ذا امن كقوله عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم وارزق
اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ابدل من آمن من اهله بدل
البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس

ابرهيم

ابرهيم عليه السلم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر
بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر
وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به
الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر
لكفره وتضييعه ما متعته به وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما
على انه من دعاء ابرهيم عليه السلم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه
ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد
وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير
المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت
حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود
بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء
عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها ساقات
البناء فان كل ساق قاعدة ما يوضع فوقه ورفعها بناؤها وقيل المراد رفع
مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد و
تبيينها تفخيم شانها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل
في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا
تقبل منا يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع
لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم
وجهه لله او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في
الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او
ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا

وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع
وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق
على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل
لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد عليه السلم ويجوز ان يكون من
للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف
المعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن **وارنا** من رأى بمعنى ابصر
او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين **مناسكنا** متعبداتنا في الحج او مذابحنا
والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة
وقرأ ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة
منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها **وتب علينا** استتابة لذريتهما
او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما **انك**
انت التواب الرحيم لمن تاب **ربنا وابعث فيهم** اي في الامة المسلمة **رسولا منهم**
ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه واله فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا
دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي **يتلو عليهم اياتك** يقرأ
عليهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة **ويعلمهم الكتاب** القران **والحكمة**
ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام **ويزكيهم** عن الشرك والمعاصي **انك انت**
العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد **الحكيم** المحكم له **ومن يرغب عن ملة ابرهيم**
استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب
احد عن ملته **الا من سفه نفسه** الا من استمهنها واذلها واستخف بها
قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث
الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب

اوله
فان يهلك ابو قابوس يهلك
ربيع الناس والشهر الحرام

على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش
اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل
الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي **ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه**
في الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا وكان
مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه
او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر **اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين**
ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت
لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى
الاذعان واخلاص السر حين دعاه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية
الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى
الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر **ووصى بها ابرهيم بنيه** التوصية هو التقدم
الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه
اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تاويل
الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن عامر واوصى والاول ابلغ **ويعقوب** عطف على ابرهيم
اي ووصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم **يا بني** على
اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره
رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابرهيم كانوا اربعة
اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب
اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخون وزبولون
ودوني ونفتوني وكودا واوشير وبنيامين ويوسف **ان الله اصطفى**
لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله **فلا تموتن الا وانتم مسلمون**

ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على خلاف
تلك الحالة اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة
للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم و
نظيره في الامر مت وانت شهيد وروي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله
ألست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت **ام كنتم شهداء**
اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين
اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة
بمحذوف تقديره أكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما
شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر **اذ قال لبنيه** بدل من اذ حضر
ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام
واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف
خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد أفقيه ام طبيب
قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده
والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب
لقوله عليه السلم عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس رضي الله عنه هذا بقية آبائي و
قرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين
وفديننا بالابينا او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان **الها واحدا** بدل من
اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم
الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص
ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا
تلك امة قد خلت يعني ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود

وسمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها **لها ما كسبت ولكم ما كسبتم** لكل اجر عمله
والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم
كما قال عليه السلم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم **ولا تسألون عما كانوا يعملون**
ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم **وقالوا كونوا هودا او نصارى**
الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود
كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى **تهتدوا** جواب الامر **قل بل**
ملة ابراهيم اي بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئت
بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته **حنيفا** مائلا عن الباطل
الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه و
هم مشركون **قولوا آمنا بالله** الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به
وما انزل الينا القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا سبب للايمان بغيره **وما**
انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان نزلت
الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا
منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به
حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق **وما اوتي موسى وعيسى**
التورية والانجيل افردهما بالذكر لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير
لما سبق والنزاع وقع فيهما **وما اوتي النبيون** جملة المذكورين منهم وغير المذكورين
من ربهم منزلا عليهم من ربهم **لا نفرق بين احد منهم** كاليهود فنؤمن ببعض و
نكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين
ونحن له مسلمون اي لله مذعنون مخلصون **فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا**

من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصود لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتأكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به **وان تولوا فانما هم في شقاق** اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر **فسيكفيكهم الله** تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم **وهو السميع العليم** اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه **صبغة الله** اي صبغنا الله صبغته وهي الفطرة التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغ حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انها مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم **ومن احسن من الله صبغة** لا صبغة احسن من صبغته **ونحن له عابدون** تعريض بهم اي لا نشرك كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا

بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب **قل اتحاجوننا** اتجادلوننا **في الله** في شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت **وهو ربنا وربكم** لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده **ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم** فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال **ونحن له مخلصون** موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم **ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى** ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء يحتمل ان يكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء **قل ءانتم اعلم ام الله** وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا **ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله** يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد لهم وقرئ بالياء **تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون** تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب

فيما سبق لهم وفي ذكره لنا تحذير عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء و
في الكل اسلاف اليهود والنصارى **سيقول السفهاء من الناس** الذين خفت احلامهم
واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين
واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب **ما**
ولاهم ما صرفهم **عن قبلتهم التي كانوا عليها** يعني بيت المقدس والقبلة في
الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة
قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع
اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا لخصوص المكان **يهدي**
من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه
الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى **وكذلك** اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة
اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل
جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم
للمكان الذي تستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها
بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم
اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كساير الاسماء
الموصوف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت
به عدالتهم **لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** علة للجعل اي لتعلموا
بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم
بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء
على اتباع الشهوات والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى
الذين قبلكم او بعدكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله

بينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون
فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان
نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة
وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة
للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها**
اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر
امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رضي الله عنهما
كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول
الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة
وما جعلنا قبلتك بيت المقدس **الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** الا لنمتحن
الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه
او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى
الاول معناه ما رددناك الى التي كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه
لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت
هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به
موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او
لتميز الثابت على المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع
التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة
او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم
من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب **وان كانت لكبيرة** ان هي المخففة من الثقيلة و
اللام هي الفاصلة وقال الكوفيون ان هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه

قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التولية او الردة او التحويلة او القبلة
وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام
الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اى ثباتكم على الايمان و
قيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روى انه عليه السلم لما وجه الى الكعبة
قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس
لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو
ابلغ محافظة على الفواصل قد نرى ربما نرى تقلب وجهك في السماء
تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقع في روعه
ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم عليه السلم واقدم القبلتين
وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر و
لم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا
صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد
دينية وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك اى اصرف وجهك شطر المسجد
الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار
شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم
اى محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة
لانه عليه السلم كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه
روى انه عليه السلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة
في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة
ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء
صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص

الرسول عليه السلم بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا
لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي
الى القبلتين والضمير للتحويل او للتوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد
للفريقين وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية
برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب
القسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة
تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم
فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان تكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له
وطمعا في رجوعه وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم
بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا
يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت
اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اى ولئن اتبعتهم مثلا
بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده
وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن
متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب
يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه
وقيل للعلم او القران او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول انهم يعرفونه
باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام
عن رسول الله عليه السلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك
في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق

وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن **الحق من ربك** كلام مستأنف والحق اما مبتدا خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون **فلا تكونن من الممترين** الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ **ولكل وجهة** احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبر الضعف العامل وقرا ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها **فاستبقوا الخيرات** من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة **اينما تكونوا يات بكم الله جميعا** في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة **ان الله على كل شيء قدير** فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع **ومن حيث خرجت** من اي مكان خرجت للسفر **فول وجهك شطر المسجد الحرام** اذا صليت **وانه** وان هذا الامر **للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون** وقرا ابو عمرو بالياء **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل

تعظيم

تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى **لئلا يكون للناس عليكم حجة** علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابرهيم ويخالف قبلته **الا الذين ظلموا منهم** استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه **فلا تخشوهم** فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم **واخشوني** فلا تخالفوا ما امرتكم **ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون** علة محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او معطوف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي عليه السلام تمام النعمة الموت على الاسلام **كما ارسلنا فيكم رسولا منكم** متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني **يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم** يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره

في دعوة ابرهيم عم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر
فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم
ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي
وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمن ومناجاة رب العالمين
ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
اي هم اموات بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه
على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا مما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل
بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل
اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل
اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح
جواهر قايمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه
جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهدا
لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم
اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف
والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف
عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الاخرة
وانما اخبرهم قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات
عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صوم شهر رمضان
والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات
موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه واله اذا مات ولد العبد قال الله للملائكة اقبضتم

ولد

ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى
ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة
وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
الخطاب للرسول او لمن تاتي منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه
لقوله عليه السلم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان
بل وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه
ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف
دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله
التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان
وعن النبي عليه السلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له
خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا و
اسلموا لقضاء الله ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله
من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد
والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين
فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان
اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون
ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف
في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس رضه لقوله فلا جناح فانه
يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب
فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عم
اسعوا فان الله تعالى كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا

كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا
انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه
او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطّوّع
واصله يتطوع فادغم مثل يطّوّف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة
لا تخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالآيات الشاهدة
على امر محمد صلوات الله وسلامه عليه والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به
من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
اي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر
ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في
كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي
بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ
في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب
من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعن الله
ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ
والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك
اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر و يلعنهم الملائكة خالدين فيها
اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا او اكتفاء
بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي لا يمهلون او لا ينتظرون
ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق
منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها لا اله الا هو تقرير
للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة

الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه
اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم
او لمبتدأ محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية
نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض انما جمع السموات وافرد الارض
لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار
تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك
بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب
لان منشأهما البحر في غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين
على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء
من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به
الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدلال
بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيا فان الدواب
ينمون بالخصب ويعيشون بالحياء والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها
واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض
لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى يأتي امر الله وقيل مسخر للرياح
تقلبه في الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لآيات لقوم
يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن
قرأ هذه الآية فمج بها اي فلم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود
الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة
وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا

ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة
دائرة مارّة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه
لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه
حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على
ما يقدر عليه فان توافقت اراداتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على
اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته
وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر
فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء
الذين كانوا يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله
عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته
اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب
ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته
والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة
وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف محبة
الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون
عن آلهتهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو
يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب
اذ عاينوه يوم القيامة واجري المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة
ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون
ان القدرة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب

والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة
لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب
للنبي عليه السلام اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يُرون العذاب على البناء
للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستئناف او اضمار
القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون
من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اي رائين
له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل
العطف على تبرأ او رأوا والحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم
من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي
يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة
فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى
الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم
ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين
من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص
والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم
رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض
ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة
اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى
فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان
في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها
عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر

العداوة عند البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن تغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم

الطاغوت **انما يأمركم بالسوء والفحشاء** بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته

واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء

ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام

العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز

الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد **وان تقولوا**

على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل

على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك

شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية **واذا قيل لهم اتبعوا**

ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كانه

التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون **قالوا بل نتبع**

ما الفينا عليه اباءنا ما وجدنا هم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القران

وساير ما انزل الله من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود

دعاهم رسول الله الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا

خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام

اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة

للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين

ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر

والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين

في الاحكام وهو ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله **ومثل الذين كفروا كمثل الذي**

ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي

الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهايم الذي ينعق والمعنى

ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما تقرر معهم

فهم في ذلك كالبهايم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس

بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع الهوى على ظاهر حالهم جاهلين

بحقيقتها بالبهايم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام

بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهايم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعد عليه

قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب

صم بكم عمي رفع على الذم **فهم لا يعقلون** اي بالفعل للاخلال بالنظر

يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة

واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا

ويقوموا بحقوقها فقال **واشكروا لله** على ما رزقكم واحل لكم **ان كنتم اياه تعبدون**

فان عبادتكم لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو

عدم عند عدمه وعن النبي صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى اني والانس والجن

في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري **انما حرم عليكم الميتة**

اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكوة والحديث الحق بها ما ابين

من حي والسمك والجراد اخرجها العرف عنها او استثنى الشرع والحرمة المضافة

الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في

المدبوغ **والدم ولحم الخنزير** انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يوكل من الحيوان

وساير اجزائه كالتابع له **وما اهل به لغير الله** اي رفع به الصوت عند ذبحه

للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال وجوده يقال اهل الهلال واهللته

لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رأى سمي ذلك اهلالا ثم قيل

رفع الصوت او كان بغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر
ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق
فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه
في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم
على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا
او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشيا ما لم تضطروا
اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا
اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها
عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى
القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اي لا يأكلون يوم القيمة الا النار ومعنى
في بطونهم ملأ بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض
بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم
حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله تعالى ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم
عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة
في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من
حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء و
تخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما
بعدها الصلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب
بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا
في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض
او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم

في تأويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القرآن و
اختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد
لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي
والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة
ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن
البر ما بينه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمؤمنين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة
او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرا حمزة وحفص
ليس البر بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين اي ولكن
البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة ولكن البار
والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرا نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف
ورفع البر وآتى المال على حبه اي على حب المال كما قال عليه السلم لما سئل اي
الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل
الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد
المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم احق كما
قال عليه السلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة
والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير
للدائم السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن
الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين الجأهم الحاجة
الى السؤال وقال عليه السلم للسائل حق وان جاء على فرسه وفي الرقاب وفي
تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها
واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن

قوله وآتى الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث
عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال
سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة **والموفون بعهدهم اذا عاهدوا**
عطف على من آمن **والصابرين في البأساء والضراء** نصب على المدح ولم يعطف لفضل
الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس
كالمرض **وحين البأس** وقت مجاهدة العدو **اولئك الذين صدقوا** في الدين
واتباع الحق وطلب البر **واولئك هم المتقون** عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما
ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها
منحصرة في ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير
الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى
الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق
نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق
واليه اشار بقوله عليه السلم من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان **يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى** كان في الجاهلية بين
حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم
بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله عليه السلم فنزلت وامرهم
ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا يدل على عكسه
فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان
الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما
روي عن علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول ونفاه سنة ولم
يقده به وروي عنه عليه السلم انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد

ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف
ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ
ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب
على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا
لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك كل فعل جاء في القرآن
فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار
بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء
مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن
الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدي به الى
الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه
يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له و
يعطف عليه **فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان** اي فليكن اتباع او فالامر
اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه
بان يؤديها باحسان بان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد
والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعي في المسئلة قولان **ذلك**
اي الحكم المذكور في العفو والدية **تخفيف من ربكم ورحمة** لما فيه من التسهيل و
النفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخير
هذه الامة بينها وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم **فمن اعتدى
بعد ذلك** قتل بعد العفو واخذ الدية **فله عذاب اليم** في الآخرة وقيل
في الدنيا بان يقتل لا محالة **ولكم في القصاص حيوة** كلام في غاية الفصاحة والبلاغة
من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف الحيوة ونكر القصاص ليدل على ان في هذا

الجنس من الحكم نوعاً من الحيوة عظيماً لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة
نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص
من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سبباً لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني
تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا
لم يؤاخذ به في الآخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما
خبراً والآخر صلة له او حالاً من الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم
من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب يا أولي الألباب ذوي العقول
الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس
لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص
فتكفوا عن القتل كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته
إن ترك خيراً مالاً وقيل مالاً كثيراً لما روي عن علي امير المؤمنين ان مولى له اراد
ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيراً والخير هو المال الكثير
وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلاً اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت
كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيراً وان هذا الشيء يسير
فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والأقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل
او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل
في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ وخبره للوالدين والجملة
جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح
فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه السلام
ان الله تعالى اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان آية المواريث
لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقاً والحديث من الآحاد

وتلقي الامة لها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به
الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى
به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقاً على المتقين
مصدر مؤكد اي حق ذلك حقاً فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه
وصل اليه وتحقق عنده فإنما إثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل
الا على مبدله لانه الذي حاف وخالف الشرع إن الله سميع عليم وعيد للمبدل
بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء
وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر موصٍّ جنفاً ميلاً بالخطأ في الوصية أو إثماً تعمداً
للحيف فأصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا إثم عليه في هذا
التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول إن الله غفور رحيم وعد للمصلح
وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم به يا أيها الذين آمنوا كتب
عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن آدم
وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما
تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس
لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي مبدؤها كما قال عليه السلام
فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال بادائه لاصالته وقدمه أياماً
معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عداً
والكثير يهال هيلاً ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا
لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به
وهو عاشوراء او ثلاثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرف او على انه مفعول
كتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان

كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة
لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم
ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء على ان من سافر اثناء اليوم لم يفطر
فعدة من ايام اخر اي فعليه عدة ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف
الشرط والمضاف اليه والمضاف للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على
سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه
وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر
او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول
الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرا نافع وابن عامر
باضافة الفدية الى الطعام وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق
بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام
ويطيقونه ويطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل و
تفيعل بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن
يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا
لا منسوخا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم
فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا
ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج
تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية وتطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء
ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه
ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم
خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ وخبره ما بعده او خبر مبتدأ محذوف تقديره

ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر
رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف
او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه
الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية
علما للغراب للتعريف والتانيث واما قوله عليه السلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا
غفر له ما تقدم من ذنبه فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم
فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا
اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القران اي ابتدئ فيه انزاله
وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل
في شانه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي عليه السلم نزلت صحف ابرهيم
اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقران
لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفاء
لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب
الصوم فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القران اي انزل
وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بين
الحق والباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر
ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع
المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع
وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة
اي صلوتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له
لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ

قرينة يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر
فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر
والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخره
على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر
بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل
لفعله او معطوف على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا
ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى
بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر
وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم
برواية ابي بكر ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني فاني قريب اي فقل
لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه تعالى بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم
بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله عليه السلم اقريب
ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير
للقرب ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة
كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم
يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها
واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير
والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم
مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال احل لكم ليلة
الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا احل لهم

الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضه باشر بعد العشاء
فندم واتى النبي عليه السلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء
فنزلت وليلة الصيام الليلة التي تصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد
يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء و
ايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم و
انتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن
لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما
على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت
فكانت عليه لباسا ولان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله
انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من
الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه
وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم وفيه دليل على جواز
نسخ السنة بالقران والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا
ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر
ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر
وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله
لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول
ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود
واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك
خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان تكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر
وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون

يأكلون ويشربون حتى تبيّنا لهم فنزل ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير
البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفي اولا باجتهادهم في ذلك ثم صرّح بالبيان لما التبس
على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم
المصبح جنبا **ثم أتموا الصيام الى الليل** بيان آخر وقته **ولا تباشروهن وأنتم
عاكفون في المساجد** معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد
بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع
فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء
يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد **تلك حدود الله** اي الاحكام
التي ذكرت **فلا تقربوها** نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني
الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن
رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود
الله محارمه ومناهيه **كذلك** مثل ذلك التبيين **يبين الله آياته للناس
لعلهم يتقون** مخالفة الاوامر والنواهي **ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل** اي ولا يأكل بعضكم
مال بعض على الوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال **و
تدلوا بها الى الحكام** عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا
حكومتها الى الحكام **لتأكلوا** بالتحاكم **فريقا** طائفة **من اموال الناس بالاثم**
بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم **وانتم تعلمون** انكم
مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى
على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وآله بان
يحلف امرؤ القيس فهمّ به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله ان الذين يشترون بعهد الله
وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل على

ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الي
ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء
من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار **يسألونك عن الأهلة** سأله معاذ بن جبل
وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدا **قل هي مواقيت للناس والحج** انهم سألوا عن الحكمة في اختلاف
حال القمر وتبدل امره فامره الله بان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم
للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها خصوصا
الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق
بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها
والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر **وليس البر بان تأتوا البيوت** وقرأ
ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا
فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا
فبين لهم انه ليس ببر وانما البر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله
انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج
ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا
السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان
اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم
السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر
ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله **وأتوا البيوت
من ابوابها** اذ ليس في العدول بر وباشروا الامور من وجوهها **واتقوا الله**
في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله **لعلكم تفلحون** لكي تظفروا بالهدى

والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لإعلاء كلمته وإعزاز دينه الذين
يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل أن أمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين
وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ و
الصبيان والرهبنة والنساء أو الكفرة كلهم فإنهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده
ويؤيد الأول ما روي أن المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وآله عام الحديبية وصالحوه
على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون
أن لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا
بابتداء القتال أو بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة والمثلة وقتل من
نهيتم عن قتله إن الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم
حيث وجدتموهم في حل أو حرم وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء علما كان أو عملا
وهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فإما تثقفوني فاقتلوني فمن
أثقف فليس إلى خلود وأخرجوهم من حيث أخرجوكم أي مكة وقد فعل ذلك بمن
لم يسلم يوم الفتح والفتنة أشد من القتل أي المحنة التي يفتتن بها الإنسان
كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم
في الحرم وصدهم إياكم عنه أشد من قتلكم إياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فإن قاتلوكم
فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فإنهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي
ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا
بنو أسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا
فإن انتهوا عن القتال والكفر فإن الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان

فيه نصيب فإن انتهوا عن الشرك فلا عدوان إلا على الظالمين أي فلا تعتدوا على
المنتهين إذ لا يحسن أن يظلم إلا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه
للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أنكم إن تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين
وينعكس الأمر عليكم والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام
قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء
فيه فكرهوا أن يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا
به والحرمات قصاص احتجاج عليه أي كل حرمة وهو ما يجب أن يحافظ عليها
يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا
عليهم عنوة واقتلوهم إن قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا
إلى ما لم يرخص لكم واعلموا أن الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم وأنفقوا
في سبيل الله ولا تمسكوا كل الإمساك ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بالإسراف
وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه فإنه يقوي العدو
ويسلطهم على إهلاككم ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال لما أعز الله
الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت
أو بالإمساك وحب المال فإنه يؤدي إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا
وهو في الأصل انتهاء الشيء في الفساد والإلقاء طرح الشيء وعدي بإلى لتضمن
معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالأيدي الأنفس والتهلكة والهلاك والهلك
واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة أي لا توقعوا أنفسكم إلى الهلاك وقيل
معناه لا تجعلوها آخذة بأيديكم أو لا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها فحذف المفعول
وأحسنوا أعمالكم وأخلاقكم أو تفضلوا على المحاويج إن الله يحب

المحسنين **وأتموا الحج والعمرة لله** ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا
يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله
العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا قال
لعمر رضي الله عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة
نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب
اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس و
قيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده
لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او تكون النفقة حلالا **فإن أحصرتم** منعتم يقال
حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر
العدو عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس
لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي
عنه عليه السلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال
لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني
فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا
ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من
بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي
من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امار فاذا جاء اليوم
وظن انه ذبح تحلل لقوله **ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله** اي لا تحلوا حتى
تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون
بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي
دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان

والهدي

والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي في جمع مطية
فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق **أو به أذى من رأسه** كجراحة او قمل **ففدية**
فعليه فدية ان حلق **من صيام أو صدقة أو نسك** بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي
انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق
وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة اصوع
فإذا أمنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة **فمن تمتع بالعمرة إلى الحج** فمن استمتع
واستمتع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع
بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج **فما استيسر من الهدي**
فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه وقال
ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية **فمن لم يجد** اي الهدي **فصيام ثلاثة أيام في الحج**
في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين
والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق
عند الاكثرين **وسبعة إذا رجعتم** الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم
من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام
تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن
وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب
وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما **كاملة** صفة مؤكدة
تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي
الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي **ذلك** اشارة الى
الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده
فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية **لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام** وهو من كان من

الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فانه مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك **واتقوا الله** في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج **واعلموا ان الله شديد العقاب** لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان **الحج اشهر معلومات** معروفات هي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل واطلاقا للجمع على ما فوق الواحد **فمن فرض فيهن الحج** فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا وبالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام **فلا رفث** فلا جماع او فلا فحش من الكلام **ولا فسوق** ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات **ولا جدال** ولا مراء مع الخدم والرفقة **في الحج** في ايامه نفي الثلثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرا ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه **وتزودوا فان خير الزاد التقوى** وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل

اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس **واتقون يا اولي الالباب** فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب **ليس عليكم جناح ان تبتغوا** في ان تبتغوا اي تطلبوا **فضلا من ربكم** عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت **فاذا افضتم من عرفات** دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيها العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال عرفت او لان ادم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة الذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب في الاطلاق **فاذكروا الله** بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين **عند**

المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر **واذكروه كما هديكم** كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة **وان كنتم من قبله** اي الهدى **لمن الضالين** اي الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين **ثم افيضوا من حيث افاض الناس** اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناسي بالكسر اي الناسي يريد ادم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه **واستغفروا الله** من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه **ان الله غفور رحيم** يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه **فاذا قضيتم مناسككم** فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها **فاذكروا الله كذكركم آباءكم** فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر ابائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم **او اشد ذكرا** اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من اباءكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم **فمن الناس من يقول** تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد الحث على الاكثار والارشاد اليه **ربنا آتنا في الدنيا** اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا **وما له في الآخرة من خلاق** اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق **ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة** يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير **وفي الآخرة حسنة** يعني الثواب والرحمة **وقنا عذاب النار** بالعفو والمغفرة وقول علي بن ابي طالب رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها **اولئك** اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما **لهم نصيب مما كسبوا** اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال **والله سريع الحساب** يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا بالطاعات واكتساب الحسنات **واذكروا الله في ايام معدودات** كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق **فمن تعجل** فمن استعجل النفر **في يومين** يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده **فلا اثم عليه** باستعجاله **ومن تاخر فلا اثم عليه** ومن تاخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخير التخيير والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر **لمن اتقى** اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله

بمعنى

حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما **واتقوا الله** في مجامع اموركم ليعبأ بكم **واعلموا انكم اليه تحشرون** للجزاء بعد الاحياء، واصل الحشر الجمع وضم المتفرق **ومن الناس من يعجبك قوله** يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه **في الحيوة الدنيا** متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام **ويشهد الله على ما في قلبه** يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه **وهو الد الخصام** شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وآله ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم **واذا تولى** ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا **سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل** كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زرعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل **والله لا يحب الفساد** لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه **واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم** حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه **فحسبه جهنم** كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب **ولبئس المهاد** جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب **ومن الناس من يشري نفسه** يبيعها ببذلها في الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل **ابتغاء مرضات الله** طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في

صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة **والله رؤوف بالعباد** حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء **يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة** السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم كالحرب قال:

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب تكفيك من انفاسها جرع

والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** بالتفرق والتفريق **انه لكم عدو مبين** ظاهر العداوة **فان زللتم** عن الدخول في الاسلام **من بعد ما جاءتكم البينات** الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق **فاعلموا ان الله عزيز** لا يعجزه الانتقام **حكيم** لا ينتقم الا بحق **هل ينظرون** استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده **الا ان يأتيهم الله** اي يأتيهم امره او بأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم **في ظلل** جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال **من الغمام** السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير **والملائكة** فانهم الوسائط في اتيان امره او الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل

او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه ووضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور
قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل
بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول
سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم
من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي
الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع
بالابتداء على حذف العائد من الخبر الى المبتدا وآية مميز لها ومن للفصل ومن يبدل
نعمة الله اي آياته فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم يجعلها سبب الضلالة
وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه
وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره
فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب
اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها
قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله اذ ما من شيء
الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة
الحيوانية وما خلق فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون
من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن
بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا السخرية مبتدأة
منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او
لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا
وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم

للتقوى

للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا
استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم و
ادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله
فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل
منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب
يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم
وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا
به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق
الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين
اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف
سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم
على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف
من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به
النبي والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا
لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يأتكم
ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعلت مقابل قد مثل
الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء
بيان له على الاستئناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم
من الشدائد حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث

تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض
حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتأخره الا ان نصر الله قريب استئناف
على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة
الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد
والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك
ماذا ينفقون عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمرو بن الجموح الانصاري كان هما ذا مال
عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم
من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق
فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في
سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الاية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله
ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه
اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الاية ما ينافيه فرض الزكوة
لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر
نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف
والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته
كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع
ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا
شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي
بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم
ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة
وان لم تعرف عينها يسألونك عن الشهر الحرام روي انه عليه السلام بعث عبد الله بن

جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم
عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها
تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش
استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق
على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله الغنيمة وهو اول
غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل
اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال عن الشهر وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل
قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الاية
على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا تعم وصد
صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات
وكفر به اي بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول
ابي دؤاد أكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله
لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف
على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار و
اخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته
السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر للاشياء الاربعة المعدودة من كبار قريش
وافعل مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل
اي ما ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوا من قتل الحضرمي ولا يزالون
يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم

لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة
ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت
بي فلا تبق علي وهو ايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو
كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب
الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا
لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والاخرة لسقوط الثواب
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت ايضا
في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء
اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع
في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوه خطأ وقلة احتياط
رحيم باجزال الثواب والاجر يسألونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله
ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فاخذ المسلمون يشربونها
ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة رضي الله عنهم قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة
للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص
في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه
انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا في الخمر
بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب
والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا

كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند
اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب او التمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل
شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر
او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير
من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المامور وارتكاب المحظور وقرا حمزة والكسائي كثير بالثاء
ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا
تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي
تنشا منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولذلك قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة
اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسألونك
ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق ثم سال عن كيفية
الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة العفو وهو ان ينفق
ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي
في سورتي حين اغضب وروي ان رجلا اتى النبي عليه السلام ببيضة من ذهب اصابها في
بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرره مرارا فقال هاتها مغضبا
فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس
يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل ما بين
ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر
محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب جمع على تاويل
القبيل او الجمع لعلكم تتفكرون في الدلايل والاحكام في الدنيا والاخرة
في امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم
او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون

اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر ذلك لرسول الله
فنزلت قل اصلاح لهم خير اى مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان
تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اى انهم اخوانكم فى الدين ومن حق الاخ
ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح
وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اى يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله
لاعنتكم اى ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اى كلفكم ما يشق عليكم من العنت
وهى المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات
حكيم يحكم ما يقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اى ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات
لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكن خصت عنها بقوله والمحصنات من
الذين اوتوا الكتاب روى انه عليه السلام بعث مرثدا الغنوى الى مكة ليخرج منها اناسا
من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها فى الجاهلية فقالت الا نخلو فقال ان
الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال نعم ولكن استامر
رسول الله فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اى ولامراة مؤمنة
حرة كانت او مملوكة فان الناس عباد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها
والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا
منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك و
لو اعجبكم تعليل للنهى عن مواصلتهم وترغيب فى مواصلة المؤمنين اولئك
اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اى الكفر
المؤدى الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله اى اولياؤه يعنى المؤمنين

حذف

حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم يدعو الى الجنة والمغفرة
اى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيقه وتيسيره
او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون لكى يتذكروا او ليكونوا
بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسالونك
عن المحيض روى ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل
اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح فى نفر من الصحابة عن ذلك
فنزلت والمحيض مصدر كالمجئ والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسالونك بغير واو
ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت فى اوقات متفرقة والثلثة الاخيرة كانت
فى وقت واحد فلذلك ذكرها بلفظ الجمع قل هو اذى الحيض مستقذر مؤذ من
يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء فى المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام
انما امرتم ان تعتزلوا النساء مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت
كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا
يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه
بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان الغاية
وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائى وعاصم فى رواية
ابن عياش يطهّرن اى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن
فاتوهن فانه يقتضى تاخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت
لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اى المأتى الذى
امركم به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين
المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى نساؤكم
حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى فى ارحامهن من النطف

بالبذور **فأتوا حرثكم** فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من
حيث أمركم الله **أنى شئتم** من أي جهة شئتم روي أن اليهود كانوا يقولون
من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
تكذيبا لهم **وقدموا لأنفسكم** ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل
التسمية على الوطء **واتقوا الله** بالاجتناب عن المعاصي **واعلموا أنكم ملاقوه**
فتزودوا ما لا تفتضحون به **وبشر المؤمنين** الكاملين في الإيمان بالكرامة والنعيم
الدائم أمر الرسول عليه السلام أن ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل أمره منهم **ولا تجعلوا
الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس** نزلت في الصديق رضي الله عنه
لما حلف أن لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة أو في عبد الله بن رواحة حلف
أن لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين أخته والعرضة فعلة بمعنى
المفعول كالقبضة تطلق لما تعرض دون الشيء وللمعرض للأمر ومعنى الآية على الأول
لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من أنواع الخير فيكون المراد بالأيمان الأمور
المحلوف عليها لقوله عليه السلام لابن سمرة إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها
فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وأن مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة
عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز أن يكون للتعليل ويتعلق أن بالفعل أو
بعرضة أي ولا تجعلوا الله عرضة لأن تبروا لأجل أيمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه
معرضا لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع
كل حلاف مهين وأن تبروا علة النهي أي أنهاكم عنه إرادة بركم وتقواكم وإصلاحكم
بين الناس فإن الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا
به في إصلاح ذات البين **والله سميع** لأيمانكم **عليم** بنياتكم **لا يؤاخذكم الله
باللغو في أيمانكم** اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين

وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وقال أبو حنيفة اللغو أن يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما أخطأتم
فيه من الأيمان ولكن صح

ما لا عقد معه كما سبق به اللسان أو تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله
وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله **ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم** والمعنى لا يؤاخذكم الله
بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما أو بأحدهما بما قصدتم
من الأيمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب **والله غفور** حيث لم يؤاخذ باللغو
حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة **للذين يؤلون
من نسائهم** أي يحلفون على أن لا يجامعوهن والإيلاء الحلف وتعديته بعلى
ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن **تربص أربعة أشهر** مبتدأ
ما قبله خبره أو فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف أضيف
إلى الظرف على الاتساع أي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء
ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا إيلاء إلا في أكثر من أربعة أشهر ويؤيده **فإن
فاءوا** أي رجعوا في اليمين بالحنث **فإن الله غفور رحيم** للمولي إثم حنثه إذا
كفر أو ما توخى بالإيلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة **وإن عزموا
الطلاق** وإن صمموا قصده **فإن الله سميع** لطلاقهم **عليم** بغرضهم فيه
وقال أبو حنيفة الإيلاء في أربعة أشهر فما دونها وحكمه أن المولي إن فاء في المدة
بالوطء إن قدر والوعد إن عجز صح الفيء ولزم الواطئ أن يكفر وإلا بانت بعدها
بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة بأحد الأمرين فإن أبى عنهما طلق عليه الحاكم
والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الأقراء لما دلت الآيات والأخبار
أن حكم غيرهن خلاف ما ذكر **يتربصن** خبر في معنى الأمر وتغيير العبارة للتأكيد
والإشعار بأنه مما يجب أن يسارع إلى امتثاله وكأن المخاطب قصد أن يمتثل الأمر
فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد
بأنفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فإن نفوس النساء طوامح إلى الرجال

فأمرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص **ثلاثة قروء** نصب على الظرف او المفعول
اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه السلم دعي الصلوة
ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين الحيضتين لقول الاعشى لما ضاع فيها من
قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الاية الدالة
على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت
عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلم طلاق الامة تطليقتان
وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر رض مره فليراجعها
ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل
ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس
ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد
من البناءين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة
فحسن بناؤها **ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن** من الولد والحيض
استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك
ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل
التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل **وبعولتهن**
اي ازواج المطلقات **احق بردهن** الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان
الطلاق رجعيا فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر
وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر
من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل
بعولتهن وافعل هنا بمعنى الفاعل **في ذلك** في زمان التربص **ان ارادوا**
اصلاحا بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة

بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف** اي ولهن حقوق
على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس **وللرجال**
عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر و
الكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن
في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق **والله عزيز** يقدر على الانتقام
ممن خالف الاحكام **حكيم** يشرعها لحكم ومصالح **الطلاق مرتان** اي التطليق الرجعي
اثنان لما روي انه سئل عليه السلم اين الثالثة فقال عليه السلم او تسريح باحسان وقيل
معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين
التطليقتين والثلث بدعة **فامساك بمعروف** بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو
يؤيد المعنى الاول **او تسريح باحسان** بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين و
على المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقيب تعليمهم كيفية التطليق **ولا يحل لكم ان**
تأخذوا مما آتيتموهن شيئا اي من الصدقات روي ان جميلة اخت عبد الله
بنت ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وآله
فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكني
اكره الكفر في الاسلام وما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة
فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة
اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند
الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على
القراءة المشهورة **الا ان يخافا** اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير
الخوف بالظن **الا يقيما حدود الله** بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرأ
حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال

وقرئ تخافا ويقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما على الرجل فيما افتدت به في اخذ ما افتدت نفسها واختلعت وعلى المرأة في اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حدد من الاحكام فلا تعتدوها فلا تعتدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزوائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امرأة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه السلام قال لجميلة أتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ

الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق ثلثا والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهية وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا اي يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم هاهنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي ينتهي به قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الاية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم في بعض الصور للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون بما فيها من قولهم لمن لم يجد فيما امر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزؤ واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث جدهن جد

وهذا يعم جميع الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية
وبعثة محمد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القران والسنة
افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان
الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن
وعن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن
المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة
ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها
اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب
توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا
يتركوهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج
وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون
به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت
بيضتها فلم تخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا
تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروءة حال عن الضمير المرفوع
او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كاينا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج
من غير كفو غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل القبيل
او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين
المخاطبين او للرسول عليه السلام على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه
امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ
والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الاثام
والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات

يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا
لم يرتضع الصبي الا من الام او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات
تعم المطلقات وغيرهن وقيل تختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة
الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك
لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة
والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ولا عبرة به بعدهما
وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد
يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن
المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام
فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف
حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن
والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه
لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اي لا يكلف
العبد بما لا يطيقه كل منهما الاخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على
القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى
الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر الوالدة الولد
فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ ولا تضار بالسكون مع التشديد
على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها
تارة والى الاب اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه
والاشفاق عليه فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك

عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث
وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين
من قوله واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما
عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو
مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب
من الرزق والكسوة **فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور** اي فصالا صادرا
عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة
استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته **فلا جناح عليهما** في ذلك وانما
اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به
لغرض او غيره **وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم** اي تسترضعوا المراضع اولادكم
يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته
اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه **فلا جناح عليكم** فيه واطلاقه يدل
على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع **اذا سلمتم** الى المراضع
ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن كثير ما اتيتم
من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة
بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى
والاصلح للطفل **واتقوا الله** مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال و
المراضع **واعلموا ان الله بما تعملون بصير** حث وتهديد **والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا** اي وازواج الذين او
الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم

وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها
غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون
صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير
ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى
الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها
وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي والحرة والامة كما قاله
الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه
لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها
تعتد باقصى الاجلين احتياطا **فاذا بلغن اجلهن** اي انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم**
ايها الائمة والمسلمون جميعا **فيما فعلن في انفسهن** من التعرض للخطاب وسائر
ما حرم عليها للعدة **بالمعروف** بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن
ما ينكره فعليهم ان يكفوهن وان قصروا فعليهم الجناح **والله بما تعملون خبير** فيجازيكم عليه
ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما
لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء
بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة
بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خص بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة
والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان تقول لها انك جميلة او نافقة
ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك **او اكننتم في انفسكم** او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه
تصريحا ولا تعريضا **علم الله انكم ستذكرونهن** ولا تصبرون على السكوت عنهن
وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ **ولكن لا تواعدوهن سرا** استدراك عن محذوف
دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر

عن الوطي لانه يُسِرّ ثم عن العقد لانه سببه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان
المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن **الا ان تقولوا قولا معروفا** وهو ان
تعرّضوا ولا تصرّحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا
معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرًّا وهو
ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل
تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في
معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه **ولا تعزموا عقدة النكاح** ذكر العزم
مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه
لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع **حتى يبلغ الكتاب اجله**
حتى ينتهي ما كتب من العدة **واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم** من العزم على
ما لا يجوز **فاحذروه** ولا تعزموه **واعلموا ان الله غفور** لمن عزم ولم يفعل
خشيةً من الله **حليم** لا يعاجلكم بالعقوبة **لا جناح عليكم** لا تبعة من مهر و
قيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وآله
يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجًا فنفي **ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن**
اي تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القرآن
او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض
تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ
من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة
المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرًا اذ لو كانت ممسوسة
فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى
فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي على الجملة في الآخرين

ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة
جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى رأي الحاكم ويؤيده قوله **على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره** اي على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال ما
يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امرأته المفوضة قبل
ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال
الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص
ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة
المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأ حمزة والكسائي وحفص و
ابن ذكوان بفتح الدال **متاعا** تمتيعا **بالمعروف** بالوجه الذي يستحسنه الشرع
والمروة **حقا** صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا **على المحسنين**
الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع و
سماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا **وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم** لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها
اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثمة
تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها **الا ان يعفون** اي المطلقات
فلا ياخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو في الاول
ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني
ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه **او يعفو الذي بيده
عقدة النكاح** اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير
فيسوق المهر اليها كملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر
بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن

وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي **وان تعفوا اقرب للتقوى**
يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة
على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء
عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد
عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق
وقال انا احق بالعفو **ولا تنسوا الفضل بينكم** اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم
على بعض **ان الله بما تعملون بصير** لا يضيع تفضلكم واحسانكم **حافظوا على
الصلوات** بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام
الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها **والصلوة الوسطى**
اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه السلم
يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها
لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار
وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه السلم افضل العبادات
احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوة الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك
بينهما ولانها مشهود وقيل المغرب لانها المتوسط بالعدد ووتر النهار وقيل
العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة انه عليه السلم كان يقرأ
والصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر
لانفرادهما في الفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص والمدح **وقوموا لله** في الصلوة
قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب
المراد به القنوت في الصبح **فان خفتم** من عدو او غيره **فرجالا او ركبانا**
فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام

وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا
يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف **فاذا امنتم** وزال خوفكم **فاذكروا الله**
صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن **كما علمكم** ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة
حالتي الامن والخوف او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة **ما لم تكونوا تعلمون**
مفعول علمكم **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم** قرأها بالنصب
ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون
وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية
ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون
بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون
اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها **متاعا الى الحول**
نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى
التمتيع **غير اخراج** بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول
او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا
قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول
الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة
فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها
بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة **فان خرجن** عن منزل الازواج **فلا جناح
عليكم** ايها الائمة **فيما فعلن في انفسهن** كالطيب وترك الحداد **من معروف**
مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه
وانما كانت متخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها **والله عزيز**
ينتقم ممن خالفه منهم **حكيم** راعى مصالحهم **وللمطلقات متاع بالمعروف**

حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن
وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك
اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم
المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرير
القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله
لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا
ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم تر
تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب
من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجيب الى الذين خرجوا من ديارهم
يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين
فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره
او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله
ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون
وقيل سبعون وقيل متالفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو
للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا
فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله
ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم
قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم
فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد
والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل

على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم احوالهم لتستبصروا
ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار
والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص
وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر
والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو
من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء
وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي به يطلب ثوابه
قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا
وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه
اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى
فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع
وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد
بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول
لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع
والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته
فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأ نافع والكسائي والبزي وابو بكر
بالصاد ومثله في الاعراف في قوله تعالى في الخلق بسطة واليه ترجعون فيجازيكم
على ما قدمتم الم تر الى الملأ من بني اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له
كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا
لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله
اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل

على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما
ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل
بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل
التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل
الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا
ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة
كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا
ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم
القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين
وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت
علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف فيه منع صرفه روي ان النبي
لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك منه
ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له
يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من
اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن
يعقوب والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم
لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء
الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم
ليتمكن به من معرفة امور السياسة وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى

على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم
يمد يده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا
بانه واسع الفضل يوسع الفضل على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسب و
غيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم
ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه
ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما
ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من
خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير
للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه
وهو التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون
وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها
وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا
وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد صلى الله عليه وآله وقيل
التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه تصيير قلبه مقر العلم
والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح و
عصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما وآل مقحم لتفخيم
شانهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله
بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون
به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت
فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين
فساقتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون

من تمام كلام النبي صلعم وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى **فلما فصل طالوت بالجنود**
انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله
صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه
ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري
الله لهم نهرا **قال ان الله مبتليكم بنهر** معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه
فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي **ومن لم يطعمه فانه مني**
اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم
نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي **الا من**
اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية
للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا
والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين **فشربوا منه**
الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول
ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى
فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا
وقيل اربعة آلاف وقيل الفا روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته
ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد
الاخرة **فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه** اي القليل الذين لم يخالفوه **قالوا**
اي بعضهم لبعض **لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده** لكثرتهم وقوتهم **قال الذين**
يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله و
توقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل
الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا

للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله**
بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس
من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة **والله مع الصابرين**
بالنصر والاثابة **ولما برزوا لجالوت وجنوده** اي ظهروا لهم ودنوا منهم **قالوا ربنا**
افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا الى الله بالدعاء وفيه
ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في
مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا **فهزموهم باذن الله**
فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم **وقتل داود جالوت**
قيل كان ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان
صغيرا يرعى الغنم فاوحى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه
في الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله
ثم زوجه طالوت بنته **وآتاه الله الملك** اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا
قبل داود على ملك **والحكمة** النبوة **وعلمه مما يشاء** كالسرد وكلام الدواب
والطير **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين**
ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف
بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم وقرأ نافع هنا
وفي الحج دفاع الله **تلك آيات الله** اشارة الى ما قص من حديث الالوف و
تمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت **نتلوها**
عليك بالحق بالوجه الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ **وانك**
لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع **تلك الرسل** اشارة الى
الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل

واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره
منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى عم وقيل موسى ومحمد صلى الله عليهما كلم موسى
ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما
بون بعيد وقرى كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك
قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه
متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد عليه السلم فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة
والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية و
العملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه وكانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى
عن التعيين وقيل ابرهيم خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى
ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات
وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه
وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها ايات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره
ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل
من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا
ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر
لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد
فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والاية دليل على ان الانبياء متفاوتة
الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض لكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق
بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها
الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان ياتي
يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تدارك

ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب
ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحونكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له
قولا حتى تتكلوا على شفعاء يشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلثتها مع قصد
التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد التاركون للزكوة هم الذين
ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون
موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان ومن لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة
من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو
مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر
مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو
واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق
وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور
يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه
سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ
من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس
راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه
وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحيوة قاصرا
في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات
وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما
ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات
والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه و

كفره

انه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا
ان يعاوقه عنادا او مناصبة **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم** ما قبلهم وما بعدهم
او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة
او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في
السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء **ولا يحيطون
بشيء من علمه** من معلوماته **الا بما شاء** ان يعلموا وعطفه على ما قبله
لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته **وسع كرسيه
السموات والارض** تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا
قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه مأخوذ من كرسي العالم او الملك وقيل جسم بين يدي
العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلم ما السموات
السبع والارض السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي
كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم
لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس وهو الملبد
ولا يؤده ولا يثقله مأخوذ من الاود وهو الاعوجاج **حفظهما** السموات و
الارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول **وهو العلي** المتعالي
عن الانداد والاشباه **العظيم** المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية
مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية
متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه
المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا
يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش

الشديد

الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم الاشياء كلها جليها وخفيها كليها
وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا
يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلم ان اعظم
آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد
من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول
الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه
امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله **لا اكراه في الدين**
اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن **قد تبين الرشد
من الغي** تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد
يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل
متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج
الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ
بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان
انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما
وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت **فمن يكفر بالطاغوت** بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله
او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه **ويؤمن بالله**
بالتوحيد وتصديق الرسل **فقد استمسك بالعروة الوثقى** طلب الامساك من نفسه
بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك المحق من النظر الصحيح و
الرأي القويم **لا انفصام لها** لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته
والله سميع بالاقوال **عليم** بالنيات ولعله تهديد على النفاق **الله ولي**

الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن
يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى و
قبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى
الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما
او استيناف مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين
او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات
من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات
او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا
عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يأبى تعلق
قدرته تعالى وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير
ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم الم تر الى الذي حاج
ابرهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك لان
آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة
العكس كقولك عاداني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة
على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابرهيم ظرف لحاج
او بدل من آتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحيوة والموت
في الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن
القتل والقتل وقرأ نافع انا بالالف قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس
من المشرق فأت بها من المغرب اعرض عم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة
الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة
عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره

لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله تعالى
فنقضه ابرهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابرهيم
الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه فبهت
الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابرهيم الكافر والله لا يهدي
القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم
محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره
او ارأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير
والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام
الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي
حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابرهيم عم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او
ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث
ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي
خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية
على عروشها خالية ساقط حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها
اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا
واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف
فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته فلبث ميتا مائة عام
ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان
كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما
او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبل الغروب
فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية منها فقال او بعض يوم

على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان
واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء السكت ان قدرت
واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحما المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي
البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه
تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وانظر الى حمارك
كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء
وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما
بعده ولنجعلك اية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك اية روي انه اتى قومه
على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله
فعرفوه بذلك فقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا
فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار
او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها
الى البعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر
اليها محياة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى
وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل
تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم
ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين
له ما اشكل عليه وقرا حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه
خاطبها به على طريق التبكيت واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سال
ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احياء الله
برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى

تقرير

تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال
اولم تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه
اعرق الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي اي بلى امنت ولكن سالت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى
الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة
ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتاتى
باماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها
الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى
الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان
والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك
لتتاملها وتعرف شانها لئلا تلتبس عليك بعد الاحياء وقرا حمزة ويعقوب
فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع
يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم
الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال
التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين
باذن الله ياتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه
امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها فيخلط ساير اجزائها
ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت
جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه
بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض

حتى يتكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع
وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال
انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان
اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة
في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل
نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند
الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب
منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه
وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة
لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تفاوت
الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة
عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم
لا يتبعون ما انفقوا منا نزلت في عثمان فانه جهز جيش العسرة بالف بعير
باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي عليه السلم باربعة آلاف
درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه ولا اذى ان يتطاول عليه
بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند
اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا
قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاحه او نيل مغفرة
من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من

صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة
والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة
يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد
منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذي
يرائي بانفاقه ولا يريد به رضا الله ولا ثواب الآخرة او مماثلين الذي ينفق رئاءه والكاف
في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او
المصدر اي انفاق رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل
حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب
لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير
للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله ان الذي حانت بفلج
دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء
والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان
فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه
ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه تنبيه على
ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي و
مثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا
وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم ربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها
اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل
كما اريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال

اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل
او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير
القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا يضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما ينضم اليها من احوالهم ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة
ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون
بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص أيود أحدكم الهمزة فيه للانكار
أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات
جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما
ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز
ان يكون المراد بالثمرات المنافع وأصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة و
العالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكأنه قيل أيود
احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم
على الكسب فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار
المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود و
المعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء
في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال
من هذا شانه واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب
الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه
هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون
بها يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما
أخرجنا لكم من الأرض اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن

فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا الرديء منه اي
من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تأمموا ولا
تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق منه به
ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم بآخذيه اي وحالكم انكم لا تأخذونه
في حقوقكم لرداءته إلا أن تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غض
وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا
يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا أن الله غني عن انفاقكم
وانما يأمركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر
في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون و
بضمتين وفتحتين ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا
وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم
وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او الآخرة والله واسع اي واسع الفضل
لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء
مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول
لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد أوتي خيرا كثيرا اي اي
خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات او وما يتفكر
فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة إلا أولو الألباب ذوو العقول
الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما أنفقتم من نفقة قليلة
او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل أو نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط
في طاعة او معصية فإن الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون
في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور من أنصار

من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه **إن تبدوا الصدقات فنعما هي** فنعم شيئا ابداؤها
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر
وقالون بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء **فهو خير لكم** فالاخفاء
خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة
وعن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا **ويكفر**
عنكم من سيئاتكم قرأه ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر او الاخفاء وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة
فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة و
الكسائي مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل
للصدقات **والله بما تعملون خبير** ترغيب في الاسرار **ليس عليك هداهم** لا يجب
عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح
كالمن والاذى وانفاق الخبيث **ولكن الله يهدي من يشاء** صريح بان الهداية
من الله وبمشيته وانها تخص بقوم دون قوم **وما تنفقوا من خير** من نفقة معروفة
فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث **وما**
تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكأنه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين
الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء
وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي **وما تنفقوا**
من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة
او ما يخلف للمنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا
روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون

عليهم

عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوا عليهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز
صرفه الى الكافر **وانتم لا تظلمون** اي لا تنقصون ثواب نفقتكم **للفقراء** متعلق
بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء او صدقاتكم للفقراء
الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد **لا يستطيعون** لاشتغالهم به **ضربا**
في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء
المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون
في كل سرية بعثها رسول الله صلعم **يحسبهم الجاهل** بحالهم **اغنياء من التعفف**
من اجل تعففهم عن السؤال **تعرفهم بسيماهم** من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول
او لكل احد **لا يسألون الناس الحافا** الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه
من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان
سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره
ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال **وما تنفقوا من خير فان**
الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء **الذين ينفقون اموالهم بالليل**
والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر تصدق
باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية
وقيل في علي لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا
وبدرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها **فلهم اجرهم عند ربهم**
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر للذين ينفقون والفاء للسببية وقيل
للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية **الذين يأكلون**
الربوا اي الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شائع
في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل

او في العوض بان يباع احدهما باكثر من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على
لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على
ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء
من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك
قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل
الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال
عقلهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا
انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في
سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا
مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق
بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين
فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع
وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص
فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى
فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع
الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه
اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن
قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد
الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به
يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات

نضاعف

نضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلم ان الله يقبل الصدقة ويربيها
كما يربي احدكم مهره وعنه ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب اي لا يرتضي
ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في
ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا
ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال
على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا
فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرا عاصم
وحمزة في رواية ابن عباس فاذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع
فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة
حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا
يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس
اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه
انهم ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل
مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة
اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن
نظرة وهي الانظار وقرئ فناظرة على الخبر اي فالمستحق ناظرة بمعنى منتظرة او
صاحب نظرة على طريق النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار
وقرا نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة

كقوله واخلفوك عدا الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء خير لكم
اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد
بالتصدق الانظار لقوله عليه السلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له
بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه
وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت
من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس
انها اخر اية نزل بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة
وعاش رسول الله صلعم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل
سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين اذا داين
بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او اخذا وفائدة ذكر
الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه
الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام
او الاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع
والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله
الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص
وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به
معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله
مثل ما علمه من كتبة الوثائق او ولا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله
بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها
بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن

الامتناع منها مطلقة ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي
عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي
او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما امل عليه فان كان
الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا
مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة
فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل
عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله
مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد
على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام
الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض
فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد
او فالمستشهد رجل وامراتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود
والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل
احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت
الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال
سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل
ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن
وقرا حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر
من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء
تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من
كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه

منه المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان
الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر
به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم
للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على
غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت
في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين و
قدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم
فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة
تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اى الا ان
تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب
عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة
كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا * اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا
ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا
اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الآية للاستحباب
عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ولا يضار كاتب
ولا شهيد يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ لا يضارر بالكسر والفتح وهو
نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار
بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب
جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار او ما نهيتم عنه
فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة
امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم

كرر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد
بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر
اى مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم
رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد
والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه
لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب في السفر الذي هو مظنة
اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن
كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن
بعضكم بعضا اى بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن
الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اى دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان
به وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذي تمن بادغام الياء في التاء وهو خطأ
لان الياء المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار
الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون والشهادة
شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اى يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة
خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن
زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وقرئ قلبه بالنصب
كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه
لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر
الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء
تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب

على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما
بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا
تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في
مثلها والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة آمن الرسول بما
أنزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به و
انه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين
راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح
وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما للتعظيم او لان ايمانه
عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه
يعني القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس و
الجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله
اي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ
لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه
في سياق النفي كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد
نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا وأطعنا امرك
غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد
الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها
فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها
كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على
امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها

ولا يتضرر

ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب
فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا
تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان وخطاء من
تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم
فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى
العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو
الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن
امتي الخطأ والنسيان ربنا ولا تحمل علينا إصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي
يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته
على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم
فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف بنو اسرائيل من قطع الاعضاء وقتل موضع
النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم
من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من
التكاليف التي لا يفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا
لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا
وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا
وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين
فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء المراد به عامة الكفرة روي انه عليه السلام
لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة
كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه
عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو

برد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي تذكر
فيها البقرة كما قال عليه السلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها
فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة ال عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو

انما فتح الميم في المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها
ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف
كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك
لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها
والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلم قال اسم الله الاعظم
في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي ال عمران الله لا اله الا هو الحي
القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القران نجوما
بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع
الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى
واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان
ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العربية وقرأ ابو عمرو
وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع القران ونافع وحمزة بين اللفظين
الا قالون فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل تنزيل القران
هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد
به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل
ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق بين الحق

والباطل

والباطل او الزبور او القران وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا
لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق
والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم
عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام
لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد
جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر
وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في
العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما
وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو
كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور
المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين
وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم
غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته
وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا
فيه رسول الله صلعم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم
واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها بان
حفظت من الاحتمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات
فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات
محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها
فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف
عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها

والتوقف منها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب احكمت آياته
فمعناه انها حفظت من فساد المعنى والركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه
انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف
معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف
لانه في معنى المعرف او عن آخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة
فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل ابتغاء
الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة
المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون
الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب والاول يناسب
المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تأويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله
والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه
بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد
الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد به يقولون
آمنا به استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ
كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولو الالباب
مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء
الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها
في تصوير الروح بالعلم وتزيينه وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها
جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب
قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو ابا بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور
نطفة اب وعن غير اب وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ

قلوبنا

قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى
اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه السلم قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن
ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا
بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر
باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك
او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة على الذنوب انك انت الوهاب لكل
سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده
لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه
في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق
بالاخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار
به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق
مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين
كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية
او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها
كدأب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد
بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر
والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن والذين
من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم
حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله
شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون

وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود
فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش
فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس
فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب
الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان
الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم
او استيناف وتقديره وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية
الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل
في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين
وكان قريبا من الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان
بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم
حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا
ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله وان يكن
منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما
على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل
والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة
معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك
اي في التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون
الواقعة آية اما تحتملها ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول عليه السلام لعبرة لاولي
الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات
اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا

شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي
ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه
الله او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم
وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة
الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة
منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او
المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك
متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع
وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية
قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا
عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير
ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها
بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قرأه عاصم
بضم الراء وهما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب
المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على
نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر و
اوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا
وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب
السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها
الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك

على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس
وهو منعها عن الرذايل وحبسها على الفضايل والصبر يشملهما واما بالبدن
وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة
واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار لان المغفرة
اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل
واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء
فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع
للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد
الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلايل الدالة عليها وانزال
الايات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج
عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قايما بالقسط مقيما
للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز
جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
او من هو والعامل معنى الجملة اي تفرد قايما او احقه لانه حال مؤكدة او على
المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته
صفة او حالا من الضمير وقرئ القايم بالقسط على البدل من هو او الخبر
لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم
به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما
وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير
او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه السلم قال يجاء بصاحبها
يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد

ادخلوا

ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين
عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام
وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلوات الله وسلامه عليه وقرا
الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه
وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل
على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة
في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون
مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم
قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى الا من بعد
ما جاءهم العلم اي من بعد ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالايات
والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر
ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك
في الدين جادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي
وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه
الرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى
والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين
اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ءاسلمتم
كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على الكفر ونظيره قوله فهل انتم منتهون
وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم
بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك

فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه
يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من
الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي
وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل
والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على
معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج
الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج
الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها وانشاء الحيوان
من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المومن من الكافر والكافر من المومن وقرا
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون
حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية
من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة
عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله
في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعادين لا يجتمعان
قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب
الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء
والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا او تخافوا وقرا يعقوب تقية
منع عن موالاتهم ظاهرا او باطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار
الموالاة ح جائز كما قال عيسى عم كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه

والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو
تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذور منه عقاب يصدر
منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله
اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في
السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على
عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه فكانه قال
ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم
المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها
قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد
صحايف اعمالها او جزاءها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم
وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت
من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود
وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى
لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد
والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رافة
بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه
بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان
كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله و
ذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة

وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته **يحببكم الله**
ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز
عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على
طريق الاستعارة او المقابلة **والله غفور رحيم** لمن تحبب اليه بطاعته و
اتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت
في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على
عهده عليه السلم انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل
قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا
فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم
لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله تعالى
وان محبته مخصوصة بالمومنين **ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابرهيم وآل
عمران على العالمين** بالرسالة والخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا
على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسول وبين انها الجالبة لمحبة الله
عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة
وآل ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلعم
وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن
يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن ابيعازار بن
ابي يود بن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن اوشا بن امون بن
ميشك بن حزقيا بن احاز بن يوثام بن عزازيا بن يورام بن ساقط بن
ايشا بن راخبعم بن سليمان بن داود بن ايشا بن عوبد بن سلمون
بن باعز بن نحشون بن عميناذب بن ارم بن حضروم بن فارص بن

يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة **ذرية بعضها من بعض**
حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها
من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع
فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت
والله سميع عليم باقوال الناس وافعالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل
او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها **اذ قالت امرات عمران رب اني نذرت لك
ما في بطني محررا** فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت
فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون
فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان
وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا
عجوزا فبينا هي في ظل شجرة اذ رات طايرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته
فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس
فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم
في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا **محررا** معتقا لخدمته
لا اشغله بشي او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال **فتقبل مني** ما نذرته **انك
انت السميع العليم** لقولي ونيتي **فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى**
الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان
تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل مونث كالنفس
والجبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا
ولذلك نذرت تحريره **والله اعلم بما وضعت** اي بالشي الذي وضعت وهو استيناف
من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم

ويعقوب ووضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا
او الانثى كان خيرا وقرئ وضعتُ على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى
بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت
واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان
فيما نذرت فيكون اللام للجنس واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من
مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها
ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة
وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك
اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي
بالحجارة وعن النبي صلعم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل
من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث
يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها
ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به
النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر
وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد
ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت
بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم
فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة
وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم
فتكفلها زكريا ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن
وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اوائل امرها حين ولدت

بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها
وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية
ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها
وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة
التي بنى لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان
كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما
وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان
يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا
الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل
ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت
صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون
من كلامهما وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلعم
رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو
مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين
وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه
في ذلك المكان او الوقت اذ يستعمل هنا وثمة وحيث للزمان لما راى كرامة مريم و
منزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز
العاقر وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ
فسال وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة

إنك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل
فان المنادي كان جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير
وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او حال
او حال عن الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرأ نافع وابن
عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك
ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة
من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات
التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا
يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا
مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه
الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من
عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعادا
من حيث العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني
الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة وامرأتي عاقر
لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء
اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز
عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك
الله مبتدأ وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك
خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لي آية
علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار
قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام اي ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثا

وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة
وكأنه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا
اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل
متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا
كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني
فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام
الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد
التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب
صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر
واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين
كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا او
ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا
قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل
انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر
من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية
كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها
آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة
في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع
اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا يوجب الترتيب او ليقترن
اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد
بالقنوت ادامة الطاعة لقوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود

الصلوة كقوله وأدبار السجود وقيل المراد بالركوع الخشوع والإخبات ذلك من أنباء الغيب
نوحيه إليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما
كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم
التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم
بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه
عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل أيهم يكفل مريم
متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا
ايهم يكفل وما كنت لديهم إذ يختصمون تنافسا في كفالتها إذ قالت الملائكة
بدل من إذ قالت الأولى وما بينهما اعتراض او من إذ يختصمون على ان وقوع الاختصام
والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم إن الله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة
كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع
واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم
يقم في موضع او مسحه جبرئيل ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف
لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي
تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف
به ويتميز عن غيره هذه الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون
عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها
تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا
فقد الاب وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة
لكنها موصوفة وتذكيره للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة

ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبته
الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام
الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا
والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن
الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضمير الذي في يكلم قالت رب انى
يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام
عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبرئيل
او الله وجبرئيل حكى لها قول الله تعالى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون
اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها
دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل كلام مبتدا ذكر
تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج
او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص
الكتابان لفضلهما وقرا نافع وعاصم ويعلمه بالياء ورسولا إلى بني إسرائيل
أني قد جئتكم بآية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ارسلت
رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق
فكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد
على من زعم انه مبعوث الى غيرهم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب
بدل من اني قد جئتكم او جر بدل آية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر
لكم واصور شيئا مثل صورة الطير فأنفخ فيه الضمير للكاف اي في
ذلك المماثل فيكون طيرا بإذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به
على ان احياءه من الله لا منه وأبرئ الأكمه والأبرص الاكمه الذي ولد اعمى او الممسوح

العين روي انه ربما يجمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد

وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هو الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلم قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجيا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصري وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دينه امنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا تسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات

على فلان

العايق عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى
السماء واليه ذهب النصارى ورافعك الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك
من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر
ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة لليهود
عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه ومن
كفر به وغلب المخاطب على الغايب فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين
فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين
واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له
وقرا حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك
اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا وخبره نتلوه عليك
وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان
العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه
والذكر الحكيم المشتمل على الحكم والمحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به
القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شانه الغريب كشان
آدم خلقه من تراب جملة مقررة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب
كما خلق آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد
الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله
ثم انشاناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم
لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف
اي هو الحق وقيل الحق مبتدا ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين

خطاب

خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريق التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى
فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا
هلموا بالراي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم
اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها
وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل
بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة
اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم
لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم ما ترى فقال
والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا
الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها
وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى
وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا الجزية الفي حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي
نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل
من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبا عيسى ومريم عليهما السلام لهو القصص
الحق بجملته ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شان عيسى ومريم حق دون ما ذكروه
وما بعده خبره واللام دخلته لانه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل المبتدا
وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا للرد على النصارى
في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة

ليشاركه في الالوهية فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ وعيد لهم ووضع المظهر موضع
المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي
الى فساد النفس بل والى فساد العالم قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ يعم اهل الكتابين
وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ لا يختلف
فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ان نوحده بالعبادة
ونخلص فيها وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة
ولا نراه اهلا لان يعبد وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ولا نقول عزير ابن
الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم
بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فَإِنْ تَوَلَّوْا عن التوحيد فَقُولُوا
اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا
بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى
في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى
وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم
فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها
وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم
الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم
وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ تنازعت اليهود والنصارى
في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله فنزلت والمعنى ان اليهودية

والنصرانية

والنصرانية حدثت بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى وكان ابراهيم قبل موسى
بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما أَفَلَا تَعْقِلُونَ فتدعون المحال هَا أَنْتُمْ
هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ها حرف تنبيه نبهوا بها
عن حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى
اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والانجيل
عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له في كتابكم من دين
ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أانتم على الاستفهام
للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما حاججتم فيه وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
وانتم جاهلون به مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان
وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مائلا عن العقائد الزائغة مُسْلِمًا منقادا لله وليس المراد
انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ تعريض بانهم
مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم
إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب لَلَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ من امته وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على
الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَوْ يُضِلُّونَكُمْ نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية
ولو بمعنى ان وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله
الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم وَمَا يَشْعُرُونَ وزره
واختصاص ضرره بهم يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ بما نطقت به التوراة والانجيل
ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون

لغته من الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل
بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التميز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد
وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور
وتكتمون الحق نبوة محمد ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه
وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار
اي اظهروا الايمان بالقران اول النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون واكفروا
اخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن
الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم
من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم
يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا
بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا
علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا
تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا
ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى
هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم
على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا
لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم
الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي
بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى
على الاستفهام للتقريع تؤيد الوجه الاول اي لان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان

على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا
لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين
الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير
لاحد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال
لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار كعبد الله بن سلام
استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار
لا يؤده اليك كفنحاص بن عازورا استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل
المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود
اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على راسه مبالغا
في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول
عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس
علينا في شأن من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون
على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا
ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش
فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك
في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا
وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه
اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استيناف
مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب عن الراجع
من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات

ولاجتناب عن المشاق إن الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا
عليه من الإيمان بالرسول والوفاء بالأمانات وأيمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله
لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة
ولا يكلمهم الله بما يسرهم أو بشيء أصلا وأن الملائكة يسألونهم يوم القيامة أو لا ينتفعون
بكلمات الله وآياته والظاهر أنه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر إليهم يوم القيامة
فإن من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما أن
من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر إليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب أليم
على ما فعلوه قيل إنها نزلت في أحبار حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد وحكم الأمانات
وغيرهما وأخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل أقام سلعته في السوق
فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين أشعث بن قيس ويهودي
في بئر أو أرض وتوجه الحلف على اليهودي وإن منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب
ومالك وحيي يلوون ألسنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل
إلى المحرف أو يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة
همزة ثم تخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب
وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء
والضمير أيضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تأكيد لقوله
وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لأنهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا أي ليس
هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي أن لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على
الله الكذب وهم يعلمون تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر
أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد
على عبدة عيسى وقيل إن أبا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد أتريد أن

نعبدك

نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله وأن نأمر بعبادة غير الله فما بذلك
بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا
على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا
الحق لأهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب إلى
الرب بزيادة الألف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم دارسين له فإن فائدة التعليم
والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب
تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من أدرس بمعنى
درس كأكرم وكرم ويجوز أن تكون القراءة المشهورة بهذا المعنى على تقدير و
بما تدرسونه على الناس ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا نصبه ابن عامر
وعاصم وحمزة ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله
ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين
أربابا أو غير مزيدة على معنى ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ أكفائه أربابا
بل ينهى عنه وهو أدنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال
أيأمركم بالكفر إنكار والضمير للبشر وقيل لله بعد إذ أنتم مسلمون دليل على
أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لأن يسجدوا له وإذ أخذ الله ميثاق النبيين
لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم قيل إنه على ظاهره
وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى وقيل معناه أنه تعالى أخذ الميثاق من
النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الأمم وقيل إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة
إلى الفاعل والمعنى وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم وقيل المراد
أولاد الأنبياء على حذف المضاف وهم بنو إسرائيل أو سماهم نبيين تهكما لأنهم

لتؤمنن به ولتنصرنه

كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام
في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن
ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية
اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق
لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول
مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما
بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا وقرأ نافع آتيناكم بالنون والالف
جمعا قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد
وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا أقررنا
قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة
وأنا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو
توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة
فأولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة أفغير دين الله يبغون عطف
على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره أيتولون
فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ
الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على
تقدير وقل لهم وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر
واتباع الحجة وكارهين بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك
الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة
فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم واليه ترجعون وقرئ بالياء
على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل

واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم امر الرسول بان يخبر عن نفسه
ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا
المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له
والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسول يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل
على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم
بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ
غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة
من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره
فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل
به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين
يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما
كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم
فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار
له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى
الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على وجهين
دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق
وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
يدل بمنطوقه على جواز لعنهم ومفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم
مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم
والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه

ولكن لا يعرف الحق بعينه **خالدين فيها** في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر
ذكرهما لدلالة الكلام عليهما **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك**
اي من بعد الارتداد **واصلحوا** ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى
ودخلوا في الصلاح **فان الله غفور** يقبل توبته **رحيم** يتفضل عليه قيل
انها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان
سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة
فتاب **ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا** كاليهود كفروا بعيسى
والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلعم بعد ما امنوا به
قبل مبعثه او ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان
ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص
بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره **لن تقبل توبتهم** لانهم
لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا
في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم
لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه
واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال **ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار**
فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع
قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه وذهبا نصب على
التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف **ولو افتدى به** محمول على
المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او
معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في
الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله

ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين
في حكم شيء واحد **اولئك لهم عذاب اليم** مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه
الفداء ربما يعفى عنه تكرما **وما لهم من ناصرين** في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق
لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي
هو الرحمة والرضا والجنة **حتى تنفقوا مما تحبون** اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه
في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء
ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها حيث اراك الله تعالى
فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة
بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة فقال زيد
انما اردت ان اتصدق به فقال صلعم ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق
احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون
وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين **وما تنفقوا من شيء** من اي شيء محبوب
او غيره ومن لبيان ما **فان الله به عليم** فيجازيكم بحسبه **كل الطعام** اي المطعومات
والمراد اكلها **كان حلا لبني اسرائيل** حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم **الا ما حرم اسرائيل** يعقوب
على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل
احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء
واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء
من قبل ان تنزل التورية اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم
وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر

الايمان بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم و
من بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفيه منع النسخ **قل فأتوا**
بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد
حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه السلم لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا
ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته **فمن افترى على الله الكذب** ابتدعه على الله
بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم **من بعد ذلك**
اي من بعد ما الزمتهم الحجة **فاولئك هم الظالمون** الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون
الحق بعد ما وضح **قل صدق الله** تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل
وانتم الكاذبون **فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا** اي ملة الاسلام التي هي في الاصل
ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة
لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابرهيم ومن تبعه **وما كان
من المشركين** فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة
في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود **ان اول بيت
وضع للناس** اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى
ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل **للذي ببكة** للبيت الذي ببكة وهي لغة
في مكة كالنميط والنبيط وامر راتب وراتم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد
من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه السلم
سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما
فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم
ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه ادم فانطمس في الطوفان ثم بناه
ابرهيم وقيل كان في موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح تطوف به الملائكة

فلما

فلما اهبط ادم امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به
ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل المراد انه اول بيت بالشرف لا بالزمان **مباركا**
كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف
وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال **فيه آيات بينات**
كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط
الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل و
الجملة مفسرة للهدى او حال اخرى **مقام ابرهيم** مبتدأ محذوف خبره اي منها
مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد
بالآيات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة
من بين الصخار وابقاؤه دون سائر اثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة
ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة
قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه **ومن دخله كان آمنا**
جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى وامن
من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر
بذكرهما من الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلم حبب الي من دنياكم ثلث
الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين
بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلم من مات في
احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند ابي حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص
لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج **ولله على الناس حج البيت** قصده للزيارة
على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج البيت بالكسر و
هو لغة نجد **من استطاع اليه سبيلا** بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلعم

الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة
على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي
والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج
وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله **ومن كفر فان الله غني عن العالمين** وضع كفر موضع لم
يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال صلعم من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر
وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه انه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم
الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك
الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت
والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء
عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب
البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله وروي انه لما نزلت صدر الآية
جمع رسول الله صلعم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة
واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر **قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله**
اي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص
اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية
والانجيل فهم كافرون بهما **والله شهيد على ما تعملون** والحال انه شهيد مطلع على
اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار **قل يا اهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله من آمن** كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر
لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله
دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم

حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله
ويحتالون لصدهم عنه **تبغونها عوجا** حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا
بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله
ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم **وانتم شهداء**
انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون
باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد لهم ولما كان
المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه
صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي
فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث
وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم
وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه
اليهم رسول الله صلعم واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم
الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان
وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا
مع رسول الله صلعم وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب
اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم **وكيف
تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله** انكار وتعجيب لكفرهم في حال
اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر **ومن يعتصم بالله** ومن يتمسك
بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره **فقد هدي الى صراط مستقيم** فقد اهتدى لا محالة

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع
في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود
هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة
عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب
واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا
ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم
الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة
والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله
بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلم القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل
من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي
وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا
تفرقوا اي ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او ولا تتفرقوا
تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او ولا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة
واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المودي الى
التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم
بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان
الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب
مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام فالف بينهم برسوله صلعم وكنتم على شفا
حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك
الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا
وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها

كالجانب

كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المونث كذلك
مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم
على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية
ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام
ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب
فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن
يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة
تامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم
الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه
عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون
بكمال الفلاح روي انه عم سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم
عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب
ما يومر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي
يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب
الاخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد
والتنزيه واحوال الاخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الايات والحجج المبينة
للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع
لقوله عليه السلم اختلاف امتي رحمة ولقوله من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله
اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض

الوجه وسواده كناية عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض
الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد
ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال
لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا
برسول الله بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا حين اشهدهم
على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والايات فذوقوا العذاب امر اهانة
بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله
يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق
عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم
ذكرهم ولكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها
خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتأكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها
خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق
ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا
يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال
ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد
كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله
غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس
اظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة
او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان
انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم
لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به

والاظهار

والاظهار الدين واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف
ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك
ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه
منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه
الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن في الدين
وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون
ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر
ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز
والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم
النصر مقيدا بقتالهم وهذه الاية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال
قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل
او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس
استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين
بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين
وباءوا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم
احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى
ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون
الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا
وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي
الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا و
استيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم

من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا **ليسوا سواء** في المساوي والضمير لاهل الكتاب **من اهل الكتاب امة قائمة** استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم **يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون** يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم **يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات** صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين في الليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات **واولئك من الصالحين** اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه **وما يفعلوا من خير فلن يكفروه** فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائي وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء **والله عليم بالمتقين** بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى **ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا** من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا **واولئك اصحاب النار** ملازموها **هم فيها خالدون مثل ما ينفقون** ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا **في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر** برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد **اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم** بالكفر والمعاصي **فاهلكته** عقوبة لهم لان الاهلاك عن

سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث **وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون** اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشأن لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة** وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار **من دونكم** من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم **لا يألونكم خبالا** لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف وعدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص **ودوا ما عنتم** تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية **قد بدت البغضاء من افواههم** اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم **وما تخفي صدورهم اكبر** مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار **قد بينا لكم الآيات** الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين **ان كنتم تعقلون** ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان تكون الثلاث الاول صفات لبطانة **ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم** اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلة او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل مضمر يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا **وتؤمنون بالكتاب كله** بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم

يحبونكم

تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب
منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل
من الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم
دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به
ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان
يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان
يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى
من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي
عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة
والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا
موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود
للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال
جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط
علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عليم محيط فيعاقبهم عليه
واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة تبوئ المؤمنين
تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف
واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد صدق
وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان
المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار
رسول الله صلعم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار

اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا
ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس
وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين
واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلم رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها
خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة
فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم
الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما
راوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي
لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد
يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم
وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا
اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا
روي انه عليه السلم خرج في زهاء الف رجل الى احد ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا
الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا وانفسكم فقال ابن ابي
لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسوله والظاهر
انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز
ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا
عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم يوم بدر ولقد نصركم الله ببدر
تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا
فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم

ثم ذكرهم لقلتهم وضعفهم بكثرة العدو وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصره أو لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له إذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من إذ غدوت على أن قوله لهم يوم أحد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول لم تنزل الملائكة ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين إنكار أن لا يكفيهم ذلك وإنما جيء بلن إشعاراً بأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل أمدهم الله يوم بدر أولاً بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج بلى إيجاب لما بعد لن أي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثاً عليهما وتقوية لقلوبهم فقال إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم أي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الأصل مصدر فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم أطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى إن يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال إتيانهم بلا تراخ ولا تأخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو إظهار سيماء الشيء لقوله عليه السلام لأصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت أو مرسلين من التسويم بمعنى الإسامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل إمدادكم بالملائكة إلا بشرى لكم إلا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن إليه من الخوف وما النصر إلا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم إلى مدد وإنما أمدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطاً على قلوبهم من حيث إن نظر العامة إلى الأسباب أكثر وحث على أن لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في أقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى

الحكمة والمصلحة ليقطع طرفاً من الذين كفروا متعلق بنصركم أو وما النصر إن كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض وأسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم أو يكبتهم أو يخزيهم والكبت شدة غيظ أو وهن يقع في القلب وأو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الأمر شيء اعتراض أو يتوب عليهم أو يعذبهم عطف على قوله أو يكبتهم والمعنى أن الله مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا وليس لك من أمرهم شيء وإنما أنت عبد مأمور لإنذارهم وجهادهم ويحتمل أن يكون معطوفاً على الأمر أو شيء بإضمار أن أي ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو تعذيبهم شيء أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وأن تكون أو بمعنى إلا أن أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتسر به أو يعذبهم فتشتفي منهم وروي أن عتبة بن أبي وقاص شجه يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم أن يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بأن فيهم من يؤمن فإنهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الأرض خلقاً وملكاً فله الأمر كله لا لك يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر إلى الدعاء عليهم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافاً مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع إذ كان الرجل منهم يربي إلى أجل ثم يزيد فيه زيادة أخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي أعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي أفعالهم وفيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكافرين

وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعد بالوعيد ترهيبا
عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما
جعل خبرا له وسارعوا وبادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به
المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة
عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة
على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين
لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة
مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين
او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة او الاحوال
كلها اذ لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا
عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة
من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي صلعم من كظم غيظا وهو
يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين
عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي صلعم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصمه الله
وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس
ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون اشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة
فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل
الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس
ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا
لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض
بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار

والوعد

والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين
لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا
اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها
ان عطفته على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين
جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا
يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين
بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل
ايتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع
وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل اية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين
لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن
والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص
بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت
من قبلكم سنن وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا
سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم
ولا ارى مثلا في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين
فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين
وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القران ولا تهنوا
ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما

اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم
على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم
في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون
في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي
اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم
القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح
الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم
يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا
فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين
نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس
نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا
ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم
فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الحال والخبر والمراد بها
اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي
نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان
ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره
وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله
ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان
وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم
شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا

معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين
الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى
لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين
وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم
ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ولما يجاهد بعضكم وفيه دليل على ان الجهاد فرض على الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع
الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذف النون ويعلم
الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه
قال ولما يجاهد بعضكم صابرين ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب
الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله
مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل
ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رايتموه وانتم تنظرون
اي فقد رايتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم
على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة
فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما
خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم
وانقلابهم على اعقابهم على الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله
وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة للانكار اي تجعلون خلو
الرسل قبله سببا لانقلابكم على اعقابكم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله
بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن

عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت
محمدا او صرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو
الى عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق
الباقون وقال بعضهم ليت ابن أبي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس
من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر
عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون
بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون
وابرأ اليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت **ومن ينقلب على عقبيه فلن
يضر الله شيئا** بارتداده بل يضر نفسه **وسيجزي الله الشاكرين** على نعمة
الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه **وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله** الا بمشيئة
الله او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض و
تشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتاخير الاجل **كتابا** مصدر مؤكد
اذ المعنى كتب الموت كتابا **مؤجلا** صفة له اي مؤقتا لا يتقدم ولا يتاخر **ومن يرد
ثواب الدنيا نؤته منها** تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا
على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك اقبلوا على النهب
وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم **ومن يرد
ثواب الآخرة نؤته منها** اي من ثوابها **وسنجزي الشاكرين** الذين شكروا نعمة
الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد **وكاين** اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت
بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير القياس وقرا ابن كثير وكائن ككاعن
ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيئن

ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي
من نبي بيان له **قاتل معه ربيون كثير** ربانيون علماء اتقياء او عابدون
لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرا ابن كثير و
نافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال
عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو
من تغييرات النسب كالكسر **فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله** فما فتروا ولم ينكسر
جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم **وما ضعفوا** عن العدو او في الدين
وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع
يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون
لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف
بقتله **والله يحب الصابرين** فينصرهم ويعظم قدرهم **وما كان قولهم الا ان قالوا
ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا** اي وما كان
قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة
الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها
والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن
خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا
اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث **فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الآخرة والله يحب المحسنين** فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله
النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها
بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده **يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين
كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين** نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة

ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم **بل الله مولاكم** ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم **وهو خير الناصرين** فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره **سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب** يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن **بما اشركوا بالله** بسبب اشراكهم به **ما لم ينزل به سلطانا** اي آلهة ليس على اشراكها حجة واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان **ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين** اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل **ولقد صدقكم الله وعده** اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم **اذ تحسونهم باذنه** تقتلونهم **حتى اذا فشلتم** جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل **وتنازعتم في الامر** يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال الآخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله **وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون** من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم **منكم من يريد الدنيا** وهم التاركون المركز

للغنيمة

للغنيمة **ومنكم من يريد الآخرة** وهم الثابتون محافظة على امر الرسول **ثم صرفكم عنهم** ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم **ليبتليكم** على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها **ولقد عفا عنكم** تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة **والله ذو فضل على المؤمنين** يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة **اذ تصعدون** متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة **ولا تلوون على احد** لا يقف احد لاحد ولا ينتظره **والرسول يدعوكم** كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة **في اخراكم** في ساقتكم او جماعتكم الاخرى **فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما** عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة **والله خبير بما تعملون** عالم باعمالكم وبما قصدتم بها **ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا** انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة

اصابكم

عصيانكم ل

التثريب الاستقصاء في اللوم

او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن نعاسا يغشى
طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة هم
المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم
في الهموم او ما بهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية
صفة اخرى لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على
المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدل وهو
الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله صلعم وهو بدل
من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر
نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير
انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر
فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان
حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض
وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر
مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو
بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد
محمد صلعم وزعم ان الامر كله لله تعالى ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير
لم نبرح كما كان راي ابن ابي وغيره ما قتلنا هاهنا لما غلبنا ولما قتل من قتل
منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم
ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منهم احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه

ولا معقب

ولا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها
من الاخلاص والنفاق وهو علة لفعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف
اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص
ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور
بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما
فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى
الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما
كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك
المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة ومخالفة النبي صلعم فمنعوا التأييد وقوة القلب
وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها
بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص
التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور
للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم
اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا
للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية
او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول
قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم
متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا
تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة
فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم

ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم
والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر
فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير
تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين
كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرا نافع وحمزة والكسائي
بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وساد مسد
الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله
فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا
ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم
الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفر جزاءكم و
يعظم ثوابكم وقرا نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم فبما رحمة من الله لنت لهم
اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله و
هو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا
سيئ الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك
ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله و
شاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا
برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا
وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو
اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء
وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم
ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد

يغلبكم

يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه
او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض
على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل
وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل
غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به
اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها
او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله
من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه
بعث طلائع فغنم رسول الله فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية
حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب
الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة يات بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء
في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما
كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم توفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان
على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع
عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في
عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله
بسبب المعاصي وماويه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب
ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات
لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم

باعمالهم درجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على
من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها
وقرئ لمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في
الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي اشرفهم لانه كان صلعم من اشرف قبائل
العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته اي القرآن بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي
ويزكيهم يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة
القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة
والمعنى وان الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة
قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة
على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى
اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهو قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم
ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله
النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز
فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضه
باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى
ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد
فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين
وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء و
كفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا
قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع

عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين
فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم
ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا او استهزاء هم للكفر يومئذ اقرب
منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم
وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية
للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون
لا يواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير والله
اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم
واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون
او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم
كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد
من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدر بقد اي قالوا قاعدين عن القتال
لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل وقرأ هشام بتشديد ما قتلوا
قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون
دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان
القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك و
القعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلعم او لكل احد
وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول
الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا
بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم

احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال ارواح الشهداء فى اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل معلقة فى ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به فى الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب فى الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين يستبشرون كرره للتوكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه لقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائى بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن

للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روى ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج فى طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعنى الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعى واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعنى ابا سفيان واصحابه روى انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج فى اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب فى قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من الايمان وكذا ان لم يجعل فان

اليقين يزداد بالالف وكثرة التامل وتناصر الحجج **وقالوا حسبنا الله** محسبنا وكافينا
من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا
رجل حسبك **ونعم الوكيل** ونعم الموكول اليه هو **فانقلبوا** فرجعوا من بدر
بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه **وفضل** وربح في التجارة
فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا **لم يمسسهم سوء** من جراحة
وكيد عدو **واتبعوا رضوان الله** الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم و
خروجهم **والله ذو فضل عظيم** قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق
للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراة على العدو وبالحفظ عن كل ما
يسوؤهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير
للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به **انما ذلكم الشيطان** يريد به
المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته
وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان
يعني ابليس عليه اللعنة **يخوف اولياءه** القاعدين عن الخروج مع الرسول صلعم
او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه **فلا تخافوهم** الضمير للناس الثاني
على الاول والى الاولياء على الثاني **وخافون** في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي
ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس **ولا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر** يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او
قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله
انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون
بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر **يريد الله الا يجعل لهم حظا في**
نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر

الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته
وان مسارعتهم في الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الاخرة **ولهم عذاب عظيم**
مع الحرمان عن الثواب **ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم**
تكرير للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب **ولا
تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم** خطاب للرسول او لكل من يحسب والذين
مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو
ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف
مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا
ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة
في الامام فاتبع وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل
وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القران ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء
الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى
كيف شاء **انما نملي لهم ليزدادوا اثما** استيناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة
واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن
بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول
في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا
ما فرط منهم **ولهم عذاب مهين** على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا
اثما معدا لهم عذاب مهين **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث
من الطيب** الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين
لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او
بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل

الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر بواطنكم ويستدل بها على عقائدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم وروي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه السلام قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعل الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله او وانه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة او العقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فمجازيهم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا

ان الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء عليه اللعنة ان الله فقير حين سأل القرض فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانا اعددنا لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله او استهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغة في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ من البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهودا ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا

من معجزاتهم وابطالهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر
المعجزات شرع فى ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
تكذيب والزام بان رسلا جاءوهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه
فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن
الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به فى معجزات اخر واجترءوا على قتله فان كذبوك
فقد كذب رسل من قبلك جاءو بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول
من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت
الشيء اذا حسنته والكتاب فى عرف القران ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء
الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا
زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات
كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب
مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون
جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ
التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عم القبر روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة فى الاصل تكرير
الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر
بالبغية وعن النبي صلعم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته
وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا
اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام
ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ
والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن فى اموالكم بالتكليف

متاع بلاغ اي يبلغ الى الاخرة ولا بلاغ والتبليغ الايصال والاسم البلاغ

الانفاق وما يصيبها من الافات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها
من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن
الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن فى الدين واغراء الكفرة على
المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا
للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله تعالى
فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التي يجب العزم
عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم فى الاصل ثبات الرأي على الشيء
نحو امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب
يريد العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وعاصم فى رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه
قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء
ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى ترك الاعتداد
وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه واشتروا به
واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون
يختارون لانفسهم وعن النبي صلعم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من النار وعن علي
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن
الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم الخطاب
للرسول عم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون
والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا
من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق و
اظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة من العذاب بمنجاة من العذاب اي فائزين

بمفازة من العذاب

بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا لا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول **ولهم عذاب اليم** بكفرهم وتدليسهم روي انه صلى الله عليه وسلم سال اليهود عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة **ولله ملك السموات والارض** فهو يملك امرهم **والله على كل شيء قدير** فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير **ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب** لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الاية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم** اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة للشافعي رحمه الله في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا

بمقاديم بدنه **ويتفكرون في خلق السموات والارض** استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله **ربنا ما خلقت هذا باطلا** على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدا لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك **سبحانك** تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض **فقنا عذاب النار** للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة **ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته** غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع **وما للظالمين من انصار** اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر **ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي** اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول وقيل القران والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنهما معنى الانتهاء والاختصاص **ان امنوا بربكم فامنا** اي بان امنوا فامتثلنا **ربنا فاغفر لنا ذنوبنا**

كبائرنا فانها ذات تبعة **وكفر عنا سيئاتنا** صغائرنا فانها مستتبعة ولكنها مكفرة عن مجتنب الكبائر **وتوفنا مع الابرار** مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب **ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك** اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا او استكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك **ولا تخزنا يوم القيمة** بان تعصمنا عما يقتضيه **انك لا تخلف الميعاد** باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف **فاستجاب لهم ربهم** الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام **اني لا اضيع عمل عامل منكم** اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول **من ذكر او انثى** بيان عامل **بعضكم من بعض** لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت **فالذين هاجروا** الى آخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين **واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي** بسبب ايمانهم بالله ومن اجله **وقاتلوا** الكفار **وقتلوا** في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي الكلام بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم

قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا او شددا اي كثروا ابن عامر قتلوا للتكثير **لاكفرن عنهم سيئاتهم** لامحونها **ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله** اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد **والله عنده حسن الثواب** على الطاعات قادر عليه **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد** الخطاب للنبي والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش ويقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت **متاع قليل** خبر مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته وفي جنب ما اعد الله للمؤمنين قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع **ثم مأويهم جهنم وبئس المهاد** اي ما مهدوا لانفسهم **لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله** النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا **وما عند الله** لكثرته ودوامه **خير للابرار** مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله **وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله** نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل في اصحمة النجاشي لما مات نعاه جبرئيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف **وما انزل اليكم** من القرآن **وما انزل اليهم** من الكتابين **خاشعين لله** حال من فاعل

يوم وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون
من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعدوه في قوله اولئك
يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء و
استغنائه عن التامل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة
الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات و
ما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب
واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته
ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما
قال عليه السلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه عليه السلام من رابط يوما
وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن
صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبرؤ عما سواه لكي
تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المترتبة
التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على
جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام
من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة
هي آدم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منها
امكم حواء من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها

زوجها

زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم
منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف
الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكون اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع و
ترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من
حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى
فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ و
خالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي
تساءلون به اي يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون
فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب
عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله و
اتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف
لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك
اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان
منه تعالى وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن
قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم
اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة
اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل
يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى
كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف
خصصه بمن لم يبلغ ووروده في الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم
بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزال عنهم هذا الاسم

الى ان يونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد وكانه
قال وآتوهم اذا بلغوا ويويد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير
لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله
ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** ولا تستبدلوا
الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب
الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا
تبديل وليس بتبدل **ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم** ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم
اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على
قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف **انه** الضمير للاكل **كان حوبا كبيرا**
ذنبا عظيما وقرئ حَوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا
وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم
ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ
كان الرجل يجد اليتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن
عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم
منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه
لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر
اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن
فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل
لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر
عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره
او ما ملكت ايمانكم وقرئ تَقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان

تجوروا

تجوروا **مثنى وثلاث ورباع** معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا
واربعا اربعا غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن
لها وقيل لتكرر العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال
من فاعل طاب ومعناه الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور
متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افرد
كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في
العدد **وان خفتم الا تعدلوا** بين هذه الاعداد ايضا **فواحدة** فاختاروا او
فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فتكفيكم
واحدة او فالمقنع واحدة **او ما ملكت ايمانكم** سوى بين الواحدة من الازواج
والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن **ذلك** اي التقليل
منهن او اختيار الواحدة او التسري **ادنى الا تعولوا** اقرب من ان لا تميلوا يقال
عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة
وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة
المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل
المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة
الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع **وآتوا
النساء صدقاتهن** مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم
الصاد وسكون الدال جمع صُدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل
صُدقة كظلمة في ظلمة **نحلة** عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه
عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى
موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو

او الصدقات اى اتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا
منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان
به على انه مفعول له او حال من الصدقات اى دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل
للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور موليّاتهم فان طبن لكم عن شىء منه نفسا الضمير للصداق
حملا على المعنى او يجرى مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة فى قوله كانه فى الجلد توليع البهق
اى كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان
وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن
لتضمين معنى التجافى والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه
هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنىء والمرىء صفتان من هنؤ
الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر
او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنىء ما يلذه الانسان والمرىء ما يحمد عاقبته روى
ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا
تؤتوا السفهاء اموالكم نهى للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم
فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها فى تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم
للايات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهى لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطى
امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا
لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله التى جعل الله لكم قياما اى تقومون
بها وتنتعشون وعلى الاول يأول بانها التى من جنس ما جعل الله لكم قياما سمى ما به
القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام
به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها
وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها

نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا
اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح الدين والتهدى الى ضبط المال
وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابى حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه
حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة
عندنا لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وما عليه واقيمت عليه الحدود
وثمانى عشرة عند ابى حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده
فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا
اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا
المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية للابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم و
دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس
منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهى مدة معتبرة فى
تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس الرشد
ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم
ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فليأكل
بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف
مشعر بان الولى له حق فى مال الصبى وعنه عليه السلام ان رجلا قال له ان فى حجرى يتيما
افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم
بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهى للاولياء ان ياخذوا او ينفقوا على انفسهم
اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى
للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق فى دعواه
الا بالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافا لابى حنيفة وكفى بالله حسيبا

محاسبا فلا تخالفوا ما أمرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم **للرجال نصيب مما ترك**
الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون بدل مما ترك **مما قل منه أو كثر**
بإعادة العامل **نصيبا مفروضا** نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله
أو حال إذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب أو على الاختصاص بمعنى أعني نصيبا مقطوعا
واجبا لهم وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي أن
أوس بن صامت الأنصاري خلف زوجته أم كحة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد
وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فإنهم ما كانوا يورثون
النساء والأطفال ويقولون إنما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت
أم كحة إلى رسول الله صلعم في مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث
الله فنزلت فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فإن الله قد جعل لهن نصيبا
ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي
ابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب **وإذا حضر القسمة**
أولوا القربى ممن لا يرث **واليتامى والمساكين فارزقوهم منه** فأعطوهم شيئا
من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو أمر ندب للبلغ من الورثة و
قيل أمر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك أو ما دل عليه القسمة **وقولوا لهم**
قولا معروفا وهو أن يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا
عليهم **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم** أمر للأوصياء
بأن يخشوا الله ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم
الضعاف بعد وفاتهم أو للحاضرين المريض عند الإيصاء بأن يخشوا ربهم أو
يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلا يتركوهم
أن يضر بهم بصرف المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء

الأقارب

الأقارب واليتامى والمساكين متصورين أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافا
مثلهم هل يجوزون حرمانهم أو للموصين بأن ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية و
لو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم أنهم لو شارفوا
أن يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الأمر عليه إشارة إلى المقصود
منه والعلة فيه وبعث على الترحم وأن يحب لأولاد غيره ما يحب لأولاده وتهديد
للمخالف بحال أولاده **فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا** أمرهم بالتقوى التي هي
غاية الخشية بعد ما أمرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى إذ لا ينفع الأول دون الآخر ثم أمرهم
أن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب أو للمريض ما يصده
عن الإسراف في الوصية وتضييع الورثة وتذكير التوبة وكلمة الشهادة أو لحاضري
القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا أو أن يقولوا في الوصية ما لا يؤدي إلى مجاوزة
الثلث وتضييع الورثة **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما** ظالمين أو على وجه الظلم
إنما يأكلون في بطونهم ملء بطونهم **نارا** ما يجر إلى النار ويؤول إليها وعن
أبي بردة أنه عليه السلام قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج أفواههم نارا فقيل من
هم فقال ألم تر أن الله يقول إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون
في بطونهم نارا **وسيصلون سعيرا** سيدخلون نارا وأي نار وقرأ ابن عامر
وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ مشددا يقول صلي النار
قاسى حرها وصليته شويته وأصليته وصليته ألقيته فيها والسعير فعيل
بمعنى مفعول من سعرت النار إذا ألهبتها **يوصيكم الله** يأمركم ويعهد إليكم
في أولادكم في شأن ميراثهم وهو إجمال وتفصيله **للذكر مثل حظ الأنثيين**
أي يعد كل ذكر بأنثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر
بالتنصيص على حظه لأن القصد إلى بيان فضله والتنبيه على أن التضعيف كاف

للتفضيل فلا يحرم من الكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تاويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زايدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة واحدة وقرا نافع بالرفع على كان التامة والخلاف في البنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويويده ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس بدل منه بتكرير العامل وفايدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا مما ترك ان كان له للميت ولد ذكرا او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فقط فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث كان معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب

وعن

وعن ابن عباس انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرا حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدم من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور اباوكم وابناوكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصيكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم ام من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض موكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر موكد او مصدر يوصيكم لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى من هذا الحكم الا اولاد الام

والمعتق والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن **وإن كان رجل** اي الميت **يورث** اي يورث منه من ورث صفة رجل **كلالة** خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهو في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي **او امرأة** عطف على رجل **وله** اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه **اخ او اخت** اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها **فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث** سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومدلول الآية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع **من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار** اي غير مضار لورثته بزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم **وصية من الله** مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة اي

لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب **والله عليم** بالمضار وغيره **حليم** لا يعاجل بعقوبته **تلك** اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث **حدود الله** شرائعه التي كالحدود المحدودة لا تجوز مجاوزتها **ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا** لتوحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم** اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها **فاستشهدوا عليهن اربعة منكم** فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن **فان شهدوا فامسكوهن في البيوت** فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن **حتى يتوفاهن الموت** يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به الوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية **او يجعل الله لهن سبيلا** كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح **واللذان يأتيانها منكم** يعني الزاني والزانية **فآذوهما** بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد **فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما** فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر **ان الله كان توابا رحيما** علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل

فيها وله عذاب مهين

البيوت

الاولى في السحاقات ومنع في اللوطيين والزانية والزاني في الزناة انما التوبة على الله
اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين
يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل
ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب
من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام
ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله تعالى
قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر
عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل
ان ينزل عليهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد
بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما يعلم
باخلاصهم بالتوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار
سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات
على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة
هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين
وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين
يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان
ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة
وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم
ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته
وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها

غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك
وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات
عليه وقرأ الكسائي وحمزة كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل الضم المشقة
وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا
ولا لتأكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزوج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة
ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا
منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن
العضل الا ان ياتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم
التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره لا تعضلوهن للافتداء
الا وقت ان ياتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا لان ياتين بفاحشة وعاشروهن
بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان
تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها
قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح
للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن
فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات
جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تاخذوا منه شيئا
اي من القنطار اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي اتاخذونه
باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ
بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته
بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزويج الجديدة فنهوا

عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك
فسر ههنا بالظلم **وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض** انكار لاسترداد المهر
والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر **واخذن منكم ميثاقا غليظا**
عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شانهن بقوله فامساك
بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلعم بقوله اخذتموهن بامانة الله و
استحللتم فروجهن بكلمة الله **ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم** ولا تنكحوا التي نكحها اباؤكم وانما
ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من
المصدر **من النساء** بيان ما نكح على الوجهين **الا ما قد سلف** استثناء من
المعنى اللازم للنهي وكانه قيل وتستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او
من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل اباؤكم الا ما قد سلف
ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا
مواخذة عليه لا انه مقرر **انه كان فاحشة ومقتا** علة للنهي اي ان نكاحهن
كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك
سمي ولد الرجل من امراة ابيه المقتي **وساء سبيلا** سبيل من يراه ويفعله **حرمت عليكم
امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت**
ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر
الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح
وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول
من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة
وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها

ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى **وامهاتكم اللاتي
ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة** نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى
سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل
الذي در عليه اللبن قال عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت
ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب
بالمصاهرة دون النسب **وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن** ذكر اولا محرمات النسب ثم محرمات الرضاع لان لها لحمة كلحمة
النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع
ربيبة والربيب ولد المراة من اخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل
بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة
للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من
اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب
ان تكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء
اللهم اذا جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني اي امهات
النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلعم فرق بينهما فقال في رجل
تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له
ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رضه تقييد التحريم فيهما
ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنساءين لان عامليهما مختلف وفائدة
قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن
وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم فصارت احقاء
بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضه

جعله شرطا وللامهات والربائب معا ولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن
اي دخلتم معهن الستر وهو كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس زنا كالوطء بشبهة
او ملك يمين وعند ابي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا
دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل
ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين
من اصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين
في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح
فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك
قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الاية وقوله
او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان آية التحليل
مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام
الا ما قد سلف استثناء من لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما قد سلف
مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات
الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرأ الكسائي بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن
الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن
حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد اصبنا سبايا يوم
اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فاستحللناهن
واياه عنى الفرزدق * وذات حليل انكحتها رماحنا * حلال لمن يبني بها
لم تطلق * وقال ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي
واطلاق الاية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي
كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله

عليكم وكتب الله بلفظ الفعل وأحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب
كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء
ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات
كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين
غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم
بالصرف في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر
مفعول تبتغوا وكأنه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من
ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة فيه
والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح
وهو صب المني فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات
او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن فان
المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف
اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة
فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق
وقيل نزلت الاية في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخ كما روي انه عليه السلام
اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا
ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وهي النكاح الموقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه
مجرد الاستمتاع بالمراة وتمتيعها بما تعطى وجوزها ابن عباس رضي الله عنه ثم رجع عنه
ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع
منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات
في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي

نكاح المحصنات او وجد ولم يستطع به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله **فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات** يعني الاماء المؤمنات فظاهر الاية حجة للشافعي في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واوّل ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج **والله اعلم بايمانكم** فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده **بعضكم من بعض** انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام **فانكحوهن باذن اهلهن** يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية **وآتوهن اجورهن** اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر **بالمعروف** بغير مطل وضرار ونقصان **محصنات** عفائف **غير مسافحات** غير مجاهرات بالسفاح **ولا متخذات اخدان** اخلاء في السر **فاذا احصن** بالتزويج **فان اتين بفاحشة** زنا **فعليهن نصف ما على المحصنات** يعني الحرائر **من العذاب** من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف **ذلك** اي نكاح الاماء **لمن خشي العنت منكم** لمن خاف

الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء **وان تصبروا خير لكم** اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه **والله غفور** لمن لم يصبر **رحيم** بان رخص له **يريد الله ليبين لكم** ما تعبدكم به من الحرام والحلال او ما خفي عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد

اردت لكيما يعلم الناس انه ... سراويل قيس والوفود شهود

وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله **ويهديكم سنن الذين من قبلكم** مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طرقهم **ويتوب عليكم** ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم **والله عليم** بها **حكيم** في وضعها **والله يريد ان يتوب عليكم** كرره للتاكيد والمبالغة **ويريد الذين يتبعون الشهوات** يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت **ان تميلوا** عن الحق **ميلا** بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات **عظيما** بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها **يريد الله ان يخفف عنكم** فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة **وخلق الانسان ضعيفا** لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثماني آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم **يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا**

اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار الا ان تكون
تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي
عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراضي
المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب وارفق
لذوي المروءة ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن
صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة
بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة
ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده
ما روي ان عمرو بن العاص تأول التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلعم او بارتكاب
ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل من كان
من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي
هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي
فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر
ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل
بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات
عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل المراد بالعدوان
التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا
ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية
ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا
لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي
نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم

صغائركم

صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب عليه الشارع حدا
او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلعم انها سبع الاشراك بالله و
قتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف و
عقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل
اراد هاهنا انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك و
اصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها
ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب
على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى
عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها
وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع
هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله
به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي
لمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له
وانه تشه لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة
لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب
ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن
بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا
الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال صلعم ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب
الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على
حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله

اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي
عنه الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان
بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان
ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا
كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل
تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل
او لكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوراث
وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه خروج
الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او لكل قوم جعلناهم
موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه
محذوف على هذا فالجملة مبتدأ وخبر والذين عقدت ايمانكم موالي الموالاة
كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض وعن ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا
ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى
الشرط وخبره فاتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك
زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فاتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة
مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم
فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة
الاخرى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال
قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين
موهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال

على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا
بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد
والجمعة ونحوهما والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا
من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار
نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله
فشكى فقال صلعم لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله
خير فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب
لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلم
خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت
عنها حفظتك في نفسها ومالها وتلا الآية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله
بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له
او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ
بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل
والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال
واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز
فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف
ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن
واضربوهن يعني ضربا لا شائنا والامور الثلثة مترتبة ينبغي ان يتدرج فيها
فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن
التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له
ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم
او انه على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم

او أن يتعالى ويتكبر أن يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما
خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق
الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة اهل الدار او الفاعل
كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام
متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة
والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب
للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصب من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج
والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين
او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان
يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول
للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بينهما
وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل
مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله
بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله
مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع
الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره
او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا
وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى
الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ
بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا
قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام

وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من
اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر
فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل المسافر او الضيف وما
ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا
يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين
يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع
عليه او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون
بالبخل به احقاء بكل ملامة وقرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة
ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
وضع المظهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان
كافر النعمة فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة
من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر
وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف
على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف
الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح
واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة
وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان
قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد
ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان
في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي ما الذي

عليهم اي واي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل
بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب
لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو
الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان
ههنا واخره في الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثمة
وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر
ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء
الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم
جزاؤه وان تك حسنة وان يك مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث
الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف
العلة وقرا ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف
ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه
ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل
اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى
وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقايدهم و
قبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان
وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء
لعلمك بعقايدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة
الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول

لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان
الرسول او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى
او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا
ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى
بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا
مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد
الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسوى على ان اصله
تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية
يقال سويته فتسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون
في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعى نفرا من الصحابة حين كانت
الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم
ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها
وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد منه النهي
عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى
على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة للجماعة
ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب
الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر
الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة
جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه
بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع

الحدث وعن قربان الصلوة بمواضعها فعلى هذا عابري سبيل المجتازين فيها وجوز للجنب
عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان
فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الآية
تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم
مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا
يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط
فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم
النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض
الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي لمستم واستعماله كناية عن الجماع
اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود
ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في
غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما
لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن
تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى
او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا
ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزأه وقال اصحابنا
لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض
واليد اسم العضو الى المنكب وما روي انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس
على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا

فلذلك

فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم
او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية
لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها
به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلعم وقيل ياخذون الرشى ويحرفون
التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق
والله اعلم باعدائكم منكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم
فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا به
واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال
الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم و
ما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم
منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون
الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها
او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف و
سكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك
واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت لصمم او موت او اسمع غير مجاب
الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان
اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا
سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم
فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما
يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها
وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا

وضما

في الدين استهزاء وسخرية ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيراً لهم وأقوم لكان قولهم ذلك خيراً لهم وأعدل وإنما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة أن عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً إلا إيماناً قليلاً لا يعبأ به وهو الإيمان ببعض الآيات والرسل ويجوز أن يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه أو إلا قليلاً منهم آمنوا أو سيؤمنون يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها يعني الأقفاء أو ننكسها إلى ورائها في الدنيا أو في الآخرة وأصل الطمس إزالة الأعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطلس في إزالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل أن نغير وجوهاً فنسلب وجاهتها وإقبالها ونكسوها الصغار والإدبار أو نردها إلى حيث جاءت منه وهي أذرعات الشام يعني إجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال إن المراد بالوجوه الرؤساء أو من قبل أن نطمس وجوهاً بأن نعمي الأبصار عن الاعتبار ونصم الأسماع عن الإصغاء إلى الحق بالطبع ونردها عن الهداية إلى الضلالة أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت أو نخزيهم بالمسخ كما أخزينا به أصحاب السبت أو نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لأصحاب الوجوه أو للذين على طريق الالتفات أو للوجوه إن أريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الأول يدل على أن المراد ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال إنه بعد مترقب أو كان وقوعه مشروطاً بعدم إيمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان أمر الله بإيقاع شيء أو وعيده أو ما حكم به وقضاه مفعولاً نافذاً

ولما

وكائناً فيقع لا محالة أو وعيدتم به إن لم تؤمنوا إن الله لا يغفر أن يشرك به لأنه بت الحكم على خلود عذابه وأن ذنبه لا ينمحي عنه أثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك أي ما دون الشرك صغيراً كان أو كبيراً لمن يشاء تفضلاً عليه وإحساناً وعلق المغفرة بالفعلين على معنى أن الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل إذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه ونقض لمذهبهم فإن تعليق الأمر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا أن كل ذنب شرك وأن صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو إشارة إلى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم يعني أهل الكتاب قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل ناس من اليهود جاءوا بأطفالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه وأثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على أن تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فإنه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفي ما يستقبح فعلاً أو قولاً ولا يظلمون بالذم أو العقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق فتيلاً أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم أنهم أبناء الله وأزكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا أو بالافتراء إثماً مبيناً لا يخفى كونه مأثماً من بين آثامهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون

ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعو اليه محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب
بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا
حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله
وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل
من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم
اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين
لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها
ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب
من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا
اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة
في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما
ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا
نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو
او الفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على
النصب ام يحسدون الناس بل ايحسدون رسول الله واصحابه او العرب
او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم
وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكأن بينهما تلازما
وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز
او جعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد
وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد

ان

ان يؤتيه مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابرهيم
ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابرهيم من آمن به ومنهم من كفر
ولم يكن في ذلك توهين امره فكذلك لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا
مسعورة يعذبون بها ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير
جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى
كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب
كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر
والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان
عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا و
عملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين
بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه
ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من
الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم ان الله يأمركم ان
تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان
بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال
لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة
فامره الله تعالى ان يرده اليه فامر عليا ان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا
لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا

القرط الذي يعلق في شحمة الاذن [illegible]

بالعدل اى ان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى
بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اى نعم
شيئا يعظكم به او نعم الشئ الذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة
موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من اداء الامانات والعدل فى
الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون فى الامانات
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم يريد بهم
امراء المسلمين فى عهد الرسول صلعم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء
السرية امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا
على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولو الامر منكم فى شئ من امور
الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤوس
الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله
الى كتابه والرسول بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به
منكرو القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس
واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس
ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلثة
مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك اى الرد خير
لكم واحسن تاويلا عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم بلا رد الم تر الى الذين
يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
عن ابن عباس رضه ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى صلعم ودعاه المنافق

الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلعم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق
وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم الى
فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه
ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله
ورسوله فنزلت وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق والطاغوت
على هذا كعب بن الاشرف وفى معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمى بذلك لفرط
طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل
عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ
ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل
لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف
لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
هو مصدر او اسم للمصدر الذى هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس و
السد محسوس ويصدون فى موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم
مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك
وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم
وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا
وتوفيقا ما اردنا الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك
وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن
الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق
فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اى عن عقابهم
لمصلحة فى استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه

وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا

علیهم

عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل في الجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرا عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين او حال منه

أو من ضميره قسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على
أن لا يتأخروا عنهم وهم الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد
الكمال إلى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر
في الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات إلى أوج العرفان حتى اطلعوا
على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على
الطاعة والجد في إظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين
صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته ولك أن تقول المنعم عليهم هم العارفون
بالله وهؤلاء إما أن يكونوا بالغين درجة العيان أو واقفين في مقام الاستدلال
والبرهان والأولون إما أن ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء
قريبا وهم الأنبياء أو لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون
إما أن يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء
الله في أرضه وإما أن يكون بأمارات وإقناعات تطمئن إليها نفوسهم وهم الصالحون
وحسن أولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز أو الحال ولم
يجمع لأنه يقال للواحد والجمع كالصديق أو لأنه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقا
روي أن ثوبان مولى رسول الله صلعم أتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله
عن حاله فقال ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت
وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فخفت أني لا أراك هناك لأني
عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك
وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت ذلك إشارة إلى ما للمطيعين
من الأجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم أو إلى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم
الفضل صفته من الله خبره أو الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه

معنى

معنى الإشارة وكفى بالله عليما بجزاء من أطاعه أو بمقادير الفضل واستحقاق أهله
يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للأعداء والحذر والحذار
كالأثر والإثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا إلى الجهاد
ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية إذا ذكرت متفرق
محاسنه ويجمع أيضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه أو انفروا جميعا مجتمعين
كوكبة واحدة والآية وإن نزلت في الحرب لكن يقتضي إطلاق لفظها وجوب المبادرة
إلى الخيرات كلها كيفما أمكن قبل الفوات وإن منكم لمن ليبطئن الخطاب
لعسكر رسول الله صلعم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا و
تخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى أبطأ وهو لازم أو ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن أبي
ناسا يوم أحد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الأولى للابتداء دخلت
اسم إن للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع إليه
ما استكن في ليبطئن والتقدير وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن فإن أصابتكم
مصيبة كقتل وهزيمة قال أي المبطئ قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم
شهيدا حاضرا فيصيبني ما أصابهم ولئن أصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة
ليقولن أكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام إعادة للضمير على معنى
من كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني
كنت معهم فأفوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وأن قولهم هذا
قول من لا مواصلة بينكم وبينه وإنما يريد أن يكون معكم لمجرد المال أو حال من الضمير
في ليقولن أو داخل في المقول أي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين
تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا
بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل إنه متصل بالجملة الأولى وهو ضعيف إذ لا يفصل أبعاض

الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشأن وهو محذوف
وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة
والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز
نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف
على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة
اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطؤ هولاء عن القتال فليقاتل المخلصون
الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشرونها ويختارونها على الاخرة وهم
المبطؤن والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل
او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا
للقتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل
او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة
او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات القتل بل اعلاء الحق
واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال
والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف على الله
اي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل
بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان
سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها
من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة
لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث
وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت
بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل

المراد

المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية
الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله
دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح
مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم
حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه
فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب
ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا
يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان
لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله
ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين
ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر
الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله
يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجاة جواب
لما وفريق مبتدأ منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول
وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل
خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا
لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى
اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان تجعل الخشية ذات خشية
كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد
خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب

استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت قرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدا واينما متصل بلا يظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المراة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اي وان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله يقبض ويبسط حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان القابض والباسط هو الله تعالى ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة

احسان

احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله تعالى روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتاملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض

المعنى وتفاوت النظم فكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه تصعب معارضته وبعضه تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم **واذا جاءهم امر من الامن او الخوف** مما يوجب الامن او الخوف **اذاعوا به** افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث **ولو ردوه** ولو ردوا ذلك الخبر **الى الرسول والى اولي الامر منهم** الى رأيه ورأي كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء **لعلمه** على اي وجه يذكره **الذين يستنبطونه منهم** يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم ويعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما تحفر **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** بارسال الرسل وانزال الكتب **لاتبعتم الشيطان** بالكفر والضلال **الا قليلا** الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور **فقاتل في سبيل الله** ان تثبطوا وتركوك وحدك **لا تكلف الا نفسك** الا فعل نفسك لا تضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه السلام دعا الناس

في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلف احدا الا نفسك لقوله **وحرض المؤمنين** اذ ما عليك في شانهم الا التحريض **عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا** يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا **والله اشد بأسا** من قريش **واشد تنكيلا** تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه **ومن يشفع شفاعة حسنة** راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك **يكن له نصيب منها** وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها **ومن يشفع شفاعة سيئة** يريد بها محرما **يكن له كفل منها** نصيب من وزرها مساو لها في القدر **وكان الله على كل شيء مقيتا** مقتدرا من اقات على الشيء اذا اقتدر قال وذي ضغن كففت الضغن عنه وكنت على مساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه **واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها** الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه السلام انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومن قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين

ان يحيى بتمامها و هذا الوجوب على الكفاية وحيث السلم مشروع فلا يرد في الخطبة
وقراءة القران وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر
حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعا بذلك ثم قيل لكل دعاء
فغلب في السلم وقيل المراد بالتحية العطية فاوجب الثواب او الرد على المتهب
وهو قول قديم للشافعي ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية
وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم
الى يوم القيمة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه
او في القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة
وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او في الجمع فهو حال
عن اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا
منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله تعالى محال فما لكم
في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين اي فرقتين ولم تتفقوا على
كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله صلعم في الخروج الى البدو
لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا
ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او في قوم اظهروا
الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او عاملها كقولك ما لك
قائما وفي المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم
تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم بما كسبوا
ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا
اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله

فلن

فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا
ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب
على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا
وتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان
تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم
كساير الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم
ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم
واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم
والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلم وادع وقت خروجه الى مكة هلال
بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجا اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل
بنو بكر بن زيد مناة او جاءوكم عطف على الصلة اي والذين جاءوكم كافين عن قتالكم
وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين
او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون
الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم
وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت
صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه ان قرئ حصرة صدورهم وحصرات او بيان
لجاءوكم وقيل صفة محذوف اي جاءوكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاءوا
رسول الله صلعم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا
قومهم اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم
بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا
عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم

الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم
ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل
بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما
ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا
اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد
ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم
سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح
كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح
له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضته و
نصبه على الحال او المفعول له اي لا تقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطأ او لا تقتله
لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي
بمعنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما
لا يضامه القتل او الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به
محظور كرمي المسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف
وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة
اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به
عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير
رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم
موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر عنها بالنسمة كما عبر عنها بالراس
مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة

الى

الى ورثته يقتسمونها كساير المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله
يأمرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن
فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو
عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي عم كل معروف صدقة وهو
متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه
او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم
عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار
محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله
اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية
مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة
فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا
او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها
فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب
على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر
اي وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة
من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر به ومن يقتل
مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما
لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضه لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله
اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله
واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره
ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار

ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا الدية فدفعوا اليه ثم حمل على
مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلايل
متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم **يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم**
في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو **فتبينوا** فاطلبوا بيان الامر وثباته
ولا تعجلوا فيه **ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام** لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا
نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا
لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا
له الامان **تبتغون عرض الحيوة الدنيا** يطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد
وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت **فعند**
الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله **كذلك كنتم من قبل** اي اول
ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من
غير ان تعلم مواطاة قلوبكم السنتكم **فمن الله عليكم** بالاشتهار بالايمان
والاستقامة في الدين **فتبينوا** فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله
بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر
اهون عند الله من قتل امرء مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما
ذكر من حالهم **ان الله كان بما تعملون خبيرا** عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا
في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا
وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد
فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم
فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة
فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة

ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاءه مغتفر **لا يستوي القاعدون** عن الحرب
من المؤمنين في موضع الحال من القاعدون او من الضمير الذي فيه **غير اولي الضرر**
بالرفع صفة القاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن عامر
والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه
وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف
وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت
ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر
والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن
الجهاد من غير علة وفايدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا
لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته **فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم**
على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد
السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن
معنى التفضيل ووقع موقع المرة او الحال بمعنى ذوي درجة **وكلا** من القاعدين
والمجاهدين **وعد الله الحسنى** المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص
نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب **وفضل الله المجاهدين**
على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول
الثاني لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما
درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحدة منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب
درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت
عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعليهما كرر تفضيل
المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول

ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة و
قيل الدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون
الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء
بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه
وعليه قوله عليه السلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا
لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفيهم الملائكة يحتمل الماضي
والمضارع وقرى توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله
يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيتوفونها
ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها
نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي
الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم في اي شي كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين
في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار
الدين واعلاء كلمته الم تكن اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة
والحبشة فاولئك ماويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر
ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار
قد او الخبر والواو العايد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة
قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة
من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلعم من فر بدينه من ارض
الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه
محمد صلعم الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع

لعدم

لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك
فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب
الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب
عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين
اذ لا توقيت فيه او حال منه او من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب
الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك
عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة امر خطير
حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله
عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما متحولا من الرغام وهو
التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا
من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرى بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد
وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان و
المعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة
حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق
يمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات حميدا
واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة
بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عم
اتم في السفر وان عائشة اعتمرت مع رسول الله صلعم وقالت يا رسول الله قصرت
واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر رضه

صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة اول ما فرضت
الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف
الاية فان صحتا فالاول مأول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي
جواز الزيادة فلا حاجة الى تاويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان
يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم و
نفي الجناح فيه لتطيب به نفوسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا و
عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف
اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرط
باعتبار الغالب في ذلك ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم
ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على
جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة
ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة
تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول صلعم لفضل الجماعة وعامة
الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه
فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما
معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم
اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا
سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم
يعني النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى
لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره ان الامام

يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة
ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم
منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وياتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظر
قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلعم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة
يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هي وتقف بازاء العدو وتاتي الاخرى وتصلي معه ركعة
ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتاتي الاولى وتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة
وتتم صلوتها ثم تعود وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها وليأخذوا
حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة
في وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوؤا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون
عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم
فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم
ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها
اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون
الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر
بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب
ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبير فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم
الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فداوموا
على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف
ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم
سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها

وائتوا بها تامة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات
لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة
وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها
كيفما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا
في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون
وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال
دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسبب الجهاد واظهار الدين واستحقاق
الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان
تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا آلمين وقوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن
لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما
فيما يأمر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق
من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق
ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة
فحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي
فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقال بنو ظفر انطلقوا
بنا الى رسول الله صلعم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك
وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلعم ان يفعل بما اراك الله بما عرفك
واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين
اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به
ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما

عليها

كما تألمون

عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على
براءته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما
يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله ولا يستحيون
منه وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه
الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا
يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله
بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم
في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا
فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله
ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه
وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله
بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة
وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه
وباله لقوله وان اسأتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته
ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد
ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا
واثما مبينا بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان
مقترف احدهما دون مقترف الاخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي
والضمير للرسول وجمعه للتعظيم او للامة فان عصمة الرسول او اطلاعه على الاحوال
لطف في حقهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق
مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تاثيره فيه

منهمكا فيه

وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء
فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتقادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء
في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل
الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم
كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف
مضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير
والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل ويندرج فيه القرض واغاثة
الملهوف وصدقة التطوع وساير ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات بين
ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب
الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الامر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم
وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل
بان يكون لطلب مرضاة الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة
لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظيم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من
اغراض الدنيا ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في
شق غير شق الاخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات
ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى
نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم
وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والاية تدل
على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير
سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني

باطل

باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة
محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم
واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت
الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله عم
وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به
ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله
هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل
ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب
وانما ذكر في الاية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشا شركهم
نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى
ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتانيث
اسمائها كما قال وما ذكر فان يسمن فانثى شديد الازم ليس له ضروس
فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت
جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى
ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل
ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط
حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى
وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف
والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمتها همزة
وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي

امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء التي تناثر ورقها **لعنه الله** صفة ثانية للشيطان **وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا** عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به منفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله تعالى ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا تعلق بشيء من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي من قولهم فرض له في العطاء **ولاضلنهم** عن الحق **ولامنينهم** الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب **ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام** يشقونها لتحريم ما احل الله تعالى وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحاير والسوايب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة **ولامرنهم فليغيرن خلق الله** عن وجهه صورة وصفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام وعبادة الشمس والقمر واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهايم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا **ومن يتخذ**

الشيطان

الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوه اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته **فقد خسر خسرانا مبينا** اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار **يعدهم** ما لا ينجزه **ويمنيهم** ما لا ينالون **وما يعدهم الشيطان الا غرورا** وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه **اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا** معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله **والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا** اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر **ومن اصدق من الله قيلا** جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله **ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب** اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا اماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم

لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا واجلا لما روى انه لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عم اما تحزن اما تمرض اما تصيبك اللاواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما يبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او من الملة او ابرهيم واتخذ الله ابرهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريق او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استطرادية جيء بها للترغيب في اتباع ملته و

الايذان بانه نهاية في الحسن وغاية في كمال البشر روي ان ابرهيم عم بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام فقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما ما يشاء ومن يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي صلعم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عم كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد منه اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شانهن والا فبدل من فيهن

حوارى بالضم وتشديد الواو والراء المفتوحة ماخوذ من القصار الابيض وهو الدقيق حوارى

كالعدان

او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرى ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء **اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن** اى فرض لهن من الميراث **وترغبون ان تنكحوهن** في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات وياكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها **والمستضعفين من الولدان** عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء **وان تقوموا لليتامى بالقسط** ايضا عطف عليه اى ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينتصب وان تقوموا باضمار فعل اى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم **وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما** وعد لمن آثر الخير في ذلك **وان امراة خافت من بعلها** توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامراة فاعل فعل يفسره الظاهر **نشوزا** تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها **او اعراضا** بان يقل مجالستها ومحادثتها **فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا** ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرا الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرى يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح **والصلح خير** من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ولا يجوز ان يراد به التفضيل

بل بيان انه من الخير كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله **واحضرت الانفس الشح** ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المراة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها **وان تحسنوا** في العشرة **وتتقوا** النشوز والاعراض ونقص الحق **فان الله كان بما تعملون** من الاحسان والخصومة **خبيرا** عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء** لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك **ولو حرصتم** على تحري ذلك وبالغتم فيه **فلا تميلوا كل الميل** بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله **فتذروها كالمعلقة** التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امراتان يميل مع احدهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل **وان تصلحوا** ما كنتم تفسدون من امورهن **وتتقوا** فيما يستقبل **فان الله كان غفورا رحيما** يغفر لكم ما مضى من ميلكم **وان يتفرقا** وقرى وان يتفارقا اى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه **يغن الله كلا** منهما عن الآخر ببدل او سلو **من سعته** غناه وقدرته **وكان الله واسعا حكيما** مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه **ولله ما في السموات وما في الارض** تنبيه على كمال سعته وقدرته **ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتاكيد الامر بالاخلاص و

اياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة
لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول
اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم
كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله
وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما
في السموات وما في الارض كرره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات
يدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات
على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل
بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول
يشأ محذوف دل عليه الجواب ويأت باخرين ويوجد قوما اخرين مكانكم
او خلقا اخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا
بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وتهديد لمن كفره وخالف
امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلعم من العرب ومعناه معنى قوله
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزل ضرب رسول الله صلعم يده
على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد
للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول
ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد
خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الاخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله
ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له الاية
وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته

شهدا

شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على
انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان
الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم
ان يكن اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا
فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما
بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها
وهو علة الجواب اقيم مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو
جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم
فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل
وان تلووا السنتكم عن الشهادة بالحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بمعنى
وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما
تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او المنافقين
او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن
بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله
ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان
بذلك وداوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بالسنتكم او آمنوا ايمانا عاما
يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القران والثاني
الجنس ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك
فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين
آمنوا يعني اليهود امنوا بموسى عم ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم
آمنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلعم

او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر ثم ازدادوا تماديا في الغي **لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا** اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصايرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف وتعلق اللام به مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم **بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما** يدل على ان الاية في المنافقين وهم قد امنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المومنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم **الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المومنين** في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين **ايبتغون عندهم العزة** ايتعززون بموالاتهم **فان العزة لله جميعا** لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولا يوبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم **وقد نزل عليكم في الكتاب** يعني القران وقرى نزل والقايم مقام فاعله **ان اذا سمعتم ايات الله** وهي المخففة بمعنى انه اذا سمعتم **يكفر بها ويستهزا بها** حالان جي بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله **فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا** الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازيا معاندا غير مرجو ويويده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزا بها **انكم اذا مثلهم** في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخايضين في القران من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه **ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا** يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد

مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرى بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون **الذين يتربصون بكم** ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدا خبره **فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم** مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم **وان كان للكافرين نصيب** من الحرب فانها سجال **قالوا الم نستحوذ عليكم** اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان تقلب واوه الفا فجاء على الاصل **ونمنعكم من المومنين** بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال **فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا** حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة **ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم** سبق الكلام فيه اول سورة البقرة **واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى** متثاقلين كالمكره على الفعل وقرى كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان **يراؤن الناس** ليخالوهم مومنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه **ولا يذكرون الله الا قليلا** اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم **مذبذبين بين ذلك** حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون اي يرائيهم غير ذاكرين

مذبذبين او واويذكرون او مشغوفون بالذم والمغفرة مرددين بين الايمان والكفر
من الذبذبة وهو جعل الشي مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرى بكسر
الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى
تصلصل وقرى بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي
الطريق لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين او
لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق
والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلا
تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم
دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار هو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة
اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه السلام
ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت
طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرا
الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على
ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم من النار الا الذين تابوا عن النفاق
واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله
وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه
فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم ايتشفى به غيظا

الجزء السادس

او يدفع ضرا او يستجلب نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما تعاقب
المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال بالايمان والشكر
ونقى منه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر
شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل
اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا
ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرى من ظلم على البناء للفاعل
فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا
لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه
او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر
ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا
اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث
للمظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا
بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء
ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر
ولا واسطة اذ الحق لا يختلف لان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم
فيما بلغوا عنه تفصيلا واجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال
كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر
لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين
بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا

والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم
وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي
اولئك سوف نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد
والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب
بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف
حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود
قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا
محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او
كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب
شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا
السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم
والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وضلالاتهم
فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له
فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم
وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي
امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية
الثالثة التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة اذ
لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا
عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم
الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا
على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان

داود عليه السلام ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت
ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود عليه السلام وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على
ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك
وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا
بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان تتعلق
بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا
بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف
فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله
بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم
او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم
خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون
الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم
بعيسى عليه السلام وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم
ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير
ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقولهم على مريم
بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن
مريم رسول الله اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله تعالى بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان
ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود
سبّوه وامّه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره
الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى الله عليه شبهي

فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فأخذ وصلب
وقيل دخل طيطيانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده فالقى الله عليه شبهه فلما
خرج ظن انه عيسى فأخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا يستبعد في زمان
النبوة وانما ذمهم الله تعالى بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل
نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم لا لقولهم هذا على حسبانهم وشبه مسند
الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او الى الامر
وقول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول
لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شأن عيسى
فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا
فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال
بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى
السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه
لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى
ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع
اي ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن
اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا
كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله
كذلك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلم ذلكم يقينا من قولهم قتلت
الشيء علما ونحرته اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله
واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى
وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن

فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى
والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل
ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ الا ليؤمنن
به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض
على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران
لعيسى والمعنى اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من
السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الملل الا يؤمن به حتى تكون
الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل و
النمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات في الارض
اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون
عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه
ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فبأي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا
او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا
وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة
وساير الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن
لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم
او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل خبر المبتدأ والمقيمين
الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل
اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخين
او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة

رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء
والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم اجرا
عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل كتابا من
السماء واحتجاج عليهم بان امره بالوحي كساير الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن خصهم بالذكر مع اشتمال
النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم ع اول اولي العزم من الرسل منهم وعيسى
اخرهم والباقون اشرف الانبياء ومشاهيرهم وآتينا داود زبورا وقرا
حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه
اوحينا اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه
السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب
الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلعم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد
منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال
ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا
ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن
ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا
او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال
ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا
لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي و
الاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا عليهم

بسوال

بسوال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم
لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل
اليك من القران المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا
ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله متلبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه
على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه
او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاول
حال من الفاعل وعلى الثاني حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة
يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه
يستغني عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم
بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك و
شهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا بها وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما
اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان
المضل يكون اعرق في الضلال وابعد عن الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا
محمدا بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك
وهذا يدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها لجري حكمه
السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين
حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه
يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق
الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزامهم الحجة

والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم اى ايمانا خيرا لكم او
ائتوا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون
لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدى الى حذف الشرط وجوابه
وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم لا يتضرر
بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما فى السموات والارض وهو
يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما
دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود فى
حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشده والنصارى فى رفعه حتى اتخذوه الها
وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعنى تنزيهه
عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم
اوصلها اليها وجعلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط
ما يجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل سمى روحا لانه كان يحيى الاموات او القلوب
فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة اى الآلهة ثلثة الله والمسيح ومريم
ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله او
الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب والابن وروح القدس و
يريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث
خيرا لكم نصبه كما سبق انما الله اله واحد اى واحد بالذات لا تعدد فيه
بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن
يتصور له مثل ويتطرق اليه فناء له ما فى السموات وما فى الارض ملكا وخلقا
لا يماثله شىء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان
الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف فى ذلك مستغن

عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك
كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا لله فان عبوديته شرف
يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبوديته غيره روى ان وفد نجران قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واى شىء اقول
قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا
الملائكة المقربون عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا
عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى
فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة
منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية
للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى
فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه
رئيس ولا مرؤوس وان اراد التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون
الذين حول العرش او من اعلى رتبة منهم على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم
فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل
حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا
فيجازيهم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله و
اما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم
اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم و
الاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم

فأنزلنا إليكم نوراً مبيناً عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن أي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل فلم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين أو رسول الله والقرآن فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق وجب عليه وفضل إحسان زائد عليه ويهديهم إليه أي إلى الله وقيل إلى الموعود صراطاً مستقيماً هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة يستفتونك أي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي أن جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل في الأحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في أوائل السورة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له أو حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالأخت الأخت من الأبوين أو الأب لأنه جعل أخوها عصبة وابن الأم لا يكون عصبة والولد على ظاهره فإن الأخت وإن ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضي الله عنهما لكنها لا ترث النصف وهو يرثها أي والمرء يرث أختها إن كان الأمر بالعكس إن لم يكن لها ولد ذكراً كان أو أنثى إن أريد بيرثها يرث جميع مالها وإلا فالمراد به الذكر إذ البنت لا تحجب الأخ والآية كما لم تدل على سقوط الإخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على أنهم لا يرثون مع الأب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة إن فسرت بالميت فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالأخوة وتثنيته محمول على المعنى وفائدة الإخبار عنه باثنتين التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين أصله وإن كانوا إخوة وأخوات

فغلب

فغلب الذكر يبين الله لكم أن تضلوا أي يبين الله لكم ضلالكم الذي من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا أو لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وآله من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثاً وأعطي من الأجر كمن اشترى محرراً وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الإيفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة: قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم ٭ شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا ٭ وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله تعالى على عباده وألزمها إياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن إن حملنا الأمر على المشترك بين الوجوب والندب أحلت لكم بهيمة الأنعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات أربع وإضافتها إلى الأنعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية وألحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الأنعام في الاجترار وعدم الأنياب وإضافتها إلى الأنعام لملابسة الشبه إلا ما يتلى عليكم إلا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة أو إلا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو أوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وأنتم حرم حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم إن الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا أيها

الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر
اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام النسك
وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها
لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء ولا الهدي ما اهدي
الى الكعبة جمع هدية كجدي في جدية السرج ولا القلائد اي ذوات القلائد
من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد
انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله
ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر
او غيره ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين
لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة
في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل
الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له
وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الآية
نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه
كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا
فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا
اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة هنا ان الامر
دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة
همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم
لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر
اضيف الى المفعول او بغيض قوم وفعلان في المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر

واسمعيل

واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان
او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام اي
لان صدوكم عنه عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض
اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى
الى واحد والى اثنين ككسب وقرئ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول
بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة
الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله
ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم
والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا
وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به
اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت
بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية
التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت والتاء
فيها للنقل وما اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد
اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حيوة مستقرة
من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم
والمري بمحدد وما ذبح على النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول
البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على
اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان
تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا
فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الاخر نهاني ربي والثالث غفل

فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا وان خرج الغفل اجالوا ثانيا
فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور
بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد **ذلكم فسق**
اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد
ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم
او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم **اليوم** لم يرد به يوما بعينه وانما
اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر
يوم الجمعة عرفة حجة الوداع **يئس الذين كفروا من دينكم** اي من ابطاله ورجوعكم
عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه **فلا تخشوهم** ان يظهروا
عليكم **واخشون** واخلصوا الخشية لي **اليوم اكملت لكم دينكم** بالنصر والاظهار
على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع
وقوانين الاجتهاد **واتممت عليكم نعمتي** بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او
بفتح مكة وهدم منار الجاهلية **ورضيت لكم الاسلام** اخترته لكم **دينا** من بين
الاديان وهو الدين عند الله لا غير **فمن اضطر** متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض
بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل و
النعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات
في مخمصة مجاعة **غير متجانف لاثم** غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها
تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد **فان الله غفور رحيم**
لا يؤاخذه باكله **يسألونك ماذا احل لهم** لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على
الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك
بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسؤول ما احل لهم من المطاعم كانهم

لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم **قل احل لكم الطيبات** ما لم تستخبثه الطباع
السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرمة مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته
وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما
علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد
على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير **مكلبين** معلمين اياه الصيد
والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون اكثر
فيه وآثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام سلط عليه كلبا من كلابك و
انتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم **تعلمونهن** حال
ثانية او استئناف **مما علمكم الله** من الحيل وطرق التأديب فان العلم به الهام
من الله او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمتم ان تعلموه من اتباع الصيد
بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه
فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم
وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم
لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون
لا يشترط مطلقا **واذكروا اسم الله عليه** الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه
عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكوته **واتقوا الله**
في محرماته **ان الله سريع الحساب** فيؤاخذكم بما جل ودق **اليوم احل لكم
الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم** يتناول الذبائح وغيرها
ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب
وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا عنها الا شرب الخمر ولم يلحق بهم
المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة

اهل الكتاب غير التحريم نسائهم ولا اكل ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم
ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات
اى الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات
اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها
والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح
غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذى اخدان مسرين به والخدن
الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة
من الخاسرين يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه
يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اى اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على
ان من اراد العبادة ينبغى ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن الارادة او اذا قصدتم
الصلوة لان التوجه الى الشىء والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء
على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى انه عليه السلام
صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال
عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين
وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام
المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا
وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك وايديكم الى المرافق
قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم
مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة

خلافا لمالك رح

لان

لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها فى الحكم او
خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن فى الآية وكان الايدى متناولة
لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد معنى الغاية تقتضى خروجها
والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل
لكن لما لم تتميز الغاية هاهنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم
الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل
ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا
المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم
فانه كقوله واغسلوا وجوهكم واختلف العلماء فى قدر الواجب فاوجب
الشافعى اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ربع الرأس لانه صلى الله عليه وسلم
مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط
وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص ويعقوب عطفا على
وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد
اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير فى القرآن والشعر
كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر فى قراءة حمزة والكسائى وقولهم
جحر ضب خرب وللنحاة باب فى ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغى ان
يقتصد فى صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفى الفصل
بينه وبين اخويه ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة
وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء
احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام

فرسان انواع الطهارة **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج** اى ما يريد بالامر بالطهارة
للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم **ولكن يريد ليطهركم** لينظفكم او
ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم
التطهر بالماء فمفعول يريد فى الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة
والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم فى التيمم ولكن يريد
ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة **وليتم نعمته عليكم**
وليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم فى الدين او ليتم
برخصته انعامه عليكم بعزائمه **لعلكم تشكرون** نعمته والاية مشتملة على سبعة امور
كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب
وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود
وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول
الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب او اتمام النعم **واذكروا
نعمة الله عليكم** بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم فى شكره **وميثاقه الذى
واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا** يعنى الميثاق الذى اخذه على المسلمين
حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره
او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان **واتقوا الله** فى انساء نعمه و
نقض ميثاقه **ان الله عليم بذات الصدور** اى بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا
عن جليات اعمالكم **يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا** عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى
لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل
كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما فى قلوبكم **اعدلوا**

هو اقرب

هو اقرب للتقوى اى العدل اقرب الى التقوى صرح لهم بالامر بالعدل وبين
انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا
للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين **واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون**
فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت فى المشركين وهذه
نزلت فى اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة فى اطفاء نائرة الغيظ **وعد
الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم** انما حذف ثانى مفعولى
وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه وقيل الجملة فى موقع المفعول
فان الوعد ضرب من القول فكانه قال وعدهم هذا القول **والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم** هذا من عادته تعالى انه يتبع حال
احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب
لقلوبهم **يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم** روى ان المشركين راوا رسول
الله صلعم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا الا كانوا
اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم
بان انزل صلوة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روى انه صلعم
اتى بنى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن
امية الضمرى يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك
ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة
يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبرئيل فاخبره فخرج وقيل نزل
رسول الله صلعم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابى
فسل سيفه فقال من يمنعك منى فقال الله فاسقط جبرئيل من يده و
اخذه الرسول صلعم وقال من يمنعك منى فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله

وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم
بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا
شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم
واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط
ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به
روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى
اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها
لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى
ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق و
اختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون
الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا
فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن
نون من سبط افرايم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم
الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم
واصله الذب ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في
سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب
للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد الشرط ولادخلنكم جنات تجري
من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق
به الوعد العظيم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر
معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة

فبما

فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا
عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا ينفعل من الآيات والنذر وقرا حمزة و
الكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي
اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة
وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف
لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه
ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا
حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلعم
والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل
معناه انهم حرفوها فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان
ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية ولا تزال
تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى
ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم
الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين امنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله
وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وامنوا او عاهدوا
والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين
تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان
فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم
اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن
الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل
على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا

فألزمنا من غرى بالشيء إذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية أو بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لأنه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به إذا لم يضطر إليه أمر ديني أو عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن فإنه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الإعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي به الله وحد الضمير لأن المراد بهما واحد أو لأنهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالإيمان منه سبل السلام طرق السلامة من العذاب أو سبل الله ويخرجهم من الظلمات إلى النور من أنواع الكفر إلى الإسلام بإذنه بإرادته أو توفيقه ويهديهم إلى صراط مستقيم طريق هو أقرب الطرق إلى الله ومؤد إليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به أحد منهم ولكن لما زعموا أن فيه لاهوتا وقالوا لا إله إلا واحد لزمهم أن يكون هو المسيح فنسب إليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وإرادته شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره أن المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الألوهية ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير إزاحة لما عرض لهم من الشبهة في

أمره

أمره والمعنى أنه تعالى قادر على الإطلاق يخلق من غير أصل كما خلق السموات والأرض ومن أصل كخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن أصل يجانسه إما من ذكر وحده كما خلق حواء أو من أنثى وحدها كعيسى أو منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه أشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لأشياع ابن الزبير الخبيبون أو مقربون عنده قرب الأولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم أي فإن صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فإن من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ واعترفتم بأنه سيعذبكم بالنار أياما معدودة بل أنتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى أنه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والأرض وما بينهما كلها سواء في كونها خلقا وملكا له وإليه المصير فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم أي الدين وحذف لظهوره أو ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز أن لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال أي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم أي جاءكم على فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي أو بمبين حال من الضمير فيه أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة أن تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الإرسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام إذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وعلى الإرسال

على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع
وستون سنة واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان
العبسي وقيل لا يؤيد امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا
احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء و
جعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء
بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في
ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا
وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم
ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار
الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وقيل فلسطين
وبعض الاردن وقيل الشام كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في
اللوح انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا
فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة
وقيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل
علينا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق
على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على
العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين
لا يتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر
الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون

اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون
الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو
لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد
له انه قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة
اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان
والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم
اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه
فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق لعظم اجسامهم ولانهم اجسام
لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما
علماه من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى
الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى
انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد ما داموا فيها بدل
من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قالوا ذلك
استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك
يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي
قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه غير هارون
والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه
ويجوز ان يراد من اخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او
على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره
عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما
يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان

الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى سار بعده بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله تعالى الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فايكما قبل يتزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم من الصلب وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف

اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف النبأ او حال منه او بدل على حذف مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما اوتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك الي يدك ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يتعد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل

من اجلي قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله
لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بذلك الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة
واقع فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه
ويجوز ان يكون بالاثم عقوبته واراده عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه
قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت
على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه
فطاوعه وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح
من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل
وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم
فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه لما قتله
تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني ادم فبعث الله غرابين
فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة
والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني
مفعولي يرى والمراد بسوءة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى
قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي
احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل
هذا الغراب فاواري سوءة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري
عطف على ان اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت
وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح
من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة
او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي

انه لما

انه لما قتله اسود جسده فسأله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته
فلذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر
بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل
في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من
جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل
ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من
قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض
او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث
انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد
والجمع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا
الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حيوتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ
من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم
قتل النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون
اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا
اليهم الرسل بالايات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم
يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف
التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي
يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب
السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر
ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر

لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا
اي من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان
قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب
حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم
اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض
من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة
وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الاية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير و
الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في
الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا
الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله
تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى
الاولياء يسقط وجوبه بالتوبة لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة
يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الاية في
قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرء عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا
ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى
ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه
وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه
الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته
ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا من صنوف الاموال ومثله معه
ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة واللام
متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير

مع ان المذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك
او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان و
الجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم
تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين
بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان
عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد
والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي
سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار
وتاويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما يوجب القطع اذا كانت من حرز
والماخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا
وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح و
المراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع
الجمع موضع المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد
اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ
لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله
منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم
فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي
عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور
رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين
لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي

اولكل واحد **يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير** قدم التعذيب
على المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به
القطع وهو في الدنيا **يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون** اي صنيع الذين
يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة **من الذين قالوا آمنا
بافواههم ولم تؤمن قلوبهم** اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا
والواو يحتمل الحال والعطف **ومن الذين هادوا** عطف على من الذين قالوا
سماعون للكذب خبر محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين
يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام
في للكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون لما يفتريه الاحبار
او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه **سماعون
لقوم آخرين لم ياتوك** اي لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك
تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون
كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب
لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين **يحرفون
الكلم من بعد مواضعه** اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها
اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده
والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استيناف
لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك **يقولون
ان اوتيتم هذا فخذوه** اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به **وان
لم تؤتوه** بل افتاكم محمد بخلافه **فاحذروا** قبول ما افتاكم به روي ان
شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط

منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عليه السلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم
فاقبلوه وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما
بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم
الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه
هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل
علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وآله بالزانيين فرجما عند باب المسجد
ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته **فلن تملك له من الله شيئا** فلن تستطيع
له من الله شيئا في دفعها **اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم** من الكفر وهو كما ترى
نص على فساد قول المعتزلة **لهم في الدنيا خزي** هوان بالجزية والخوف
من المؤمنين **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا
ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين **سماعون للكذب** كرره للتاكيد
اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة
وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق
وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر **فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم**
تخيير لرسول الله صلى الله عليه وآله اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل
لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي والاصح وجوبه
اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم
والاية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا **وان تعرض عنهم فلن
يضروك شيئا** بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس
وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله به **ان الله يحب
المقسطين** فيحفظهم ويعظم شانهم **وكيف يحكمونك وعندهم التوراة**

فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه
في الكتاب الذي عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع
وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله
حال من التورية ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن
فيه وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم
يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم و
هو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم
عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التورية فيها هدى يهدي الى
الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني
اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرعنا ما لم ينسخ وبهذه
الآية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم
وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء
هديهم للذين هادوا متعلق بانزلنا او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم
وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم
السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله
بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما
محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا
او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس
واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها
خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتي ولا تستبدلوا باحكامي
التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله

مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا
بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم
على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث
باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه
في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى
وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التورية ان النفس بالنفس
اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن
والسن بالسن رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها
باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة و
القراءة تقعان على الجمل كالقول او مستانفة ومعناه وكذلك العين مفقوءة
بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة
بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ
لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح
قصاص اي ذات قصاص وقراه الكسائي ايضا بالرفع ووافقه ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به
بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر
الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له فالمتصدق
كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شي ومن لم يحكم بما انزل الله
من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم اي اتبعناهم
على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى
ابن مريم مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه

من التوراة وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال
ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وكذا قوله وهدى
وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف او تعليقا
به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الاول
اللام متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة
بالامر كقولك امرتك بان قم اي وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان
الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام
وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل
باحكام التوراة خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القرآن
مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد
والثانية للجنس ومهيمنا عليه رقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغير و
يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اي هومن عليه وحوفظ
من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم
بما انزل الله اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف
عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله
اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة
شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة
الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر
اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء
الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار

من غير

من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء
الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة
المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها
بمقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات
فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم
جميعا استئناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل
والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب
والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا
ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان يضلوك
ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذر فتنتهم او مفعول له
اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد
لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان
اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي
لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا
عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم
يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا
مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير
ونظيره قول لبيد: او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس
لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون
الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية هي متابعة الهوى وقيل

نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية
من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع
محذوف حذفه في الصلة في قوله أهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك
في غير الشعر وقرئ أفحكم الجاهلية يبغون اي فحاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم
وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون ومن احسن
من الله حكما لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك
اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور و
يتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم
معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهي اي فانهم متفقون
على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادكم ومن
يتولهم منكم فانه منهم اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا التشديد
في وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما او لان الموالين لهم كانوا
منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار
او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي
واضرابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون
نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان يصيبهم دائرة
من دوائر الزمان بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار روي ان عبادة بن الصامت
قال لرسول الله صم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله
ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف
الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي فنزلت فعسى الله ان يأتي بالفتح

لرسول

لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة
اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي
هؤلاء المنافقين على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر و
الشك في امر الرسول فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا
بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير
ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون
ح وبالنصب قراءة ابو عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتي باعتبار المعنى وكأنه
قال عسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا او يجعله بدلا من اسم الله
داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى
الله ان يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به أهؤلاء
الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض
تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود
فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم
وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير و
اقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه
ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم
فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط
اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين
آمنوا من يرتد منكم عن دينه قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك
في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها
وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صم ثلث فرق بنو مدلج وكان

رئيسهم ذو الحمار الأسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتل فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها وأخبر الرسول في تلك الليلة بالوحي فسر المسلمون وأتى الخبر في أواخر شهر ربيع الأول وبنو حنيفة أصحاب مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر بجنود من المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وفي عهد أبي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله أمرهم على يده وفي إمرة عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشام **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** قيل هم أهل اليمن لما روي أنه عليه السلام أشار إلى أبي موسى وقال قوم هذا وقيل الفرس لأنه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس والراجع إلى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى لهم إرادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له إرادة طاعته والتحرز عن معاصيه **أذلة على المؤمنين** عاطفين عليهم

متذللين

متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل واستعماله مع على إما لتضمين معنى العطف والحنو أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أو للمقابلة **أعزة على الكافرين** شداد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال **يجاهدون في سبيل الله** صفة أخرى للقوم أو حال من الضمير في أعزة **ولا يخافون لومة لائم** عطف على يجاهدون بمعنى أنهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه أو حال بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فإنهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة أوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان **ذلك** إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف **فضل الله يؤتيه من يشاء** يمنحه ويوفق له **والله واسع** كثير الفضل **عليم** بمن هو أهله **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وإنما قال وليكم ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله على الأصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع **الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة** صفة للذين آمنوا فإنه جرى مجرى الاسم أو بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح **وهم راكعون** متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون أي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الإحسان ومسارعة إليه فإنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على إمامته زاعمين أن المراد بالولي المتولي للأمور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد خلاف الظاهر وإن صح أنه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه

وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهو ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شرره في البيت فاحرقته واهله

ذلك

ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا المخالفة لكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت

مسخ شبابهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من
وكذا عُبِدَ الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعَبُدَ بمعنى صار معبودا
فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت او عَبُد على انه نعت
كفطن ويقظ او عبدة او عُبّد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة
فحذف التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبدِ الطاغوت بالجر عطفه على من
والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه فى معصية الله اولئك
اى الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم
وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو
النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة
الى المؤمنين فى الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت فى يهود نافقوا
رسول الله او فى عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون
من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا
وبالكفر وبه حالان من فاعلى دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقرب الماضى من الحال
ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت
لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون
اى من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اى من اليهود او المنافقين يسارعون
فى الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم
او مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم
واكلهم السحت اى الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس
شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت
تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضى افاد التوبيخ واذا

دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون
من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحرى اجادة ولذلك ذم به
خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها
ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله
مغلولة اى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود
ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل وبسط ولذلك تستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله
جاد الحمى بسط اليدين بوابل • شكرت نداه تلاعه ووهاده • ونظيره من المجازات
المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل
والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدى حقيقة يغلون اسارى فى الدنيا و
يسحبون الى النار فى الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك
سبنى سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة فى الرد ونفى
البخل واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخى من ماله ان يعطيه بيديه و
تنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام
ينفق كيف يشاء تأكيد لذلك اى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق
اخرى على مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق فى ذات يد ولا يجوز
جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين ولا من
ضميرهما لذلك والآية نزلت فى فنحاص بن عازورا فانه قال ذلك لما كف الله عن
اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم واشرك فيه الآخرون
لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد

المريض من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب امنوا بمحمد وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القران لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنون ما تهدل منها من رؤس الاشجار ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم لشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين

امنوا

امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوء عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرا نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد به تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية بأسرها آمرة بالايمان بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم

وكفرهم بما تبلغ اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة
لك عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره
في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير
عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا
والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا
انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما كان
الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح
منهم الايمان والعمل كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون النصارى معطوفا
عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا و
انت بما عندك راض والرأي مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها
فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ و
خبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل
ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع
الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء
جوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء
وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدأ كما مر
والراجع محذوف اي من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه
وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون
بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع
الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا
اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما

لا تهوى

تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا
وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم
وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جيء يقتلون موضع قتلوا
على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك
ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآي وحسبوا ان لا تكون فتنة
اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ
ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من المثقلة
واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة
العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين
او عن الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل
ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى
وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل
واللغة الفاشية اعمي واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة
الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف اي العمي والصم كثير منهم
وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله
بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اني عبد مربوب
مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به
من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنعه دخولها كما يمنع المحرم عليه
من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما
للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع

لهم

المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من
تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى
وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين
قالوا ان الله ثالث ثلثة اى احد ثلاثة وهو حكاية عما قال النسطورية و
الملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد
وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق العبادة من حيث انه
مبدأ جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن
مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين
كفروا منهم عذاب اليم اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا
من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على
ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه اى الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد الباطلة
والاقوال الزائغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد
هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا
وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما
خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على
يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب
وامه صديقة كساير النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا
ياكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال
ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على

نقصهما

نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة
ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف
نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله
وثم لتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل
اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك
ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب
وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة
عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة
فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو
السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر
قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى
الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشده وقيل الخطاب للنصارى
خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم
الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه في شريعتهم واضلوا كثيرا ممن شايعهم
على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام
بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل
والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل
على لسان داود وعيسى ابن مريم اى لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما
وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة
لما كفروا دعا عليهم عيسى فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما
عصوا وكانوا يعتدون اى ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم

واعتدائهم ما حرم الله عليهم **كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه** اى لا ينهى بعضهم
بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله
وتهيئوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع **لبئس
ما كانوا يفعلون** تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم **ترى كثيرا منهم** من اهل
الكتاب **يتولون الذين كفروا** يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين
لبئس ما قدمت لهم انفسهم اى لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة
ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب
سخط الله والخلود فى العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيئا
ذلك لانه كسبهم السخط والخلود **ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى** يعنى نبيهم
وان كانت الاية فى المنافقين فالمراد نبينا **وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء** اذ الايمان
يمنع ذلك **ولكن كثيرا منهم فاسقون** خارجون عن دينهم او متمردون فى نفاقهم
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم
وتضاعف كفرهم وانهماكهم فى اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن
التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم **ولتجدن اقربهم مودة للذين
آمنوا الذين قالوا انا نصارى** للين جانبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم
بالعلم والعمل واليه اشار بقوله **ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون**
عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على
ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كان
من كافر **واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض** عطف على لا يستكبرون
وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم
عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع الفيض موضع الامتلاء للمبالغة

من الدمع

الجزء السابع

او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها **مما عرفوا من الحق**
من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى
انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله **يقولون ربنا آمنا** بذلك
او بمحمد **فاكتبنا مع الشاهدين** من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته
الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة **وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق
ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين** استفهام انكار واستبعاد لانتفاء
الايمان مع قيام الداعى وهو الطمع فى الانخراط مع الصالحين والدخول مداخلهم
او جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما فى اللام من معنى الفعل
اى اى شىء حصل لنا غير مؤمنين بالله اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين
او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما
ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اى ونحن نطمع والعامل
فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن **فاثابهم الله بما قالوا** اى عن اعتقاد
من قولك هذا قول فلان اى معتقده **جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك جزاء المحسنين** الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا
الاحسان فى الامور والايات الاربع روى انها نزلت فى النجاشى واصحابه بعث
اليه رسول الله صلعم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين معه
واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القران فقرأ سورة
مريم فبكوا وآمنوا بالقران وقيل نزلت فى ثلثين او سبعين رجلا من قومه
وفدوا على رسول الله صلعم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا **والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم** عطف التكذيب بايات الله على الكفر
وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم فى معرض المصدقين بها

جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم
اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث
على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد
الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان
يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فيكون الاية ناهية عن
تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلعم
وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت
عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا
على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا
الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا
فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر و
اكل اللحم والدسم واتي النساء والطيب فمن رغب عن سنتي فليس مني وكلوا
مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا
مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتداء
متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف
او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر
الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم هو ما يبدو للمرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله و
اليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة
وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم

بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي
وابن عياش عقدتم بالتخفيف وابن عامر عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته
فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على
جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على
يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير اطعام
عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر
وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول
محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على
البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها
في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي جمع ليل والاراضي في جمع ارض
وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا
وهي ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم
الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون
اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط
والكاف في محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة
او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل و
معنى او ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن
لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام ثلثة ايام
وشرط ابو حنيفة التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة
عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم

إذا حلفتم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا
تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او
بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اى مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته
اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمه الواجب شكرها
فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر
والميسر والانصاب اى الاصنام التى نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها
فى اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر
وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطى الخمر والميسر
من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس
او لما ذكر او للتعاطى لعلكم تفلحون لكى تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم
انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام
والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما
شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح
ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم
فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر و
الميسر ويصدكم عن ذكر الله وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال
تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما
فى الحرمة والشرارة لقوله عليه السلم شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة
من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان
من حيث انها عماده والفارقة بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة
الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال فهل انتم منتهون

وعن الصلوة

ابدا لان المنع والتحذير بلغ الغاية والاعذار قد انقطعت واطيعوا الله
واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا عما نهيا عنه او من مخالفتهما فان توليتم
فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم
فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اى اتقوا
المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا
بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصى واحسنوا وتحروا
الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله
فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون
هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى
والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان
فى الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه السلم فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدا
والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات توقيا من العقاب
والشبهات تحرزا عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا
لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشىء وفيه ان من فعل ذلك
صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله
بشىء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد
وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا
برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير فى بشىء للتنبيه على انه ليس من العظائم التى
يدحض لها الاقدام كالابتلاء ببذل الاموال والانفس فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عنده
ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب

قال عليه السلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحديث

مستقر لقوة إيمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة إيمانه فذكر العلم وأراد وقوع المعلوم
وظهوره أو تعلق العلم **فمن اعتدى بعد ذلك** بعد ذلك الابتلاء بالصيد
فله عذاب أليم فالوعيد لاحق به فإن من لا يملك جأشه في مثل ذلك ولا يراعي
حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس أميل إليه وأحرص عليه **يا أيها الذين آمنوا
لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم** أي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله
ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم وأراد بالصيد ما يؤكل لحمه لأنه الغالب
فيه عرفاً ويؤيده قوله عليه السلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحدأة والغراب
والعقرب والفأرة والكلب العقور وفي رواية أخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه
من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف في أن هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق
مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني أو لا فيكون كالشاة المغصوبة إذا ذبحها
الغاصب **ومن قتله منكم متعمداً** ذاكراً لإحرامه عالماً بأنه حرام عليه قتل ما يقتله
والأكثر على أن ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فإن إتلاف العامد والمخطئ واحد
في إيجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولأن الآية نزلت فيمن تعمد
إذ روي أنه عنّ لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه أبو اليسر برمحه فقتله
فنزلت **فجزاء مثل ما قتل من النعم** برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب
بمعنى فعليه أو فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل
بينهما بالصفة فإن متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وإنما يكون
صفته وقرأ الباقون على إضافة المصدر إلى المفعول وإقحام مثل كما في
قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه أن يجزي ما قتل وقرئ فجزاء مثلَ ما قتل
بنصبهما على فليجز جزاءً أو فعليه أن يجزي جزاءً يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما
قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك ومحمد والقيمة عند أبي حنيفة

وقال

وقال يقوم الصيد حيث قتل فإن بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين أن يهدي ما قيمته قيمته
وبين أن يشتري بها طعاماً فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعاً من غيره
وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوماً وإن لم تبلغ تخير بين الطعام والصوم
واللفظ للأول أوفق **يحكم به ذوا عدل منكم** صفة جزاء ويحتمل أن يكون
حالاً من الضمير في خبره أو منه إذا أضفته أو وصفته ورفعته بخبر مقدر ولمّا
كان التقويم يحتاج إلى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة إليهما فإن
الأنواع تتشابه كثيراً وقرئ ذو عدل على إرادة الجنس أو الإمام **هدياً** حال من
الهاء في به أو من جزاء وإن نوّن لتخصصه بالصفة أو بدل عن مثل باعتبار محله
أو لفظه فيمن نصبه **بالغ الكعبة** وصف به هدياً لأن إضافته لفظية ومعنى
بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة وقال أبو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق
به حيث شاء **أو كفارة** عطف على جزاء إن رفعته وإن نصبته فخبر محذوف
طعام مساكين عطف بيان أو بدل منه أو خبر محذوف أي هي طعام و
قرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالإضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى
عند أبي حنيفة أو أن يكفر بإطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب
قوت البلد كل مسكين مداً **أو عدل ذلك صياماً** أو ما ساواه من الصوم
فيصوم عن طعام كل مسكين يوماً وهو في الأصل مصدر أطلق للمفعول
وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك إشارة إلى
الطعام وصياماً تمييز للعدل متعلق بالمحذوف أي فعليه الجزاء أو الطعام أو الصوم
ليذوق وبال أمره ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام
أو الثقل الشديد لمخالفة أمر الله وأصل الوبل الثقل ومنه طعام وبيل
عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرماً في الجاهلية أو قبل التحريم أو في هذه المرة

إذ كانوا متعبدين بشرع من قبلهم وكان الصيد فيه محرماً

ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكى عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلم في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يوكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اى ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلم لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اى محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذى اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمى البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدى والقلائد سبق تفسيره والمراد بالشهر الشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم

تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اى الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوى الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردى من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولى الالباب اى فاتقوه في تحرى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحى تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيئ كهين او شيء كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روى انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلعم حتى اعاد ثلثا

فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت
او استئنافا اي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله
غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس
انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم
فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار وقال آخر
من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير
للمسألة التي دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء اي عنها بحذف
الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون
صفة الجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها
حيث لم يأتمروا بما سألوا وجحدوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة
رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن
آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب و
كان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في
تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم
وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب
الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى
ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو
البحيرة ومن زائدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم
ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم
او الآمر من الناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك
ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا

الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور
عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على
هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان
الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد
يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار
مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا
يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء
ان ينكر المنكر حسب طاقته قال عليه السلام من رأى منكرا واستطاع ان يغيره
بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية
نزلت حين كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل
اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه خبر
ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا
لضم الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة ويؤيده قراءة من قرأ لا يضركم
بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه
على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اي فيما
امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد واضافتها الى الظرف
على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم
الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية
بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما لا ينبغي ان يتهاون فيه او ظرف

حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا
عدل منكم اي من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان للاثنان او آخران
من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان
شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم
فيها فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتكم الاجل تحبسونهما تقفونهما
وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله
او آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم
فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا
بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت
اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلوة
فيقسمان بالله ان ارتبتم اي ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا
مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب
والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا
بالطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف
اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا الله باقامتها
وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم
وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغيره كقولهم الله لافعلن
انا اذا لمن الآثمين ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا
اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ

حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما
ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران
او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين
على انه صفة للذين او بدل منه اي من الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية
وانتصابه على المدح والاولان على انه ... فيقسمان بالله لشهادتنا
احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا
فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم
ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه
او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر
فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ
في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء
الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا
يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما
لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى
اذ روي ان تميما الداري وعدي بن بدا خرجا الى الشام للتجارة وكانا
حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدما الشام
مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى
اليهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة
فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما
بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلعم فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية فحلفهما
رسول الله بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما

فلما ابتاعها بنو سهم فذكرت فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان
نقر به فرفعوهما الى رسول الله فنزلت فان عثر فقام عليهما عمرو بن العاص
والمطلب بن ابي وداعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص
الواقعة ذلك اى الحكم الذى تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان يأتوا
بالشهادة على وجهها على نحو ما تحملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا
ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم
فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود
كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي
القوم الفاسقين اى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله
لا يهدي القوم الفاسقين اى لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله يوم
يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال
او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعهم
او منصوب باضمار اذكر فيقول اى للرسل ماذا اجبتم اى اجابة
اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باى شيء اجبتم فحذف الجار وهذا
السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا
علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم
مما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم
ورد الامر الى علمه بما كابدوا وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا
بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد
تم بقوله انك انت اى انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب
على الاختصاص او النداء اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك

وعلى والدتك بدل من يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى
يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات
فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا اخرون فاتخذوهم الهة او نصب باضمار اذكر
اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ ايدتك بروح القدس
بجبريل عليه السلام او بالكلام الذى يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية وتطهر
من الاثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اى كائنا في المهد وكهلا
والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية
بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل
ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين
كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني
سبق تفسيره في سورة ال عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد و
الجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله
اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا
الا سحر مبين اى ما هذا الذى جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر
فالاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين اى امرتهم على السنة رسلي
ان امنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة قالوا
امنا واشهد باننا مسلمون اى مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم
منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع
قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق
واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه
القدرة وقيل معناه هل يستطيع هل يطيع ربك اى هل يجيبك واستطاع

بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرا الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى
هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد
الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيره
قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم
مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد
ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا
بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال
قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا
ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين
دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك
وانهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا
مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل
وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على
جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا
ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا
وقيل ياكل منها اولنا واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة
وآية منك عطف على عيدا ومنك صفة لها اي كائنة منك دالة على كمال قدرتك
وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين
خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها عليكم
اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا
ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او العذاب

الذي يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اي عالمي زمانهم
او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت
سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام
وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة
ثم قام وتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا
سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها
خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها
زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد
فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما
بل اخترعه الله بقدرته كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله
فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن
الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة
ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها
الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء
الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره
ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي للفقراء
والمرضى دون الاصحاء والاغنياء فاضطرب الناس فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا
وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريدها فلم
تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله تعالى لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية
المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء
البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها

فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع
عليها فلم تنفعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى
ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان الى كل اذا انعكس على ما هو
اعظام مقام لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا **واذ قال**
الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى
دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره
كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور
فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان
عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين
متوصلين بنا الى الله **قال سبحانك** اي انزهك تنزيها من ان يكون
لك شريك **ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق** ما ينبغي لي ان اقول
قولا لا يحق لي ان اقوله **ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي**
ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه
من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات **انك**
انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه **ما قلت**
لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه **ان**
اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من
شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع
او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابدال من ما امرتني به
فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان تكون مفسرة لان الامر مسند

الى

الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده
الا ان يأول القول بالامر فكانه قيل ما امرتهم الا بما امرتني به ان اعبدوا الله
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك و
يعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان **فلما توفيتني** بالرفع الى السماء
لقوله اني متوفيك ورافعك الي والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال
الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها **كنت انت**
الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد
الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات **وانت على كل**
شيء شهيد مطلع عليه مراقب له **ان تعذبهم فانهم عبادك** اي ان تعذبهم
فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه
على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك قد عبدوا غيرك **وان تغفر لهم فانك**
انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب
والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة
لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك
مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق بان **قال الله**
هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه
ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي من
كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل
وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا
فان النافع ما كان حال التكليف **لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين**
فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع

لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم غير اولي العقل اعلاما بانهم في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلث من قوله تعالى قل تعالوا اتل ...

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها **وجعل الظلمات والنور** انشاهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وافرد النور لقصد الجنس وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين

كفروا

كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به **هو الذي خلقكم من طين** اي ابتدا خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباءكم فحذف المضاف **ثم قضى اجلا** اجل الموت **واجل مسمى عنده** اجل القيمة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن ياتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه **ثم انتم تمترون** استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع **وهو الله** الضمير لله والله خبره **في السموات وفي الارض** متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم

والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما
كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر
وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما **يعلم سركم وجهركم**
بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا يتقدم **ويعلم ما تكسبون**
من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر
من احوال النفس وبالمكتسب اعمال الجوارح **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم**
من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل من الادلة
او معجزة من المعجزات او اية من ايات القران **الا كانوا عنها معرضين**
تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه **فقد كذبوا بالحق لما جاءهم** يعني القران
وهو كاللازم مما قبله على معنى انهم لما كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا به
لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القران وكذبوا به
وهو اعظم الايات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء
فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اي سيظهر لهم ما كانوا
به يستهزءون عند نزول العذاب بهم في الدنيا والاخرة او عند ظهور الاسلام
وارتفاع امره **الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن** اي من اهل زمان
والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل
القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه
من قرنت **مكناهم في الارض** جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها
او اعطيناهم من القوى والالات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها
ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم
نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب **وارسلنا**

السماء

السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها **مدرارا**
مغزارا **وجعلنا الانهار تجري من تحتهم** فعاشوا في الخصب والريف
بين الانهار والثمار **فاهلكناهم بذنوبهم** اي لم يغن ذلك عنهم شيئا
وانشأنا واحدثنا **من بعدهم قرنا آخرين** بدلا منهم والمعنى انه كما
قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده
قدر ان يفعل ذلك بكم **ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس** مكتوبا في رق
فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم
ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع و
تقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا
السماء **لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين** تعنتا وعنادا **وقالوا
لولا انزل عليه ملك** هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل
اليه ملك فيكون معه نذيرا **ولو انزلنا ملكا لقضي الامر** جواب لقولهم
وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل
بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن
قبلهم **ثم لا ينظرون** بعد نزوله طرفة عين **ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون** جواب ثان ان جعل الهاء
للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون
لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى لو
جعلنا قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل
جبريل في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على روية الملك في
صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب

الريف ارض فيها زرع وخصب وجمع ارياف ص

سكرت اي سدت من قولهم سكرت النهار سددته

للفحص نسخه

محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على
انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحدة وللبسنا
بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم
على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون
فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤون به حيث اهلكوا لاجله او نزل بهم
وبال استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين
كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي يعتبروا والفرق بينه وبين قوله
قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا
ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار
الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال
تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث
لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا
والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده
بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة
استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور
مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في
وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فانه من رحمته بعثه اياكم وانعامه
عليكم لا ريب فيه في اليوم او في الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع
رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب
على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا
يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان

ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد والاغفال في
النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله ما سكن في الليل
والنهار عطف على لله من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى
باحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه
شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله
اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم
واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر
السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني
اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وجره
على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب
على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة
الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله
والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية
وبنائهما على الفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على انه يطعم
تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون
اول من اسلم لان النبي سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي
ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم
مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون
للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه
الجملة من يصرف عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي

ويعقوب وابو بكر عن عاصم يَصرِفْ على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره
والمفعول محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه
وذلك الفوز المبين اى الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية
كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير
بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شىء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته
فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده
تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم فى امره وتدبيره الخبير
بالعباد وخفايا احوالهم قل اى شىء اكبر شهادة نزلت حين قال قريش
يا محمد لقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر
ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشىء يقع على كل موجود
وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة قل الله اى الله اكبر شهادة ثم ابتدا
شهيد بينى وبينكم اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب
لانه تعالى اذا كان هو الشهيد كان اكبر شىء شهادة واوحى الى هذا القرآن
لانذركم به اى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ
عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر
او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل
على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ
بها من لم يبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار
واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اى بل
اشهد ان لا اله الا هو واننى برىء مما تشركون يعنى الاصنام الذين
آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته المذكورة فى التورية والانجيل

كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب و
المشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله
او كذب بآياته كأن كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر
او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط
فى الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد
اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول
للذين اشركوا اين شركاؤكم اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب
يحشرهم ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اى تزعمونهم شركاء فحذف
المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ
ليفقدوها فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم
ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوا بها
من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب
او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم
بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر بالتاء والنصب على ان الاسم
ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب
والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع
من فرط الدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل
معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا
على انفسهم اى بنفى الشرك عنها وحمله على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بالنظم

ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب
على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من
يستمع اليك حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر و
عتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله يقرأ
فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه
يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية وجعلنا على قلوبهم
اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه
وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول البقرة
وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم
حتى اذا جاؤك يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك
وحتى هي التي تقع بعدها الجمل والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا
الا اساطير الاولين فانه جعل احسن الحديث خرافات الاولين غاية
التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك في موضع
الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة
او اسطارة او اسطار جمع سطر واصل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه
اي ينهون الناس عن القرآن او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم
او ينهون عن التعرض لرسول الله وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب
وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره
لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اي لو
تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها
فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل

من

من وقف عليه وقوفا يا ليتنا نرد ولا نكذب تمنيا للرجوع الى الدنيا بآيات
ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الاثبات
كقولهم دعني ولا اعود اي انا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد
او حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمني وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه
التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو
واجرائها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم
من التمني اي ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك
ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا اي الى الدنيا بعد الوقوف
والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون
فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون
او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا
الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس
للسؤال او التوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه
حق التعريف قال أليس هذا بالحق كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم
حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب
قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث
وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له
بغتة فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا

يا حسرتنا اى تعالى فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها فى الحيوة
الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او فى الساعة يعنى فى شانها و
الايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار
الآثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة
الدنيا الا لعب ولهو وما اعمالها الا لعب ولهو يلهى الناس ويشغلهم
عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هى الا حيوتنا
الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها و
قوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ
ابن عامر ولدار الآخرة افلا تعقلون اى الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر
ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم
انه ليحزنك الذى يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما فى
قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء فى انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن
فانهم لا يكذبونك فى الحقيقة وقرأ نافع والكسائى لا يكذبونك من اكذبه
اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على
انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى
التكذيب روى ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما
نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفى تكذيبه مطلقا فصبروا على
ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم
نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده

من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبإ المرسلين
اى من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم
عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض
او سلما فى السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع
لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفى الارض صفة لنفقا
وفى السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغى او حالين من المستكن
وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فافعل والجملة جواب للاول والمقصود بيان
حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض او
من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
اى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق
به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى
بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين
بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة انما
يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل لقوله او
القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى لا يسمعون والموتى يبعثهم الله
فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل
عليه اى على محمد صلى الله عليه وسلم آية من ربه اى آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى
ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر
على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او
آية ان جحدوا هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها
وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ

ابن كثير ينزل والمعنى واحد وما من دابة في الأرض تدب على وجهها ولا طائر
وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا
لمجاز السرعة ونحوها إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها مقدرة أرزاقها
وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره
ليكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آية وجمع الأمم للحمل على المعنى ما فرطنا
في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فإنه مشتمل على ما يجري في العالم
من جليل ودقيق لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد أو القرآن فإنه قد دون
فيه ما يحتاج إليه من أمر الدين مفصلا أو مجملا ومن زائدة وشيء في موضع المصدر
لا المفعول فإن فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي إلى الكتاب وقرئ
ما فرطنا بالتخفيف ثم إلى ربهم يحشرون يعني الأمم كلها فينصف بعضها من بعض
كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا
بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه و
عظم قدرته سماعا تتأثر به قلوبهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات
خبر ثالث أي خابطون في ظلمات الكفر أو في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد
ويجوز أن يكون حالا من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله إضلاله
يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم
بأن يرشده إلى الهدى ويحمله عليه قل أرأيتكم استفهام تعجيب والكاف
حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الإعراب لأنك تقول أرأيتك
زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل
إلى ثلاثة مفاعيل وللزم في الآية أن يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق أو المفعول
محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم إذ تدعونها إن أتاكم عذاب الله

كما أتى من قبلكم أو أتتكم الساعة وهولها ويدل عليه أغير الله تدعون
وهو تبكيت لهم إن كنتم صادقين أن الأصنام آلهة وجوابه محذوف أي فادعوه
بل إياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول
لإفادة التخصيص فيكشف ما تدعون إليه أي ما تدعونه إلى كشفه إن شاء
أن يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم في
ذلك الوقت لما ركز في العقول على أنه القادر على كشف الضر دون غيره أو تنسونه
من شدة الأمر وهوله ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك أي قبلك ومن زائدة فأخذناهم
أي فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء
الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون
لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم
في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان
ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع
وأنه لا مانع لهم إلا قساوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم
فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم
أبواب كل شيء من أنواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء
وامتحانا لهم بالشدة والرخاء إلزاما للحجة وإزاحة للعلة أو مكرا بهم لما روي
أنه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن
ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الأعراف حتى إذا فرحوا أعجبوا
بما أوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم
والقيام بحقه أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع
دابر القوم الذين ظلموا آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبرا

ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة
من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقايدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها
قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم
بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك
او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الايات نكررها
تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه
والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد
الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة
من غير مقدمة او جهرة بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا ونهارا
وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب
الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح
الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين
بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه
على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب
والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب
للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب
خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته
او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي او لم ينصب عليه دليل
وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على
ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية
وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على

فساد

فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او
الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية او الملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون
فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلمون ان اتباع الوحي مما لا
محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى اليه الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او
مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين عنه الجازمين باستحالته ليس لهم من
دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال
لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم
ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين
كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين
قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم وروي ان عمر قال لو فعلت حتى ننظر الى ماذا
يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي
الدوام وقيل صلوتا الصبح والعصر وقرا ابن عامر بالغدوة يريدون
وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص
تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك
حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم
لو امنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان
لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم
اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم

وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث
تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من
الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك
فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور
الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء
على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
اي اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن
الاكابر والرؤساء وهم المساكين الضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من
بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة
او التعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين
بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه ومن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك
الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة
الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع
الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او
يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن
طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي
ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلام في الدنيا والرحمة في
الآخرة وقيل ان قوما جاؤوا الى النبي صلعم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما
فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استيناف
بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها
بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار

والمفاسد كعمر فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدي
الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء
واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح
الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك
اي ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن في صفة
المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأ
نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم
بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص
عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير
السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الآيات
ليظهر الحق وليستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من
الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من
دون الله عن عبادة ما تدعون من دون الله او ما تدعونها آلهة اي تسمونها
قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي و
علة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه
هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت
اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في
شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة
على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل
الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها من
ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به

الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقص الحق اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل او تاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله تعالى او بدل الاشتمال ان اريد به

قرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك ما احد منهم ولا امرأة الا في الدار

اللوح

اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل ورقة او رفعا للابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المستيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة ونقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين

يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من
ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعير الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول
وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في
البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا
وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرأ ابو بكر خفية بالكسر لئن
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون لئن
انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة
قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب
غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما
وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله فكأنه لم
يعبده رأسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم
نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف
بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم
او يلبسكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال
وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق
بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات
بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقرآن
وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ
وكل اليّ امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبأ
خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف
تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الآخرة واذا رأيت الذين يخوضون في

آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم
وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن
واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر
ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين
اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء
موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من
قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء شيء مما يحاسبون عليه
ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره
من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن
عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء
لذلك ولان من لا يزاد في الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او
كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم
ولا ينثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن
لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم
لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع
عاجلا وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي
كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم
زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون
تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على
الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى انكروا البعث
وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك

فرس الاسد فريسته فرسا وافترسها اي دق عنقها

وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله من ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا اتعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا ولا ضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرا حمزة استهواه بالامالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اي مشبهين بالذي استهوته او على المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة وان

اقيموا

اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر او فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابراهيم لابيه آزر هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد آزر اتتخذ اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ ءازرا تتخذ اصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرا يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم اني اراك وقومك في ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نري ابراهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية

حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلايل الربوبية
ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجايبها وبدايعها والملكوت
اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اى ليستدل وليكون
او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي تفصيل و
بيان لذلك وقيل عطف على واذ قال ابرهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه
كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى
الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان
الزهرة او المشترى وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد
قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال
وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اى غاب قال
لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستار يقتضي الامكان
والحدوث وينافي الالوهية فلما راى القمر بازغا مبتديا في الطلوع قال هذا
ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه
واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه
وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها
فهو ضال فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر
وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا
لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة
المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما يختص به ثم لما تبرا عنها
توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج

بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب
الذى يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه و
خاصموه في التوحيد قال اتحاجوني في الله في وحدانيته وانا قد عرفتها
بتحقيق النظر وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به
اى لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء
ربي شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن آلهتهم
وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اى
احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا
تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف
اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو
حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين
المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا
ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن
اى الموحدون والمشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية
نفسه ان كنتم تعلمون بالحق ان يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه او من الله بالجواب
عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الاية لما نزلت شق ذلك
على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلم ليس ما تظنون انما هو
ما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان
تصدق بوجود الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق الاشراك وقيل المعصية
وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم عليه السلم على قومه من قوله فلما جن عليه

الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني اليه **وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم** ارشدناه اليها وعلمناه اياها **على قومه** متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اى آتيناها ابرهيم حجة على قومه **نرفع درجات من نشاء** في العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين **ان ربك حكيم** في رفعه وخفضه **عليم** بحال من يرفعه واستعداده له **ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا** اى كلا منهما **هدينا ونوحا هدينا من قبل** من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد **ومن ذريته** الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحا **داود وسليمن وايوب** ايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق **ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين** اى نجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم **وزكريا ويحيى وعيسى** وهو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت **والياس** قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى **كل من الصالحين** الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي **واسمعيل واليسع** هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائي والليسع وعلى القرائتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله **ويونس** هو يونس بن متى **ولوطا** هو ابن هاران اخي ابرهيم **وكلا فضلنا على العالمين** بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق **ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم** عطف

على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا **واجتبيناهم** عطف على فضلنا او هدينا **وهديناهم الى صراط مستقيم** تكرير لبيان ما هدوا اليه **ذلك هدى الله** اشارة الى ما دانوا به **يهدي به من يشاء من عباده** دليل على انه متفضل بالهداية **ولو اشركوا** اى ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم **لحبط عنهم ما كانوا يعملون** لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها **اولئك الذين آتيناهم الكتاب** يريد به الجنس **والحكم** الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق **والنبوة** الرسالة **فان يكفر بها** اى بهذه الثلثة **هؤلاء** يعني قريشا **فقد وكلنا بها** اى بمراعاتها **قوما ليسوا بها بكافرين** وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبي او كل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة **اولئك الذين هدى الله** يريد الانبياء المتقدم ذكرهم **فبهداهم اقتده** فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر **قل لا اسئلكم عليه** اى على التبليغ **اجرا** جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه **ان هو** اى التبليغ او القرآن او الغرض **الا ذكرى للعالمين** الا تذكير وعظة لهم **وما قدروا الله حق قدره** وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد **اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء** حين

انكروا الوحي وبعثة الرسول وذلك من عظايم رحمته وجلايل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقايلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القران بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقرا الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرا بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتورية وذمهم على تجزيتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك الذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين وانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذايعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفايدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه

مبارك اي للبركات ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه انما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون فان من صدق بالاخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلعم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا اخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدايده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي المسلط او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي الهوان يريد العذاب المتضمن

الشدة والاضافة الى الهون لعراقته وتمكنه فيه **بما كنتم تقولون على الله غير الحق** كادعاء الولد والشريك ودعوى النبوة والوحي كاذبا **وكنتم عن آياته تستكبرون** فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها **ولقد جئتمونا** للحساب والجزاء **فرادى** منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى **كما خلقناكم اول مرة** بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم **وتركتم ما خولناكم** ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة **وراء ظهوركم** ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا **وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء** اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم **لقد تقطع بينكم** اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به **وضل عنكم** ضاع وبطل **ما كنتم تزعمون** انها شركاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء **ان الله فالق الحب والنوى** بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة **يخرج الحي** يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله **من الميت** مما لا ينمو كالنطف والحب **ومخرج الميت من الحي** ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم

حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له **ذلكم الله** اي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة **فأنى تؤفكون** تصرفون عنه الى غيره **فالق الاصباح** شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح **وجاعل الليل سكنا** يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون **والشمس والقمر** عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان **ذلك** اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم **تقدير العزيز** الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص **العليم** بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما **وهو الذي جعل لكم النجوم** خلقها لكم **لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر** في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم **قد فصلنا الآيات** بيناها فصلا فصلا **لقوم يعلمون** فانهم المنتفعون به **وهو الذي انشأكم من نفس واحدة** هو آدم عليه السلام **فمستقر ومستودع**

حسبانا

أي فلكم استقرار في الأصلاب أو فوق الأرض واستيداع في الأرحام أو تحت الأرض أو
موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على أنه اسم فاعل
والمستودع مفعول أي فمنكم قار ومنكم مستودع لأن الاستقرار منا دون
الاستيداع **قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون** ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لأن
أمرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لأن إنشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم
بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج إلى استعمال فطنة وتدقيق نظر **وهو الذي
أنزل من السماء ماء** من السحاب أو من جانب السماء **فأخرجنا** على تلوين الكلام
به بالماء **نبات كل شيء** نبت كل صنف من النبات والمعنى إظهار القدرة
في إنبات الأنواع المتشتتة بماء واحد كما في قوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض في الأكل **فأخرجنا منه** من النبات أو الماء **خضرا** شيئا أخضر
يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب **نخرج منه**
من الخضر **حبا متراكبا** وهو السنبل **ومن النخل من طلعها قنوان** أي
وأخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان أو من النخل شيء من طلعها قنوان و
يجوز أن يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من
طلع النخل قنوان وهو الأعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم
القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على أنه اسم جمع إذ ليس فعلان من أبنية الجمع
دانية قريبة من المتناول أو ملتفة قريب بعضها من بعض وإنما اقتصر
على ذكرها عن ذكر مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها **وجنات من
أعناب** عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء أي ولكم أو ثم جنات
أو ومن الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان إذ العنب لا يخرج من النخل **و
الزيتون والرمان** أيضا عطف على نبات أو نصب على الاختصاص لعزة

ای سهل ويعقوب

المتفننة کونا کون

الأعذاق والعذوق أغصان النخل والعذق بالفتح [illegible] بالكسر والقنو عنقود التمر والقطع [illegible] النخل الذي يعذق القاموس ١٢

هذين الصنفين عندهم **مشتبها وغير متشابه** حال من الرمان أو من الجميع أي بعض
ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم **انظروا إلى ثمره**
إلى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب
أو ثمار ككتاب وكتب **إذا أثمر** إذا أخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد
ينتفع به **وينعه** وإلى حال نضجه أو إلى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة
وهو في الأصل مصدر ينعت الثمرة إذا أدركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر
وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه **إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون** أي لآيات
على وجود القادر الحكيم وتوحيده فإن حدوث الأجناس المختلفة والأنواع
المتفننة من أصل واحد ونقلها من حال إلى حال لا يكون إلا بإحداث قادر
يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته مما يمكن من أحوالها ولا يعوقه عن فعله
ند يعارضه أو ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال
وجعلوا لله شركاء الجن أي الملائكة بأن عبدوهم وقالوا الملائكة
بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم أو الشياطين لأنهم أطاعوهم
كما يطاع الله أو عبدوا الأوثان بتسويلهم وتحريضهم أو قالوا الله خالق الخير
وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا
جعل لله شركاء والجن بدل من شركاء أو شركاء الجن ولله متعلق بشركاء
أو حال منه وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الإضافة
للتبيين **وخلقهم** حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا أن الله خالقهم دون
الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن أي وما يخلقونه
من الأصنام أو على شركاء أي وجعلوا له اختلاقهم للإفك حيث نسبوه إليه
وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ

وخرقوا له اي وزوروا **بنين وبنات** فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله **بغير علم** من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم **سبحانه وتعالى عما يصفون** وهو ان له شريكا او ولدا **بديع السموات والارض** من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معنى المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره **انى يكون له ولد** اي من اين او كيف يكون له ولد **ولم تكن له صاحبة** يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان **وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم** لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الاية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعاته السموات والارضون وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبراة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو للوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع **ذلكم** اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ **الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء** اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا **فاعبدوه** حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة **وهو على كل شيء وكيل** اي وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها **لا تدركه** لا تحيط به **الابصار** جمع بصر وهي حاسة النظر وقد تقال للعين

من حيث انها محلها واستدلت به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الاية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع **وهو يدرك الابصار** يحيط علمه بها **وهو اللطيف الخبير** فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها **قد جاءكم بصائر من ربكم** البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها به **فمن ابصر** اي الحق وآمن به **فلنفسه** ابصر لان نفعه لها **ومن عمي** عن الحق وضل **فعليها** وباله **وما انا عليكم بحفيظ** وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم **وكذلك نصرف الايات** ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال **وليقولوا درست** اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الايات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد ودارسات اي قديمات او ذات درس كقوله عيشة راضية **ولنبينه** اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر

لكونه معلوما او للتعدية لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي
اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع
او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا
تحتفل باقاويلهم ولا تلتفت الى ارائهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض
على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا
وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما
جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها
بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم
على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عُدُوّا يقال عدا فلان عدوا
وعُدُوّا وعداء وعدوانا روي انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا
لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون
يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة
اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك
زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا
وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به
تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة
والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موضع الحال
والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول صلعم في طلب الآيات و
استحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها
قل انما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها

بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي الآية
المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب
مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون
بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم
ثم اخبر بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم
فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما
يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم
ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات
فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي
وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه
فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اول مرة اي بما انزل من الآيات ونذرهم في
طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ
ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا
كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتي بالله والملائكة
قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع
قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو
قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه
ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء
من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشيئة الله ايمانهم وقيل منقطع

وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل آية
لم يومنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون فلذلك اسند الجهل الى
اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يومنون
فيتمنون نزول الاية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما
جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة
للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين
وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به
او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض
الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة
من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موقع الحال ولو شاء
ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء و
ايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا
دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة
الذين لا يومنون بالاخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف
اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا
اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يوكد الفعل بالنون ولا تم كلام
وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير في اليه لما له الضمير في فعلوه و
ليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون وليكتسبوا ما هم مكتسبون
من الاثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير
الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول
ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به

غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا
فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه
وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم
اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط
علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه
بادنى تأمل وقيل المراد مومنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم
منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود
اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول
لخطاب لامته وقيل الخطاب لكل واحد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته
فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمات ربك بلغت الغاية اخباره و
احكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية
والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته
لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا
ذائعا كما فعل بالتورية على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله
بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها
وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القرآن وهو السميع
لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي
اكثر الناس يريد الجهال او الكفار او اتباع الهوى وقيل الارض مكة يضلوك
عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يأمر الا
بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او

جهالاتهم وآرائهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم **وان هم الا**
يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة
الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شيء
وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين **ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو**
اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب
بفعل يدل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية
مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل
اي يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه
اي اعلم المضلين من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل
في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات
لا بالغير **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه** مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين
يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر
عليه اسم غيره او مات حتف انفه **ان كنتم بآياته مؤمنين** فان الايمان بها
يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه **وما لكم الا تأكلوا مما**
ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه **وقد**
فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص
حرم على البناء للفاعل **الا ما اضطررتم اليه** مما حرم عليكم فانه ايضا حلال
حال الضرورة **وان كثيرا ليضلون** بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأ الكوفيون
بضم الياء والباقون بالفتح **باهوائهم بغير علم** بتشهيهم من غير تعلق
بدليل يفيد العلم **ان ربك هو اعلم بالمعتدين** متجاوزين الحق الى الباطل

والحلال

والحلال الى الحرام **وذروا ظاهر الاثم وباطنه** ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح
وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان **ان الذين يكسبون الاثم**
سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه**
ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك و
الشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكروا اسم الله عليه وفرق
ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر اسم غير الله عليه لقوله **وانه**
لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل
عليه لا تأكلوا **وان الشياطين ليوحون** ليوسوسون **الى اوليائهم** من الكفار
ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو
يؤيد التاويل بالميتة **وان اطعتموهم** في استحلال ما حرم **انكم لمشركون**
فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف
الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي **او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له**
نورا يمشي به في الناس مثل من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له
نور الحجج والآيات يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل
وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل **كمن مثله** صفته وهو مبتدأ خبره
في الظلمات وقوله **ليس بخارج منها** حال من المستكن في الظرف لا من الهاء
في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال **كذلك**
كما زين للمؤمنين ايمانهم **زين للكافرين ما كانوا يعملون** والآية نزلت في حمزة وابي جهل
وقيل في عمر او عمار وابي جهل **وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها**
ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا
بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر

ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه اى فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل
اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر
لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان
وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى
نؤتى مثل ما اوتى رسل الله يعنى كفار قريش لما روى ان ابا جهل قال زاحمنا
بنو عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا
نرضى به الا ان ياتينا وحى كما ياتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالاته
استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هى بفضائل نفسانية
يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبى لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم
بالمكان الذى يضعها فيه وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين
اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل
تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء
على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح
صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس
قابلة للحق مهيئة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلم
حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا
هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار
الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف
وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اى شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر
كانما يصعد فى السماء شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر

علیه

عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع
منه كما يمتنع عليه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا
فى الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرا ابن كثير يصعد وابو بكر عن
عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اى كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن
الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع
الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذى جاء به القران
او الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذى ارتضاه
وعادته وطريقه الذى اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا
وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة
قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث
من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم
لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من
المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم فى ضمانه او ذخيرة لهم عنده
لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون
بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا
نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرا حفص عن عاصم وروح
عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعنى الشياطين قد استكثرتم من الانس
اى من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر
الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع
بعضنا ببعض اى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها
والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا

يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون
على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما
فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم
قال النار مثويكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها
مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله
الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول
كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم
باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم
الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءه في العذاب
كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن و
الانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن
في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من
الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل
من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين
يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة
قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم
بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رايهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات
المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة
على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم
ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك

ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية
او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى
بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك
ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها
وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب
وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة
ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما
سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله
ان يشا يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشا يذهبكم ايها العصاة ويستخلف
من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشاكم من ذرية قوم آخرين قرنا بعد قرن
لكنه ابقاكم ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة
وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم و
استطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم
عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم
بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل
ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة
في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي اليه وتسجيل
بان المهدد لا ياتي منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان يتفصى عنه فسوف
تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اي وعلق الفعل
عنه فمحلها الرفع وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون الذي تكون له العاقبة

وفيه مع كان الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق
وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون
وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي مشركوا العرب
لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم
وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم
روي انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان
والمساكين وشيئا منها لالهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا
ما عينوه لله ازكى بدلوه بما لالهتهم وان رأوا ما لالهتهم ازكى تركوه لها حبا
لالهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه
جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على
ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه
وقد جاء فيه الكسر كالود ساء ما يحكمون حكمهم وكذلك ومثل ذلك
التزيين في قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد و
نحرهم لالهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر
زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل
اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر
كقوله فزججتها متمكنا زج القلوص ابي مزاده وقرئ بالبناء للمفعول
وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم
ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه
من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين
من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون

ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم
او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لالهتهم انعام وحرث
حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى
وقرئ حجر وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء
بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي
وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها
وقيل لا يحجون على ظهرها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على
الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار
متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا
ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله
وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى
فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه
هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر او هو
مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد و
الخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور
لانها لا يتقدم على العامل المعنوي وعلى صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع
والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان
والمراد به ما كان حيا والتذكير فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب
الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل
من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها

يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير
وابن عامر قتّلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله
رازق اولادهم ويجوز نصبه على الحال والمصدر وحرموا ما رزقهم الله
من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا
وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشأ جنات من الكروم
معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض
وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال
والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع
والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع
على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك
عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادها
في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد اذا
اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل
قبل اداء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم
الحصاد لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة
والاية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يوخر عن وقت الاداء
وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي
حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق لقوله ولا تبسطها
كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا
عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او
ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل و

الصغار

والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا مما احل لكم منه
ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا
معترض بينهما او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه
آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين
الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل
وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن
المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح و
هو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين
ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين او انثييهما ونصب الذكرين والانثيين
بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين وما حملت اناث الجنسين ذكرا او انثى
نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين
في دعوى التحريم ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس
الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام
تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم
شهداء بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم
بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة
والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد
كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله
لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القران او فيما اوحي الي

مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على
طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء
لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما
مسفوحا عطف على ان يكون مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا
اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس
فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسات او خبيث مخبث او فسقا
عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة
وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق يجوز ان يكون فسقا مفعولا له
من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في
يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ
على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه
والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي اليه تلك الغاية محرما غير هذه وذلك
لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد
ولا على حل الاشياء الاخر الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع
كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا
ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما
الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت
بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء
كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما
واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم وهو شحم الالية لاتصالها بالعصعص
ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون

في الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم
على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين
حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا
يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده
عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه
لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء الله خلاف ذلك
مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا
بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب القبيح
بارادة الله اياه حتى ينتهض ذمهم دليلا للمعتزلة ويدل على ذلك قوله كذلك
كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك ولم
يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا
من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم
قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا
فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم
الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول
ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة
الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها
صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء
لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم واضلال
آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا ينصرف عند اهل الحجاز
وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت

كالالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بالقاء
حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا يدخل الامر ويكون متعديا كما في الاية
ولازما كقوله هلم الينا **الذين يشهدون ان الله حرم هذا** يعني قدوتهم
فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن
يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهدة بهم
فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان
تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة **ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا**
من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الايات متبع الهوى لا غير
وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها **والذين لا يؤمنون بالآخرة** كعبدة الاوثان
وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا **قل تعالوا** امر من التعالي
واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه للتعميم **اتل** اقرأ
ما حرم ربكم منصوب باتل وما يحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان يكون
استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي شيء حرم
ربكم **عليكم** متعلق بحرم او اتل **الا تشركوا به** اي لا تشركوا ليصح
عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار
الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه
للاغراء او بالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير
اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا **شيئا**
يحتمل المصدر والمفعول **وبالوالدين احسانا** اي واحسنوا بهما احسانا
وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ان ترك الاساءة
في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما **ولا تقتلوا اولادكم من املاق** من اجل فقر

ومن

ومن خشيته لقوله خشية املاق **نحن نرزقكم واياهم** منع لموجبية ما كانوا
يفعلون لاجله واحتجاج عليه **ولا تقربوا الفواحش** كبائر الذنوب او الزنا **ما ظهر
منها وما بطن** بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه **ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق** كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن **ذلكم** اشارة
الى ما ذكر مفصلا **وصاكم به** بحفظه **لعلكم تعقلون** ترشدون فان
كمال العقل هو الرشد **ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن** الا بالفعلة التي
هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره **حتى يبلغ اشده** حتى يصير بالغا وهو
جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك **واوفوا الكيل
والميزان بالقسط** بالعدل والتسوية **لا نكلف نفسا الا وسعها** الا ما يسعها
ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسير فعليكم بما في وسعكم
وما وراءه معفو عنكم **واذا قلتم** في حكومة ونحوها **فاعدلوا** فيه **ولو كان
ذا قربى** ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم **وبعهد الله اوفوا**
يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع **ذلكم وصاكم به
لعلكم تذكرون** تتعظون به **وان هذا صراطي مستقيما** الاشارة فيه
الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة و
قرأ حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون
بها مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله **فاتبعوه** وقرأ ابن عامر صراطي بفتح
الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك **ولا تتبعوا
السبل** الاديان المختلفة والطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد
ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات **فتفرق بكم** فتفرقكم و
تزيلكم **عن سبيله** الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان **ذلكم** الاتباع

وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى
الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل
ذلكم وصيكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة
والنعمة على الذي احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين
احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اي اجاده من
العلم والشرائع اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا
لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما
يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء
ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه
مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه
وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل
الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما
لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة
ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم
لغافلين لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول
لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة
افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا
اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى
ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها
او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي

الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم
وصدهم هل ينظرون اي ما ينظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين
لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة
ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي ربك اي امره بالعذاب
او كل آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله او يأتي بعض آيات ربك
يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اطلع علينا
رسول الله صلعم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا
قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب
وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج
ونزول عيسى عم ونارا تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع
نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ بالتاء لاضافة
الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها
خيرا عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها
او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد
عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع
باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلا عنهما ايمانها والعطف على لم يكن بمعنى
لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا
منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا
الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض و
كفروا ببعض او افترقوا فيه قال صلعم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة
كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية

الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ
حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما
لها لست منهم اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت
بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم
الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر
بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء
الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون
بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي و
الارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط مستقيم اذ المعنى وهداني صراطا
لقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعلا
من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة
وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه
قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا
حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان
صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي
فاموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات
كالوصية والتدبير او الحيوة والممات انفسهما وقرأ نافع محياي بسكون الياء اجراء
للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها
غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام

كل

كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي وهو
جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع العلة
للانكار والدليل له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس
الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى
جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل
وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه
تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين
ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم
من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو آت قريب او لانه يسرع
اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته
بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على
انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة
مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وآله انزلت علي سورة الانعام جملة
يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى
عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة
سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا
محكم كلها وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس
بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب
خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القران انزل اليك صفته
فلا يكن في صدرك حرج منه شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب

من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم
لا ارينك ههنا والفاء يحتمل العطف والجواب كانه قيل اذا انزل اليك لتنذر
فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله
جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى
للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير
والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر محذوف اتبعوا
ما انزل اليكم من ربكم يعم القران والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في
من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا
قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين
الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا
بتذكرون وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر
يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي صلعم وكم من قرية وكثير من القرى اهلكناها
اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها بأسنا
عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر واقع موقع الحال او هم قائلون
عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا
لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه
غير فصيح وفي التعبير مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين
ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم
اي دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم بأسنا
الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليهم

فلنسئلن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن المرسلين
عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسأل
عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم
على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت
علام الغيوب او على المرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم
او بمعلوماتهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن يومئذ
اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال
توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة
كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم ويشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي
ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر
فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فيوضع السجلات في كفة والبطاقة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام
انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يوازن عند الله جناح بعوضة يومئذ
خبر مبتدأ الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل
السوي فمن ثقلت موازينه حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات
وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم
بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب
بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم
في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا
لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه
الا عامر

تشبيها بما اليا فيه زايدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم
ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورناه
نزل خلقه وتصويره منزلة الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم
بان خلقنا ادم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا
الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لادم قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد
ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على
ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه
قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب
والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا
لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن
للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر
وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل
لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل
عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده
لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والاية دليل الكون والفساد
وان الشياطين اجسام كاينة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان
الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فانها
مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق لاهل الجنة وانه تعالى
انما طرده واهبطه للتكبر لا لمجرد عصيانه فما يكون لك فما يصح ان

تتكبر

تتكبر فيها وتعصي قال عليه السلام من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله
فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال انظرني الى يوم يبعثون
امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي
الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم
وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد
وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن
في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي
او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن
فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما
يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف
كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد
الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
اي من جميع الجهات الاربع ولذلك مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال
من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم
ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم
لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس رضي الله عنه من بين ايديهم من قبل الاخرة
ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم
ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم
من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم
ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى
الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف

المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست
عن يمينه **ولا تجد اكثرهم شاكرين** مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدا الشر متعددا ومبدا الخير واحدا
وقيل سمعه من الملائكة **قال اخرج منها مذؤما** من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما
كمسول في مسئول وكمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما **مدحورا** مطرودا
لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه **لاملأن جهنم منكم اجمعين**
وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى
لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم
منك ومنهم فغلب المخاطب **ويا آدم** اي وقلنا يا ادم **اسكن انت وزوجك**
الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل
لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء **فتكونا من الظالمين** فتصيرا من
الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب **فوسوس**
لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي
كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في سورة البقرة كيفية وسوسته
ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا
بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة
وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن
في الطبائع **ما ووري عنهما من سوآتهما** ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا
لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة
همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ
سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام

الواوان كلتاهما **وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا** الا كراهة
ان تكونا **ملكين او تكونا من الخالدين** الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة
واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق
لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية
والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا **وقاسمهما**
اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة
وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل
ذلك مقاسمة **فدلاهما** فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك
من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال من اعلى الى اسفل
بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا
او ملتبسين بغرور **فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما** فلما وجدا طعمها
آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما
وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرها
وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا **وطفقا يخصفان** اخذا يرقعان
ويلزقان ورقة فوق ورقة **عليهما من ورق الجنة** قيل كان من ورق التين
وقرئ يخصفان من اخصف ويخصفان من خصف ويخصفان واصله يختصفان
وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين
عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق
النهي للتحريم **قالا ربنا ظلمنا انفسنا** اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج
من الجنة **وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** دليل على ان الصغائر
معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب

الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من
السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لادم وحوا
وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما
قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين ولكم
في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين
الى تقضي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء
يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب
نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يواري
سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي
ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا
الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف
العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى
ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه
تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب
ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل
لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته
كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله
الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون
فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم
دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما

منها

منها النهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما
لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه
للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتأكيد للتحذير
من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا تقتضي امتناع رؤيتهم
وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب
او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة
وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم و
كشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا
واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده و
رد الثاني بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن
الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى
ترتب الذم عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه
العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم
فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى
الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله
ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل
وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا
الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد
في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلاة او في اي مسجد حضرتكم الصلاة ولا
تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين
اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون باعادته

فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها
وقيل كما بداكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بداكم حفاة عراة غرلا تعودون
وقيل كما بداكم مومنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان
وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده
اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او
تحقيق لضلالهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء
في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم
ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان
ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة و
كلوا واشربوا ما طاب لكم روى ان بني عامر في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا
ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا
بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس
كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن
حسين بن واقد قد جمع الله الطب في نصف اية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب و
ساير ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان
كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من
الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات
الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة
والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم
وانتصابها على الحال وقرا نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل

الآيات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل ساير الاحكام لهم قل انما
حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن
جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي
والظلم او الكبر افرده للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي موكد له معنى وان
تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل
عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم
والله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل
مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
اي لا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التاخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم
اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكره بحرف الشك تنبيها
على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتاكيد معنى
الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا
هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء
في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك
ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما
اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال
من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم
تدعون من دون الله اي اين الآلهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت باين في
خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا

وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا
عليه قال ادخلوا اى قال الله لهم يوم القيمه او احد من الملائكه فى امم قد خلت
من قبلكم اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم يوم القيمه من الجن والانس
يعنى كفار الامم الماضيه من النوعين فى النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة
اى فى النار لعنت اختها التى ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا
اى تداركوا وتلاحقوا فى النار قالت اخريهم دخولا او منزلة وهم الاتباع
لاوليهم اى لاجل اوليهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا
لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم
ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما
الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرا عاصم
بالياء على الانفصال وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا
كلامهم على جواب الله لاخريهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم
متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون
من قول القادة او من قول الله للفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها
اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح
لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتانيث الابواب و
التشديد لكثرتها وقرا ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التانيث
غير حقيقى والفعل مقدم وقرى على البناء للفاعل وبنصب الابواب بالتاء على ان الفعل
للايات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط
اى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك
وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرى الجُمّل كالقُمّل

والجمل

والجُمْل كالنُّغَر والجُمَل كالقُفَل والجُمُل كالنُّصُب والجَمْل كالحَبْل وهى الحبل الغليظ
من القنب وقيل حبل السفينة وسُم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو والخياط ما يخاط
به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين لهم من
جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن
الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرى غواش على الغاء المحذوف وكذلك
نجزى الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات
اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب
بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف
نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه فى ان يشفع الوعد
بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره للترغيب فى اكتساب النعيم
المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرى لا تكلف نفس ونزعنا ما فى صدورهم من غل
اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن
على رضى الله عنه انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجرى من تحتهم الانهار
زيادة فى لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا لما جزاؤه هذا
وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفى
وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرا ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى
لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا
وتبجحا بان ما علموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الاخرة ونودوا اذا راوها
من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات ان تلكم الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون اى اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة
او خبر والجنة صفة تلكم وان فى المواقع الخمس هى المخففة او المفسرة لان المناداة

والمنادي من الغرف **ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا** انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بوعدهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة **قالوا نعم** وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان **فاذن مؤذن** قيل هو صاحب الصور **بينهم** بين الفريقين **ان لعنة الله على الظالمين** وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال **الذين يصدون عن سبيل الله** صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب **ويبغونها عوجا** زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح في المنتصب كالحائط والرمح **وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب** اي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى **وعلى الاعراف** اي وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره اعرف من غيره **رجال** طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او اخيار المؤمنين او علماؤهم او ملائكة يرون في صورة الرجال **يعرفون كلا** من اهل الجنة والنار **بسيماهم** بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة **ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم** اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم

لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن اصحاب على الوجوه **واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا** تعوذا بالله **ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** اي في النار **ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم** من رؤساء الكفرة **قالوا ما اغنى عنكم جمعكم** كثرتكم او جمعكم المال **وما كنتم تستكبرون** عن الحق وعلى الحق وقرئ تستكثرون من الكثرة **اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة** من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة **ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون** اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوها وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا وادخلوا على الاستئناف وتقديره ادخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم **ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا** اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار **من الماء او مما رزقكم الله** من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا **قالوا ان الله حرمهما على الكافرين** منعهما عنهم منع المحرم على المكلف **الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا** كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به **وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم** نفعل بهم فعل الناسي فنتركهم في النار **كما نسوا لقاء يومهم هذا** فلم يخطروا ببالهم ولم يستعدوا له **وما كانوا بآياتنا يجحدون** وكما كانوا منكرين انها من عند الله **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه** بينا

معانيه من العقايد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله
حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول
وقرى فضلناه اي على ساير الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة
لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله الا ما
يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي
تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق
اي قد تبين انهم جاؤوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد
او هل نرد الى الدنيا وقرى بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول
المسؤول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد
وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرى بالرفع
اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا
يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف
في اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة
على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور
ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء
على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه
منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بساير الاجسام سمي به لارتفاعه
او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل
النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرى
يغشي الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر

عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا
كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او
حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب
مسخرات على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر
فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في
الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا
متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق
والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها
بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد
الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيات المختلفة ثم قسمها
بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين
اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشا انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا
وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من
فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين
لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر
الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكرير الليالي والايام
ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية
اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين

عما أمروا به في الدعاء وغيره نبه به على أن الداعي ينبغي أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء، وقيل هو الصياح في الدعاء والإسهاب فيه وعن النبي صم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ إنه لا يحب المعتدين **ولا تفسدوا في الأرض** بالكفر والمعاصي **بعد إصلاحها** ببعث الأنبياء وشرع الأحكام **وادعوه خوفا وطمعا** ذوي خوف من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في إجابته تفضلا وإحسانا لفرط رحمته **إن رحمت الله قريب من المحسنين** ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به إلى الإجابة وتذكير قريب لأن الرحمة بمعنى الترحم أو لأنه صفة محذوف أي أمر قريب أو على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول والذي هو مصدر كالنقيض أو للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره **وهو الذي يرسل الرياح** وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة **نشرا** جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع والكسائي وحمزة نشرا بفتح النون حيث وقع على أنه مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات أو مفعول مطلق فإن الإرسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد روي بشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات وبشرى للبشارة **بين يدي رحمته** قدام رحمته يعني المطر فإن الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه **حتى إذا أقلت** أي حملت واشتقاقه من القلة فإن المقل للشيء يستقله **سحابا ثقالا** بالماء جمعه لأن السحاب بمعنى السحائب **سقناه** أي السحاب وإفراد الضمير باعتبار اللفظ **لبلد ميت** لأجله أو لإحيائه أو لسقيه وقرئ ميت **فأنزلنا به الماء** بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق أو بالريح وكذلك **فأخرجنا به** ويحتمل فيه عود الضمير

إلى الماء وإذا كان للبلد فالباء للإلصاق في الأول وللظرفية في الثاني وإذا كان لغيره فهي للسببية **من كل الثمرات** من كل أنواعها **كذلك نخرج الموتى** الإشارة فيه لإخراج الثمرات أو إلى إحياء البلد الميت أي كما نحييه بإحداث القوة النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الأجداث ونحييها برد النفوس إلى مواد أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس **لعلكم تذكرون** فتعلمون أن من قدر على ذلك قدر على هذا **والبلد الطيب** الأرض الكريمة التربة **يخرج نباته بإذن ربه** بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لأنه أوقعه في مقابلة **والذي خبث** أي كالحرة والسبخة **لا يخرج إلا نكدا** قليلا عديم النفع ونصبه على الحال تقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته إلا نكدا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج أي يخرجه البلد فيكون إلا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر أي ذا نكد ونكدا بالإسكان للتخفيف **كذلك نصرف الآيات** نرددها ونكررها **لقوم يشكرون** نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع إليها رأسا ولم يتأثر بها **لقد أرسلنا نوحا إلى قومه** جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام إلا مع قد لأنها مظنة التوقع فإن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس أول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة أو أربعين **فقال يا قوم اعبدوا الله** أي اعبدوه وحده لقوله **ما لكم من إله غيره** وقرأ الكسائي غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء **إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** إن لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي إلى عبادته واليوم يوم القيامة أو يوم نزول الطوفان **قال الملأ من قومه** أي الأشراف فإنهم يملئون العيون رواء **إنا لنراك في ضلال**

زوال عن الحق مبين بيّن قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في
النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك
باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول
من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول
او استيناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف
وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ و
الاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس
وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به
فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها
او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم
ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل
على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال
البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين
لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منها بسبب الانذار ولعلكم
ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب
والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله
فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين
امرأة وقيل عشرة بنوه سام وحام ويافث وسبعة ممن آمن به في الفلك
متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين
كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين
واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد

اخاهم

اخاهم عطف على نوحا هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم
كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن
سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما
جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره استيناف ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم
حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب
من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن
به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث
فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة
ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم
ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة
عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم
النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله انا لكم ناصح امين تنبيه على
انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او
في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان
خوفهم من عذاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة
فاذكروا آلاء الله
وهو تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون كي يفضي بكم ذكر النعم الى
شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان
يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به
آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان
اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسب

فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام أتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم تكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفها ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك

واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا الغماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدم معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عاد بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تأكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر

تتخذون من سهولها قصوراً أي تبنون في سهولها أو من سهولة الأرض
بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتاً وقرئ تنحَتون بالفتح
وتنحاتون بالإشباع وانتصاب بيوتاً على الحال المقدرة أو المفعول على أن
التقدير بيوتاً من الجبال أو تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا
في الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا عن الإيمان من قومه للذين
استضعفوا أي للذين استضعفوهم واستذلوهم بدل من الذين استضعفوا
بدل الكل إن كان الضمير لقومه وبدل البعض إن كان للذين أتعلمون أن صالحاً
مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون عدلوا به عن
الجواب السوي الذي هو نعم تنبيهاً على أن إرساله أظهر من أن يشك فيه عاقل
ويخفى على ذي رأي وإنما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال الذين استكبروا
إنا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع أرسل به
رداً لما جعلوه معلوماً مسلماً فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم فنحروها
أسند إلى جميعهم فعل بعضهم للملابسة أو لأنه كان برضاهم واستكبروا عن
امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا
إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة الزلزلة فأصبحوا في دارهم جاثمين روي أنهم
بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا أعماراً طويلة لا تفي بها
الأبنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وأفسدوا
في الأرض وعبدوا الأصنام فبعث الله إليهم صالحاً من أشرافهم فأنذرهم فسألوه
آية فقال أية آية تريدون قالوا اخرج معنا إلى عيدنا فتدعو إلهك وندعو
آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا أصنامهم فلم تجبهم ثم أشار سيدهم
جندع بن عمرو إلى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له أخرج من هذه الصخرة

ناقة مخترجة جوفاء وبراء فإن فعلت صدقناك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم
لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض
النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم
ينظرون ثم نتجت ولداً مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين
من الإيمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صغر كاهنهم فمكثت
الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غباً فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب
كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون
وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه وتشتو ببطنه
فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة أم غنم
وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلاً اسمه
قارة فرغا ثلاثاً فقال صالح لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب
فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح
وجوهكم غداً مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم
العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض فلسطين
ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء
فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره أن توليه عنهم كان بعد أن
أبصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله
أهل قليب بدر وقال إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقاً أو ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطاً وأرسلنا لوطاً إذ قال
لقومه وقت قوله لهم أو واذكر لوطاً وإذ بدل منه أتأتون الفاحشة

توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين
ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق
والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقرر للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة
ثم باختراعها فانه اسوء انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله
اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص انكم على الاخبار
المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موضع الحال وفي التقييد بها
وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى
المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون
اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي
اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف
مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان
قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا
نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا
انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من آمن به
الا امراته لانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا
في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا
من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف
كان عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هارون بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم
الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم
عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا و
قيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم

سدوم بفتح السين قرية قوم لوط والدال مهملة في رواية الازهري دون ميزه

شعيبا

شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم شعيب بن ميكائيل
بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له
وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين وولادة
الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع
عصا آدم على يده في المرات السبع يحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته
فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش
على المعاش كما قال في سورة هود والكيل والميزان ووزن الميزان و
يجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا
حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير
والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا
في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها او اهلها
الانبياء بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار
ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه
ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان
وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام
وكانوا اذا راوا احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على
المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون
لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي
قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم

ما تقوله والميزان كما قال في سورة هود وادفعوا الكيال والميزان

ما يصدون عنه وتبشي لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله
او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول
توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون حال عطف عليه في موضع الحال من
تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او
وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم
فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم
قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا
فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحق على المبطل
فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه
ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم
من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز
عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى
ذلك اجرى الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها
ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله
كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط
جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل
كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الآن
ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين
لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله
لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا

في ملتنا

الجماعة على الواحد

خذلاننا وارتدادنا او فيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود
بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان
وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من
الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة
الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل
اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه
لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته
بهداكم او لفوات ما يحصل لكم من البخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط
والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم
الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين في مدينتهم
الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كان لم يغنوا فيها اي استؤصلوا
كان لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين
دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين
وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قال تأسفا
بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين
ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قال اعتذارا عن عدم
شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في
النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى
بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء بالبؤس والضر
لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة

سمي المنزل مغنى لانه سبب الغنى

والضراء

اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم
بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعُددا يقال عفى النبات اذا كثر ومنه
اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا
لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء
وقد مس اباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون
بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله و
ما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم
وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير
ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرا ابن عامر لفتّحنا بالتشديد
ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي
افامن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما
بينهما اعتراض ومعناه أبعد ذلك أمن اهل القرى ان ياتيهم باسنا
بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر
بمعنى البيتوتة ويجي بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون
حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا او امن اهل القرى وقرا ابن كثير
ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار
وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط
الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن
اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب
فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر
والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم

ويرثون

ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم
وهو فاعل يهد ومن قراه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على
ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع و
لا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياق جواب لو لافضائه
الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى
يعني قرى الامم المار ذكرها نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا
ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين و
من للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد
جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا
من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا
ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم
المتطاولة والايات المتتابعة فاللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا
للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع
الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالايات والنذر وما وجدنا لاكثرهم
لاكثر الناس والاية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء عهد فان
اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الايات ونصب الحجج او
ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ
لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا في المبتدا والخبر والافعال
الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى

الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون
وملائه فظلموا بها بان كفروا بها وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس
وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق على
ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة
وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قرأ
نافع فقلب لامن الالتباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان
ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب
على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق
معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس
وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول
قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معي الى
الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال
قال ان كنت جئت بآية فأت بها من عند من ارسلك فاحضرها ليثبت
بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاه صار
ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحييه الاسفل على الارض
والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم
الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون انشدك
بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا
ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء

بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظار او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء
في جبلتها روي انه كان آدم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه
ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ
من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل
التشاور فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم هنا يريد ان يخرجكم من
ارضكم فماذا تأمرون تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل
في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم كانه اتفق عليه آراؤهم فاشاروا به
لفرعون والارجاء التأخير اي اخر امره واصله ارجئه كما قرأ ابو عمرو وابو بكر
ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير
او ارجهي من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل والكسائي واما
قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وقراءة حمزة
وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل
في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه
النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان
الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه
وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعد
ما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف
كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاءوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص ان لنا
على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم
ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على
الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن خيروا موسى
الملقين

مراعاة للادب واظهار الجلادة ولكن كان رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا
عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتاكيد
ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك **قال القوا** كرما وتسامحا او ازدراء
بهم ووثوقا على شانه **فلما القوا سحروا اعين الناس** بان خيلوا
اليها ما الحقيقة بخلافه **واسترهبوهم** وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا
رهبتهم **وجاءوا بسحر عظيم** في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا
طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا **واوحينا
الى موسى ان الق عصاك** فالقاها فصارت حية **فاذا هي تلقف ما يافكون**
اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان تكون ما
مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم
وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع
عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة لو كان هذا
سحرا لبقيت حبالنا وعصينا **فوقع الحق** فثبت لظهور امره **و
بطل ما كانوا يعملون** من السحر والمعارضة **فغلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين** صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين
والضمير لفرعون وقومه **والقي السحرة ساجدين** جعلهم ملقين على وجوههم
تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او
ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى
وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته **قالوا آمنا
برب العالمين رب موسى وهرون** وابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم
انهم ارادوا به فرعون **قال فرعون آمنتم به** بالله او بموسى والاستفهام

جمع عصا

فيه للانكار وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين
على الاصل وقرا حفص آمنتم على الاخبار **قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه**
اي ان هذا الصنع لحيلة احتلتموها انتم وموسى **في المدينة** في المصر قبل ان
تخرجوا للميعاد **لتخرجوا منها اهلها** يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل
فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله **لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف** من كل شق طرفا **ثم لاصلبنكم اجمعين** تفضيحا لكم
وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم
ولذلك سماه محاربة لله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته **قالوا انا
الى ربنا منقلبون** بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا لمنقلبون الى
ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او
مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا **وما تنقم منا** وما تنكر منا **الا ان آمنا
بآيات ربنا لما جاءتنا** وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتاتى لنا
العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا **ربنا افرغ علينا صبرا**
افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو
الصبر على وعيد فرعون **وتوفنا مسلمين** ثابتين على الاسلام قيل انه فعل
بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله انتما ومن اتبعكما الغالبون
وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس
عليك ودعوتهم الى مخالفتك **ويذرك** عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام
بالواو كقول الحطيئة • الم اك جاركم ويكون بيني • وبينكم المودة والاخاء •
على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف
على اتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله

القبط اهل مصر

فاصدق واكون وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل
صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى
وقرئ الاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود
الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف
وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه
استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة
بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما
وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب
عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل
اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته
قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه
اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم
المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن
داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران
وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون
بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط
لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنتت القوم اذا قحطوا
ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا
على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدائد

الاسنات
در قحط سال شدن

فيفزعوا

فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة
قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب
وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم
وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب
وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم
بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق
لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف
الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله
اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو
اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو
اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى
او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد
ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف
وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تأتنا به
اي ايما شيء تحضرنا تأتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم
موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي
لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكره قبل التبيين
باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان
ما طاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل
الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل
اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام

بلياليها

في ظلمة شديدة لا يقدر أحد أن يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه
إلى تراقيهم وكانت بيوت بني إسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها
قطرة وركد على أراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم أسبوعا
فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم
من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت
زروعهم وثمارهم ثم أخذت تأكل الأبواب والسقوف والثياب ففزعوا
إليه ثانيا فدعا وخرج إلى الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب
فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فأكل
ما أبقاه وكان يقع في أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها
ففزعوا إليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر ثم أرسل الله
عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه وكانت
تمتلئ منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم وهي تغلي وأفواههم عند التكلم
ففزعوا إليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا
العهود ثم أرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي
مع الإسرائيلي على إناء فيكون ما يليه دما وما يلي الإسرائيلي ماء ويمص الماء
من فم الإسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط عليهم الرعاف **آيات**
نصب على الحال **مفصلات** مبينات لا تشكل على عاقل أنها آيات الله
ونقمة عليه أو مفصلا لامتحان أحوالهم إذ كان بين كل آيتين منها شهر
وكان امتداد كل واحدة أسبوعا وقيل إن موسى لبث فيهم بعدما غلبت
السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل **فاستكبروا** عن الإيمان
وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل أو

الطاعون

ونبت لهم

ولم يضر بالاسرائيلي

الطاعون أرسل الله عليهم بعد ذلك **قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك**
بعهده عندك وهو النبوة أو بالذي عهده إليك أن تدعوه به فيجيبك كما
أجابك في آياتك وهو صلة لادع أو حال من الضمير فيه يعني ادع الله متوسلا إليه بما عهد عندك
أو متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل أسعفنا إلى ما نطلب منك بحق ما
عهد عندك أو قسم مجاب بقوله **لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
معك بني إسرائيل** أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن و
لنرسلن **فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه** إلى حد من الزمان هم بالغوه
فيعذبون فيه أو يهلكون وهو وقت الغرق أو الموت وقيل إلى أجل عينوه
لإيمانهم **إذا هم ينكثون** جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من
غير توقف وتأمل فيه **فانتقمنا منهم** فأردنا الانتقام منهم **فأغرقناهم في اليم**
أي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته **بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين**
أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها
وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا **وأورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون** بالاستعباد وذبح الأبناء من مستضعفيهم **مشارق الأرض ومغاربها**
يعني أرض الشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها
التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش **وتمت كلمة ربك الحسنى على
بني إسرائيل** ومضت عليهم واتصلت بالإنجاز عدته إياهم بالنصرة
والتمكين وهو قوله ونريد أن نمن إلى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك
والمواعيد **بما صبروا** بسبب صبرهم على الشدائد **ودمرنا** وخربنا
ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات **وما كانوا يعرشون**
من الجنات أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وأبو بكر

ذا انكم صح

لتعدد صح

يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني إسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الايات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما راى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على أصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا إلها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال إنكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من الايات الكبرى عن العقل إن هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال أغير الله أبغيكم إلها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته وإذ أنجيناكم

اللخم بالفتح قبيلة و بالضم ضرب من السمك

من

من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا وأتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة بالغا اربعين روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك سال ربه فامره بصوم ثلثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة ثم انزل الله عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال رب أرني أنظر إليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها

على معتقد الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا إلها ولا يتبع سبيلهم كما قال لأخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ إذ لا يدل الإخبار بعدم رؤيته إياه على أن لا يراه أبدا وأن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى له حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء أي مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا أي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما أفاق قال تعظيما لما رأى سبحانك تبت إليك من الجرأة والإقدام على السؤال بغير إذن وأنا أول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه أنا أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا قال يا موسى إني اصطفيتك اخترتك على الناس على الموجودين في زمانك وهارون وإن كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني أسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي إياك فخذ ما آتيتك أعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة وإعطاء التوراة يوم النحر وكتبنا

له في الألواح من كل شيء مما يحتاجون إليه من أمر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور أي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام واختلف في أن الألواح كانت عشرة أو سبعة وكانت من زمرد أو زبرجد أو ياقوت حمراء أو صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده وشققها بأصابعه وكان فيها التوراة أو غيرها فخذها على إضمار القول عطفا على كتبنا أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للألواح أو لكل شيء فإنه بمعنى الأشياء أو للرسالات بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أي بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالإضافة إلى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الأفضل كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم أو بواجباتها فإن الواجب أحسن من غيره ويجوز أن يراد بالأحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالإضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف أحر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها أو منازل عاد وثمود وأضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا أو دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من أوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله وأورثنا القوم سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والأنفس الذين يتكبرون في الأرض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه بإعلائها أو بإهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون أي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل أو حال من فاعله وإن يروا كل آية منزلة أو معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى وهو يؤيد الوجه الأول وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطان عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات

كالسُّقم والسَّقَم والسُّقام وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم
كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم
للآيات ويجوز أن ينصب ذلك على المصدر أي سأصرف ذلك الصرف بسببهما
والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ولقائهم الدار الآخرة أو ما وعد الله
في الآخرة حبطت أعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون إلا ما كانوا يعملون
إلا جزاء أعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم
التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر وإضافتها إليهم لأنها
كانت في أيديهم أو ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حَلْي كثَدْي وثُدِيّ وقرأ حمزة
والكسائي بالاتباع كدِلِيّ ويعقوب على الإفراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم
ودم أو جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت
البقر روي أن السامري لما صاغ العجل ألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل
فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وإنما
نسب الاتخاذ إليهم وهو فعله إما لأنهم رضوا به أو لأن المراد اتخاذهم إياه إلها
وقرئ جؤار أي صياح ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط
ضلالتهم وإخلالهم بالنظر والمعنى ألم يروا حين اتخذوه إلها أنه لا يقدر على كلام
ولا على إرشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا أنه خالق الأجسام والقوى و
القدر اتخذوه تكرير للذم أي اتخذوه إلها وكانوا ظالمين واضعين
الأشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في أيديهم
كناية عن اشتداد ندمهم فإن النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا
فيها وقرئ سَقَط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط
الندم في أنفسهم ورأوا وعلموا أنهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن

وبالجيم والهمزة من جأر إذا صاح

لم يرحمنا ربنا بإنزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن
من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى
إلى قومه غضبان أسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما
خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة
أو قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهارون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة
تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها
من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي أو من بعد ما رأيتم مني من
التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه أعجلتم أمر ربكم أتركتموه
غير تام وكأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته أو أعجلتم وعد ربكم الذي
وعدنيه من الأربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم
وألقى الألواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي أن
التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة
أسباع وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والأحكام
وأخذ برأس أخيه بشعر رأسه يجره إليه توهما بأنه قصر في كفهم و
هارون كان أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل
قال ابن أم ذكر الأم ليرققه عليه وكانا من أب وأم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
وأبو بكر عن عاصم يا ابن أمِّ بالكسر وأصله يا ابن أمي فحذفت الياء واكتفي بالكسرة
تخفيفا كالمنادى المضاف إلى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف
لطوله وتشبيها بخمسة عشر إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني إزاحة لتوهم التقصير
في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي
فلا تشمت بي الأعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله ولا تجعلني

مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير قال رب
اغفر لي بما صنعت باخي ولاخي ان افرط في كفهم ضمه الى نفسه في الاستغفار
ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا
وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا ان الذين اتخذوا
العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة
في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي
المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم
ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها
من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال
الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب
كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به
عن موسى الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة
وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى
عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله او
اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما
نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح
المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين
هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف
المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله واختار موسى قومه
سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان
ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف

منكم

منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع
وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا
فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا
منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه من قبل
ان يرى ما رأى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون
على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرها فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت
عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء من العناد
والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء
عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة
قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف
عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين
اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل
بها من تشاء ضلالته بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء
هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة
ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب
لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة
الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر
من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل او للمفعول بمعنى املنا
انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على
لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي

وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها
فأثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون
الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت
اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون
الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل
من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلعم وانما سماه رسولا
بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ
ووصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم
ولحم الخنزير او كالربا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي ويخفف
عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع
الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر
صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتوقير
وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل
معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره
او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي و
اتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة
اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب دعاء
موسى صلعم قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلعم
مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم

الذي

الذي له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه
لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو
وهو على الوجه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره
يحيي ويميت وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا
بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل
من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى تعريضا لليهود
وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء
هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون
جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام
شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني من بني اسرائيل امة
يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون
بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع
ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير
والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل
قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة المعراج
فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة
مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة
او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل
واحدة من اثنتي عشرة اسباط وكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين
واسكانها امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب
بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان

موسى عليه السلام لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثراً يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له هنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما أمروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها واسألهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون لك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل

وقرئ يعدّون ويعدّون من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرّعاً يوم تعظيمهم السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ لا يُسبتون من اسبت ولا يُسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعاً حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذاباً شديداً في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالاً عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم رداً عليهم وتهكماً بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأساً اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على فيعل

كقيس وابن عامر بِئْس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بَئِس كحَذِر فخفف عينه
بنقل حركتها الى الفاء ككِبْد في كَبِد ونافع بِيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب
او على انه فعل الذم وُصف به فجعل اسما وقرئ بَيِّس كرَيِّس على قلب
الهمزة ياء ثم ادغامها وبَيْس على التخفيف كهَيْن وبائس بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا
عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا
اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد
فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان يكون الاية تقريرا وتفصيلا للاولى روي
ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية
بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا
ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القردة
تعرفهم فجعلت تاتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا
بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك اي اعلم
تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء
يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك
اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيامة والمعنى واذ اوجب ربك
على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب
الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عم بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم
وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها
الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه واله ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية
فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا

وانه

وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها
بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول
ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة
ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون
عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم
لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم
من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على
الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد
الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه واله ورثوا الكتاب التورية من
اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا الادنى
حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا
ياخذون من الرشا في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال ويقولون
سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف و
الحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون وان ياتهم
عرض مثله ياخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب
عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا
والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء
على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ
من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير
للذين يتقون مما ياخذ هؤلاء افلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا

كانه معطوف على محذوف اي بعثنا من يسومهم وقطعناهم

لا دني الذي المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرا نافع وابن عامر وحفص و
يعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على
الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر
المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان
الاصلاح كالمانع من التضييع وقرا ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة
لانافتها على ساير انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه
ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهى كل ما
اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل
لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه
وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم
وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول
اى وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم
على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه
كالمنسى لعلكم تتقون فضايح الاعمال ورذايل الاخلاق واذ
اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم اى اخرج من اصلابهم نسلهم
على ما يتوالدون قرنا بعد قرن من ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرا
نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم اى ونصب لهم دلايل ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم
الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل
تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل
عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اى كراهة ان تقولوا

انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا
وقرا ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل
وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل و
التمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعنى اباءهم
المبطلين بتاسيس الشرك وقيل لما خلق الله تعالى آدم عم اخرج من ظهره
ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث
رواه عمر رض وقد حققت الكلام فيه فى شرح كتاب المصابيح والمقصود
من ايراد هذا الكلام هاهنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم
بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد
وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون
اى عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اى على اليهود نبأ الذى
آتيناه آياتنا هو احد علماء بنى اسرائيل او امية بن ابى الصلت كان
قد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا فى ذلك الزمان ورجا ان يكون هو
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين
اوتى بعض علم كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها
فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار
من الضالين روى ان قومه سالوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف
ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه ولو شئنا
لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها
ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه
فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه

بمشيئة الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب له وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشية وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا راس كل خطيئة **فمثله** فصفته التي هي مثل في الخسة **كمثل الكلب** كصفته في اخس احواله وهو **ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث** اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب **ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص** المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم **لعلهم يتفكرون** تفكرا يؤدي بهم الى الاتعاظ **ساء مثلا القوم** اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم **الذين كذبوا باياتنا** بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الايات وظلم انفسهم او مستقلا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول **من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون** تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة

وانفسهم كانوا يظلمون

للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاختصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس** يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى **لهم قلوب لا يفقهون بها** اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله **ولهم اعين لا يبصرون بها** اي الى ما خلق الله نظر اعتبار **ولهم آذان لا يسمعون بها** الايات والمواعظ سماع تامل وتذكر **اولئك كالانعام** في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها **بل هم اضل** فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار **اولئك هم الغافلون** الكاملون في الغفلة **ولله الاسماء الحسنى** لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات **فادعوه بها** فسموه بتلك الاسماء **وذروا الذين يلحدون في اسمائه** واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال **سيجزون ما كانوا يعملون** وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال

اي لا يتفكرون هم

اليمامة قرية من قرى نجد [illegible] اليمامة مسيلمة الكذاب

[illegible]

عن القصد **وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون** ذكر ذلك بعدما بين
انه خلق للنار طايفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين
بالحق عادلين في الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن
طايفة بهذه الصفة لقوله عليه السلم لا تزال من امتي طايفة على الحق الى ان يأتي
امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فايدة فانه معلوم
والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا
واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة **من حيث
لا يعلمون** ما يريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف الله
بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب **واملي لهم**
وامهلهم عطف على سنستدرجهم **ان كيدي متين** اي اخذي شديد
وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان **اولم يتفكروا ما بصاحبهم**
يعني محمدا عليه السلم **من جنة** من جنون روي انه عليه السلم علا الصفا فدعاهم
فخذا فخذا يحذرهم باس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت
الى الصباح فنزلت **ان هو الا نذير مبين** موضح انذاره بحيث
لا يخفى على ناظر **اولم ينظروا** نظر استدلال **في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شيء** مما يقع عليه اسم الشي من الاجناس التي لا يمكن حصرها
ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها و
متولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه **وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم**
عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان
وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا
الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب

فبای

فباي حديث بعده بعد القران **يؤمنون** اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية
في البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى
النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب
فما بالهم لا يبادرون الى الايمان بالقران وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم
يؤمنوا به فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله **من يضلل
الله فلا هادي له** كالتقرير والتعليل له **ونذرهم في طغيانهم** بالرفع
على الاستيناف وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله
وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد
غيره ويذرهم **يعمهون** حال منهم **يسألونك عن الساعة** اي عن القيامة
وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها
او لانها على طولها عند الله كساعة **ايان مرسيها** متى ارساؤها
اي اثباتها ورسو الشي ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة
واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت لان البعض
آو الى الكل **قل انما علمها عند ربي** استاثر به لم يطلع عليه ملكا
مقربا ولا نبيا مرسلا **لا يجليها لوقتها** لا يظهر امرها في وقتها **الا هو**
والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتوقيت
كاللام في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس **ثقلت في السموات والارض**
عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكانه اشارة الى الحكمة **لا
تاتيكم الا بغتة** الا فجاة على غفلة كما قال عليه السلم ان الساعة تهيج بالناس
والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته والرجل
يخفض ميزانه ويرفعه **يسألونك كانك حفي عنها** عالم بها فعيل من حفي

عن الشي اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشي والبحث عنه استحكم علمه فيه
ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة
فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى
يسألونك عنها كانك حفي بهم تتحفى بهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه
كانك حفي بالسؤال عنها تحبه اذ تكرره لانه من العلم الغيب الذي استأثره الله
بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه
الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم
يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر
وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله
من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير
وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع
واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد
مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون
متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا هو الذي خلقكم من نفس واحدة
هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله
جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليأنس بها
ويطمئن اليها اطمئنان الشي الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى
ليناسب فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها
ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة
فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت
به وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت

به فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول
اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه
لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا
جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما
فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك
ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك
وذكرته لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت
الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان
اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث وامثال ذلك
لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصي من قريش فانهم خلقوا
من نفس قصي وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد
فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي و
عبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع
وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم
ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا
اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان
تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم و
قرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم
الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم

ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة
الدعاء من حيث انه مستوى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها
لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم
ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد
امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم
صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى
امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم
عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها
ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم آذان يسمعون بها
وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية
ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا
شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون
عليه من مكر وهي انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي
بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب اي القرآن
وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده
فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم
ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم
الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون
الناظرين اليك لانهم صوروا بالصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو
اي خذ ما عفى لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم
من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما

يسهل

يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف المعروف
المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل
افعالهم وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها واما
ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف
ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته
للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ
بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او
سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام
ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم
فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير
وابو عمرو والكسائي ويعقوب على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين
والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه
فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون
عنها ولا يتبعونه فيها والاية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذلك قوله و
اخوانهم يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين
في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم
يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال
ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون
الضمير للجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم باية من القرآن
او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك

كثيرا ما تقرأه او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي
لست بمختلق للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن
بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
سبق تفسيره واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا نزلت في
الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة القرآن والانصات
له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء
على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم
وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء
وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب
الشافعي تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول
ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص
بالغدو والآصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال
وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من
الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى
لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون
ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم
من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويلتاه امر
هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه
عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا

سورة الانفال مد وكان آدم شفيعا له ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال
اي الغنائم وانما يعني حكمها سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل
كما سمي به ما شرطه الامام للمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال
لله والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله
وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون
منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء
ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا
نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات
كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلعم
بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي
وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت
سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلعم واستوهبته
منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه
الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة
الانفال فقال لي رسول الله صلعم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار
لي فاذهب فخذه وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اي يسألك الشبان
ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا
ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله
وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم
مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان

بهذه الثلثة طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل و
الاحسان إنما المؤمنون اى الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل
يهم بالمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرى وجلت ف
هي لغة وفرقت اى خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لزيادة
المؤمن به او لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها
وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان
العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون
ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال
القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومكارم افعال الجوارح التي هي العيار
عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر موكد
كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة
وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق
كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم
اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر
في قوله لله والرسول اى الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا
اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته
فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي
اخراجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها

تجاره

يعني ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب

تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص
ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلعم فاخبر المسلمين
فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى
ابو جهل فوق الكعبة وقال يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول
عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رات قبل ذلك
بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل
ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس
وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما ترضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم
فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع
عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلعم بوادي ذفران فنزل عليه
جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه
فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فردد
عليهم وقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل
فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلعم
فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك
فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار
ثم قال مقداد بن عمرو وامض لما امرك فانا معك حيثما احببت لا نقول
كما قال بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب
انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلعم ثم قال
اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا
حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان

تعليق الطاير طرانه في الهواء على استدارة وحلق بها اي طار بها فوق مكة

لا يروا النصر الا على عدو وهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا
يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت
به هو الحق واعطيناك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض
يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا
البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان نلقى عدونا
وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر
به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله
وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر
الى مصارع القوم وقيل انه لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه
العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك
احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك
في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه
بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كأنما
يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من
يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم
تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء
الى ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال
وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون
فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم
والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق

ان يثـ

ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة
بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم
تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين و
اظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي
فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من
التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة
ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل
من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم
لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على
عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه انه نظر الى المشركين وهم
الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم
انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض
فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك
ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم ربكم اني ممدكم باني ممدكم
فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او
اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة
مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت
بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه
فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين
بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء و
ضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان

بحركة الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما
في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين
كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل واختلف في
مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها **وما جعله الله** اي الامداد
الا بشرى الا بشارة **لكم** بالنصرة **ولتطمئن به قلوبكم** فيزول
ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم **وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم**
وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسايط لا تاثير لها فلا تحسبوا
النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها **اذ يغشيكم النعاس** بدل
ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من
معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء
اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو
يغشاكم النعاس بالرفع **امنة منه** امنا من الله وهو مفعول له
باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم
بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل
المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها
لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشيهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه
حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشاهم كقوله * يهاب النوم ان يغشى
عيونا * تهابك فهو نفار شرود * وقرئ امنة كرحمة وهي لغة **وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به** من الحدث والجنابة **ويذهب عنكم
رجز الشيطان** يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من
العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا

فاحتلم

فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال
كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله
وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي
واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضأوا
وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة
وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم **ويثبت به الاقدام**
اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة
اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت **الى الملائكة اني معكم**
في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او
اجراء الوحي مجراه **فثبتوا الذين آمنوا** بالبشارة او بتكثير سوادهم
او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله **سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب**
كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك
جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي
الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم
قولي هذا **فاضربوا فوق الاعناق** اعاليها التي هي المذابح او الرؤوس **واضربوا منهم
كل بنان** اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم **ذلك** اشارة
الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل **بانهم
شاقوا الله ورسوله** بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من
المعاندين في شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من
الخصم وهو الجانب **ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب** تقرير
للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا **ذلكم** الخطاب

صدة الوادي جانب

فيه مع الكفرة على طريق الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه **فذوقوه** وغيره مثل باشروا او عليكم ليكون الفاء عاطفة **وان للكافرين عذاب النار** عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع الآجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستيناف **يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا** كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف **فلا تولوهم الادبار** بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا **ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال** يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب **او متحيزا الى فئة** او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول الله ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز **فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير** هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر

والحاضرين

والحاضرين معه في الحرب **فلم تقتلوهم** بقوتكم **ولكن الله قتلهم** بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبرئيل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم **وما رميت** يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه **اذ رميت** اي اتيت بصورة الرمي **ولكن الله رمى** اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين **وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا** ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات **ان الله سميع** لاستغاثتهم ودعائهم **عليم** بنياتهم واحوالهم **ذلكم** اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله **وان الله موهن كيد الكافرين** معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو

موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد
جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج
تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم
الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه
سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره
ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار
ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرأ نافع و
ابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب
للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل
في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد
عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر
فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤكد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية
الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على
ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل
الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن و
المواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة
او المنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم
لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر
البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم
ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا

سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم
وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق
والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي احي لنا
قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم
كلام قصي يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم
وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي انه عليه السلام
مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن
اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول
واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة وقيل ان دعاءه
كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث
يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل
موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن او مما يورثكم
الحيوة الابدية والنعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب
بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء
عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد
كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب
ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب و
تصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير
وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه
وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ
بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل

مجرى الوقف على لغة من شدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم
اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة
وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر
على ان اصابتكم لا تصب الظالمين منكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا
يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ كقوله ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا يدخل المنفي
في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط
جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة
من قرا لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر
باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود
عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين و
فايدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب
واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم
قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم اذلاء في ايدي فارس
والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم
كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة او جعل
لكم ماوى تتحصنون به من اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة
الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنايم
لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او

بالغلول في المغانم وروي انه عليه السلم حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة
فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات
واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا
ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه
اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال
ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت
فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا
حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب
الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى
يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاء فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر
دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك
الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله
في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم
بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون
او انتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة
لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم
حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن اثر رضا الله عليهم
وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين آمنوا ان
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل
او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا
من الشبهات او نجاة مما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويثبت

فيشتتكم من قولهم بت فعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم
سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات
الصغاير والذنوب الكباير وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر
وقد غفرهما الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم
على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا
وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش
به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى و
اذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح
من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد و
ليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك
من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا
في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من
نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا
فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة
تلقون اليه طعامه وشرابه منها فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم
من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من
ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال
ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه
ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش
كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه
فاتى جبريل النبي عليه السلام واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا على

على مضجعه وخرج مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم
او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم
حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد
امثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى
عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هذا قول النضر بن الحارث
واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم وقيل هو قول
الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا
ذلك فما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم السيف
فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان
ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا
اساطير الاولين قال له النبي صلعم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا
منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد
منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان
هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه
الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل
كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي و
الدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير
مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم

ذنوبكم

الاثخان التغليظ

صورة

عقلت القتيل اي اعطيت ديته

من عندك

اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم ألا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم
متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك
ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلعم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية
وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون
نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون
من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند
او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم
او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من
مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدى
وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب
او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون
عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون
وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ان يصلي يخلطون عليه ويرون
انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل
عذاب الاخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب بما كنتم تكفرون
اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين
يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في
ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق
عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا

بهذا المال على حرب محمد عليه السلام لعلنا ندرك منه ثأرنا ففعلوا والمراد بسبيل الله
دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك
الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد و
يحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني
لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير
مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون
آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على
الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث
من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون
او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلعم مما انفقه المسلمون في
نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا
فيجمعه ويضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم
كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين
هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين
كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة
الرسول صلعم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء
والكاف على خطابهم وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنت الاولين الذين
تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك و
قاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله ويضمحل
عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم

الجزء العاشر

على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب بما تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد
والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون
تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة
مقاتليهم للتسبب **وان تولوا** ولم ينتهوا **فاعلموا ان الله مولىكم** ناصركم
فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم **نعم المولى** لا يضيع من تولاه **ونعم
النصير** لا يغلب من نصره **واعلموا انما غنمتم** اي الذي اخذتموه من الكفار
قهرا **من شيء** مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط **فان لله خمسه** مبتدأ
خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله
للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة
المعطوفين **وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** فكأنه
قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم
الرسول صلعم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان
وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة سقط سهمه و
سهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلثة الباقية وعن مالك
الامر فيه مفوض الى رأي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى
ظاهر الآية فقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه
عليه السلم كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي خمسة وقيل
سهم الله لبيت المال وقيل مضموم الى سهم الرسول وذوو القربى بنو هاشم
وبنو عبد المطلب لما روي انه عليه السلم قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له
عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي
جعلك الله منهم ارأيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن

وهم بمنزلة فقال صلعم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه
وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو
مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين
وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس
في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين
شهرا من الهجرة **ان كنتم آمنتم بالله** متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم
آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة
الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض
والمقصود بالذات هو العمل **وما انزلنا على عبدنا** محمد من الآيات والملائكة
والنصر وقرئ عُبُدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين **يوم الفرقان** يوم بدر
فانه فرق فيه بين الحق والباطل **يوم التقى الجمعان** المسلمون والكفار **والله
على كل شيء قدير** فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة **اذ انتم
بالعدوة الدنيا** بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي
وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب
وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب
الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو
اكثر استعمالا من القصيا **والركب** اي العير او قوادها **اسفل منكم** في
مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر
والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم
بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم
ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد

غلبتهم عادة ولذلك ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة
تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة
القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اى لو تواعدتم انتم
وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم و
يأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله
خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال
من غير ميعاد ليقضى الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر
اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة
بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت على بينة عاينها
ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة
بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة
على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حى
المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك
بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيى بفك الادغام للحمل
على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن
وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ
يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان
او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر
به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم
لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار
ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور

يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثانى وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال
ابن مسعود رضى الله عنه لمن الى جنبه أتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا
لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان اصحاب محمد اكلة جزور
مثل في القلة قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا
لهم ثم كثرهم حتى يروهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا
من عظائم آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا
لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور بصد الله الابصار عن ابصار
بعض دون بعض مع التساوى في الشروط ليقضى الله امرا كان مفعولا
كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكى
وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين
ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم
واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين
لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه
على ان العبد ينبغى ان لا يشغله شىء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد
ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شىء
من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد
فتفشلوا جواب النهى وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم
بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشى امرها ونفاذه مشبهة بها
في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح

بعثها الله تعالى وفي الحديث نُصرتُ بالصبا وأُهلكت عاد بالدبور واصبروا
إن الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
يعني أهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا وأشرا ورئاء الناس
ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك أنهم لما بلغوا جحفة وافاهم رسول
أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل لا والله حتى نقدم
بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب
فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين أن
يكونوا أمثالهم بطرين مرائين وأمرهم بأن يكونوا أهل تقوى وإخلاص من
حيث أن النهي عن الشيء أمر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على
بطرا إن جعل مصدرا في موضع الحال وكذا إن جعل مفعولا له لكن على تأويل
المصدر والله بما تعملون محيط فيجازيكم عليه وإذ زين لهم الشيطان
مقدر باذكر أعمالهم في معاداة الرسول وغيرها وقال لا غالب لكم
اليوم من الناس وإني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى أنه ألقى في روعهم
وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعُددهم وأوهمهم
أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر
أهدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب أو صفته وليس صلته
وإلا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان
أي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى أي بطل كيده وعاد
ما خيل إليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون
إني أخاف الله أي تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى إمداد
الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة

من الحرب وكان ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس بصورة سراقة بن مالك الكناني
وقال لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص
وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له إلى أين أتخذلنا في هذه الحالة فقال إني أرى
ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا
هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم
فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى قوله إني أخاف
الله إني أخاف أن يصيبني بمكروه من الملائكة أو يهلكني ويكون الوقت هو الوقت
الموعود إذ رأى فيه ما لم يره قبله والأول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله
شديد العقاب يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفا إذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا إلى الإيمان بعد وبقي في قلوبهم
شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر
هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين حين تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم
ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء الألف ومن يتوكل على الله جواب لهم فإن
الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وإن قل حكيم يفعل بحكمته البالغة
ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه ولو ترى ولو رأيت فإن لو تجعل المضارع
ماضيا عكس إن إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر وإذ ظرف ترى والمفعول
محذوف أي ولو ترى الكفرة أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه
قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز أن يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره
يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو
وهو على الأول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين وأدبارهم
ظهورهم أو أستاههم ولعل المراد تعميم الضرب أي يضربون ما أقبل منهم وما أدبر

وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي ويقولون ذوقوا
بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت
النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب و
العذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك
وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه
اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك
التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب
وظلام للتكثير لاجل العبيد كدأب آل فرعون اي دأب هؤلاء مثل دأب
آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه اي داوموا عليه والذين من
قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فأخذهم
الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه
شيء ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم
يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوء كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف
عن تعرض الآيات والرسول بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في اراقة
دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد البعث
وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له
وهو جري عادته على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة
للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان
الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين
من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا تكرير للتاكيد

آل فرعون

ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون
وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم
وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين
انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر و
رسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين
على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي
تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين
كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا و
مالؤوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة
معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر
ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم
تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل
بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على
اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واجعلهم
فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل
المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد
بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل و
طريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء
في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي
ثابتا على طريق سواء او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله

لا يحب الخائنين تعليل للأمر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه
بالحال على طريقة الاستئناف ولا تحسبن خطاب للنبي وقوله الذين كفروا سبقوا
مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على أن الفاعل ضمير أحد أو من
خلفهم أو الذين كفروا والمفعول الأول أنفسهم فحذف للتكرار أو على تقدير أن سبقوا
وهو ضعيف لأن أن المصدرية كالموصول فلا يحذف أو على إيقاع الفعل
على أنهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وأن لا صلة وسبقوا حال
بمعنى سابقين أي مفلتين والأظهر أنه تعليل للنهي أي لا تحسبنهم سبقوا فأفلتوا
لأنهم لا يفوتون الله ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم وكذا إن كسرت إن
إلا أنه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية إزاحة لما يحذر به عن نبذ العهد
وإيقاظ العدو وقيل نزلت فيمن أفلت من فل المشركين وأعدوا أيها المؤمنون
لهم لناقضي العهد أو للكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب
وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثا
ولعله عليه السلام خصه بالذكر لأنه أقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط
في سبيل الله فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا
ورابط مرابطة ورباطا أو جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل
بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل
على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهّبون بالتشديد
والضمير لما استطعتم أو للإعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين
من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل
الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم بأعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما
تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم جزاؤه وأنتم لا تظلمون بتضييع

العمل

العمل أو نقص الثواب وإن جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام وإلى
للسلم للصلح والاستسلام وقرأ أبو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم
وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به
والحرب تكفيك من أنفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله
ولا تخف من إبطانهم خداعا فيه فإن الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم إنه هو
السميع لأقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم
وقيل عامة نسختها آية السيف وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله
فإن محسبك الله وكافيك قال جرير إني وجدت من المكارم حسبكم أن تلبسوا
حر الثياب وتشبعوا هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين جميعا وألف
بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة في أدنى شيء والتهالك على
الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته
صلوات الله عليه وبيانه لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم أي تناهى عداوتهم
إلى حد لو أنفق منفق في إصلاح ذات بينهم ما في الأرض من الأموال لم يقدر على
الألفة والإصلاح ولكن الله ألف بينهم بقدرته البالغة فإنه المالك
للقلوب يقلبها كيف يشاء إنه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده
حكيم يعلم أنه كيف ينبغي أن يفعل ما يريده وقيل الآية في الأوس والخزرج
كان بينهم إحن لا أمد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فأنساهم الله ذلك و
ألف بينهم بالإسلام حتى تصافوا وصاروا أنصارا يا أيها النبي حسبك الله
كافيك ومن اتبعك من المؤمنين إما في محل النصب على المفعول معه كقوله
إذا كانت الهيجاء واشتجر القنا فحسبك والضحاك سيف مهند أو الجر
عطفا على المكني عند الكوفيين أو الرفع عطفا على اسم الله أي كفاك الله والمؤمنون

والاية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي صلعم ثلثه وثلاثون رجلا وست نسوة
ثم اسلم عمر الخطاب فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلامه **يا ايها النبي**
حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه
المرض حتى يشفى على الموت وقرى حرص من الحرص **ان يكن منكم عشرون**
صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا
شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا
بعون الله تعالى وتاييده وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الايتين
ووافقهم البصريان في وان تكن منكم مائة **بانهم قوم لا يفقهون** بسبب انهم
جهلة بالله وباليوم الاخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي
الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان **الان**
خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد
مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة
الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم
وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المناسبة للدلالة على ان حكم القليل و
الكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين
فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين
والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون **ما كان**
لنبي وقرى للنبي على العهد **ان يكون له اسرى** وقرا البصريان بالتاء
حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه
ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة

وقرى

وقرى يثخن بالتشديد للمبالغة **تريدون عرض الدنيا** حطامها باخذكم الفداء
والله يريد الاخرة والله يريد لكم ثواب الاخرة او سبب نيل الاخرة من اعزاز
دينه وقمع اعدائه وقرى بجر الاخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرء تحسبين امرا
ونار توقد بالليل نارا **والله عزيز** يغلب اولياءه على اعدائه **حكيم**
يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت
الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين
روي انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب
فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم
وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر
وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من
اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلعم وقال ان الله ليلين
قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون
اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني
ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله
فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء
بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض
علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والاية دليل على ان الانبياء يجتهدون
وانه قد يكون خطا ولكن لا يقرون عليه **لولا كتاب من الله سبق**
لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده
او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي

اخذوه يستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم
روى انه عليه السلم قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك
لانه ايضا اشار الى الاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم
والفاء للتسبيب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه
تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم
او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك
المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله
في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها
النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرا ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله
في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي
انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلعم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن
ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت
فقال صلعم فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك
وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك
ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقثم قال وما يدريك قال اخبرني به ربي
فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد
الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا
من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني
زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي
يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى
خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاق

الماخوذ بالفعل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان
اعادوا الخيانة فيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين امنوا وهاجروا اوطانهم
وهم المهاجرون هجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم
فصرفوها في الكراع والسلاح فانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله
بمباشرة القتال والذين اووا ونصروا هم الانصار اووا المهاجرين الى
ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث
وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب
حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله او بالنصرة
والمظاهرة والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
اي من توليهم في الميراث وقرا حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة
كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا فان استنصروكم
في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم
بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون
بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث او الموازرة وهو
بمفهومه يدل على منع التوارث والموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه
ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضا حتى في التوارث
وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها
عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير
والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك
هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم
هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة

الحق ووعدلهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة
فيه ثم الحق بهم في الامر من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين امنوا و
هاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون و
الانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب
في كتاب الله في حكمه او في اللوح او القران واستدل به على توريث ذوي
الارحام ان الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام
والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وآله من قرأ سورة
الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق و
أعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون
له ايام حيوته سورة براءة مدنية وقيل الا الآيتين من قوله لقد جاءكم
رسول وهي اخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث
والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة
والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين
والقشقشة من النفاق وهي التبرء منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها
والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم و
آيها مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون وانما ترك التسمية فيها لانها نزلت
لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان صلى الله عليه اذا نزلت عليه سورة
او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه
قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها
فضمت اليها وقيل لما اختلف الصحابة في انها سورة واحدة هي سابعة السبع
الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم براءة من الله ورسوله

اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله
ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم
من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله
بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله
والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت
صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريئا منها وذلك انهم عاهدوا
مشركي العرب فنكثوا الا ناسا منهم بني ضمرة وكنانة فامرهم بنبذ العهد
الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا
في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت
في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من
ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وآله
عليا راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر
اميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني
فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه
فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر
وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس
اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال
امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت
عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده
ولعل قوله لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم لانه عليه السلام بعث
لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب

ان لا يتولى العهد ونقضه عن القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات
لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي **واعلموا انكم غير معجزي الله**
لا تفوتونه وان امهلكم **وان الله مخزي الكافرين** بالقتل والاسر في الدنيا
والعذاب في الآخرة **واذان من الله ورسوله الى الناس** اي اعلام فعال بمعنى
الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين **يوم الحج**
الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان
فيه ولما روي انه عليه السلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال
هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلم الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر
لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله
فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون
ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين
ان الله اي بان الله **بريء من المشركين** من عهودهم **ورسوله**
عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها
اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو
بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة
وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين
فان تبتم من الكفر والغدر **فهو** فالتوب **خير لكم وان توليتم** عن التوبة
او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء **فاعلموا انكم غير معجزي الله**
لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا **وبشر الذين كفروا بعذاب اليم**
في الآخرة **الا الذين عاهدتم من المشركين** استثناء من المشركين او استدراك
وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا

منهم **ثم لم ينقصوكم شيئا** من شروط العهد ولم ينكثوا ولم يقتلوا منكم
ولم يضروكم قط **ولم يظاهروا عليكم احدا** من اعدائكم **فاتموا اليهم**
عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين **ان الله يحب**
المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى **فاذا انسلخ**
انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة **الاشهر الحرم**
التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة و
المحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما
نزل بعد ما ينسخها **فاقتلوا المشركين** الناكثين **حيث وجدتموهم** من حل
وحرم **وخذوهم** واسروهم **واحصروهم** واحبسوهم ولا تخلوهم او
حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام **واقعدوا لهم كل مرصد** كل ممر لئلا يتبسطوا
في البلاد وانتصابه على الظرف **فان تابوا** عن الشرك بالايمان **واقاموا**
الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم **فخلوا سبيلهم**
فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة
لا يخلى سبيله **ان الله غفور رحيم** تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور
رحيم غفر لهم ما قد سلف وعدلهم الثواب بالتوبة **وان احد من المشركين** المأمور
بالتعرض لهم **استجارك** استأمنك وطلب منك جوارك **فاجره** فأمنه **حتى**
يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر **ثم ابلغه مأمنه** موضع امنه ان لم يسلم
واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل **ذلك**
الامر او الامن **بانهم قوم لا يعلمون** ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد
من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون **كيف يكون للمشركين عهد عند الله**
وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد و

لأن تثبتوا مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء فهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية إن الله يحب المتقين سبق بيانه
كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وإن يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم إلّاً حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان إلّك من قريش كإلّ السقب من رأل النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الالّ وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ألّ الشيء اذا حدده او من ألّ البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ إيلا كجبرئل وجبرئيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة

والوفاء

والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما يتفوهون به بافواههم وأكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بآيات الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم ادّاهم الى الصد إنهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم وأولئك هم المعتدون في الشرارة فإن تابوا عن الكفر وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا أئمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن إنهم لا أيمان لهم اي لا ايمان على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن

في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا
وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم
وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل
توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم
معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا
اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو
طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على
النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع
الرسول صلعم والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة
وهموا باخراج الرسول على الحلم حين تشاوروا في امره بدار الندوة
على ما مر ذكره في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد
الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة
لانه عليه السلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن
معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم
اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق
ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين
فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان
موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم
ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن
وسبا قدموا مكة واسلموا فلقوا من اهلها اذى فشكوا الى رسول الله صلعم

فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد
اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار
بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار
ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب
لتوبة قوم اخرين والله عليم بما كان وبما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم
الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل
للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان
تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في
الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون
اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع
والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله
ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله
شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد
وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب
بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول
وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين
عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك
وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال تذكرون مساوينا
وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك

جعله سقاية كاقتباس لمكابر للمشركين عمارة بيت الله فهم لعمر سقاية فقال سقاية الحاج لعمر سقاية

العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلعم قال الله تعالى ان بيوتي في الارض المساجد وان زوارها فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد الرجل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول

منهمكين

منهمكين في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله ونعيم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعكم الموالاة في غير محلها قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في الحب الاختياري

اولياء

سبيل

دون الطبع فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه **فتربصوا حتى يأتي الله بامره** جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة **والله لا يهدي القوم الفاسقين** لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص منه **لقد نصركم الله في مواطن كثيرة** يعني مواطن الحرب وهي مواقعها **ويوم حنين** وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين رضي الله عنه ولا يمنع ابدال قوله **اذ اعجبتكم كثرتكم** منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطايف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء لقتال هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا **فلم تغن عنكم** اي الكثرة **شيئا** من الاغناء او من امر العدو **وضاقت**

علیکم

عليكم الارض بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كأنها ضاقت عليكم **ثم وليتم** الكفار ظهوركم **مدبرين** منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال **ثم انزل الله سكينته** رحمته التي سكنوا بها وامنوا **على رسوله وعلى المؤمنين** الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفروا **وانزل جنودا لم تروها** باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر الفا على اختلاف الاقوال **وعذب الذين كفروا** بالقتل والاسر والسبي **وذلك جزاء الكافرين** اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا **ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء** منهم بالتوفيق للاسلام **والله غفور رحيم** يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا **يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس** لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الاوثان او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس

ای الکثیر آ الذین اخذوا یوم الفتح اطلقوا

الفل الانهزام

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون
وهو كالكبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس «فلا يقربوا المسجد الحرام»
لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به
النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك
سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
«بعد عامهم هذا» يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة
الوداع «وان خفتم عيلة» فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم
من قدومهم من المكاسب والارفاق «فسوف يغنيكم الله من فضله» من عطائه
او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق
اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم
وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية
او حال «ان شاء» قيده بالمشية لتنقطع الآمال الا الى الله ولينبه على انه متفضل
في ذلك فان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام
«ان الله عليم» باحوالكم «حكيم» فيما يعطي ويمنع «قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر» اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة
فان ايمانهم كلا ايمان «ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله» ما ثبت تحريمه بالكتاب
والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل
دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا «ولا يدينون دين الحق» الثابت الذي هو ناسخ
الاديان ومبطلها «من الذين اوتوا الكتاب» بيان للذين لا يؤمنون «حتى
يعطوا الجزية» ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه
«عن يد» حال من الضمير اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن غنى

ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او من
الجزية بمعنى نقدا او مسلمة عن يد الى يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية
نعمة عظيمة «وهم صاغرون» اذلاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما تؤخذ الجزية من الذمي
وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده
ان عمر لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه عليه السلام
اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة
كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند
ابي حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عليه السلام صالح عبدة
الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها
في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون
درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على الفقير
غير الكسوب «وقالت اليهود عزير ابن الله» وانما قال بعضهم من متقدميهم او
ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر
من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التوراة حفظا
فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان
فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي
ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه
في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون
بحرف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا
وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر «وقالت النصارى
المسيح ابن الله» هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكونه

ولذلك

اسم قرية من قرى تهامة

الامتار خوردني آوردن

ولد بلا أب أو لأن يفعل بأفعاله من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ثم لم يكن إلها
ذلك قولهم بأفواههم إما تأكيد لنسبة هذا القول إليهم ونفي للتجوز عنها
أو إشعار بأنه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الأفواه
ولا يوجد مفهومه في الأعيان **يضاهئون قول الذين كفروا** أي يضاهي قولهم
قول الذين كفروا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه **من قبل**
أي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى أن الكفر قديم فيهم أو المشركون الذين قالوا
الملائكة بنات الله أو اليهود على أن الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة
والهمزة لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهياء على فعيل
للتي شابهت الرجال في أنها لا تحيض **قاتلهم الله** دعاء عليهم بالإهلاك
فإن من قاتله الله هلك أو تعجب من شناعة قولهم **أنى يؤفكون** كيف يصرفون
عن الحق إلى الباطل **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** بأن أطاعوهم
في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم أو بالسجود لهم **والمسيح ابن مريم** بأن جعلوه
ابنا لله **وما أمروا** أي وما أمر المتخذون أو المتخذون أربابا فيكون
كالدليل على بطلان الاتخاذ **إلا ليعبدوا** ليطيعوا **إلها واحدا**
وهو الله وأما طاعة الرسول صلعم وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة
طاعة الله **لا إله إلا هو** صفة ثانية أو استئناف مقرر للتوحيد **سبحانه
عما يشركون** تنزيه عن أن يكون له شريك **يريدون أن يطفئوا** يخمدوا
نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد أو القرآن أو
نبوة محمد صلعم **بأفواههم** بشركهم أو بتكذيبهم **ويأبى الله** لا يرضى **إلا
أن يتم نوره** بإعلاء التوحيد وإعزاز الإسلام وقيل إنه تمثيل لحالهم
في طلبهم إبطال نبوة محمد صلعم بالتكذيب بحال من يطلب إطفاء نور عظيم

منبث

منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده بنفخه وإنما صح الاستثناء المفرغ والفعل
موجب لأنه في معنى النفي **ولو كره الكافرون** محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان
لقوله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولذلك كرر **ولو كره المشركون** غير أنه وضع
المشركون موضع الكافرون للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول إلى الشرك بالله
والضمير في ليظهره للدين الحق أو للرسول واللام في الدين للجنس أي على سائر الأديان
فينسخها أو على أهلها فيخذلهم **يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان
ليأكلون أموال الناس بالباطل** يأخذونها بالرشى في الأحكام سمي أخذ المال
أكلا لأنه الغرض الأعظم منه **ويصدون عن سبيل الله** دينه **والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله** يجوز أن يراد به الكثير من الأحبار و
الرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بهما وأن يراد المسلمون
الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانهم بالمرتشين
من أهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه أنه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلعم
فقال إن الله لم يفرض الزكوة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وقوله عليه السلم
ما أدي زكوته فليس بكنز أي بكنز أوعد عليه فإن الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق
فيما أمر الله أن ينفق فيه وأما قوله صلعم من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها
ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلم فيما أورده الشيخان مرويا
عن أبي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيمة
صفحت له صفائح من نار فتكوى بها جنبه وجبينه وظهره **فبشرهم
بعذاب أليم** هو الكي بها **يوم يحمى عليها في نار جهنم** أي يوم توقد النار
ذات حمى شديد عليها وأصله تحمى بالنار فجعل الإحماء للنار مبالغة ثم حذفت

النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث
الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دراهم ودنانير
كثيرة كما قال علي عم اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله
ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او للاموال فان الحكم عام وتخصيصهما
بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على
ان حكم الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان
جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس
البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها
اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ
والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره
وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها
وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم
او ما تكنزونه وقرئ تكنُزون بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ
عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في
كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثني عشر يوم خلق
السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا
والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر مذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة
حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك
الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القيم دين ابرهيم واسمعيل عم
والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب
حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب

الازورار عن الشيء العدول عنه

جمهور اهل السنة

المعاصي

المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه
لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول
ما روي انه عليه السلم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهو مصدر كف
عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله
مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء
اي تاخير حرمة شهر الى شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه و
حرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع
انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسْي بحذفها والنَّسي و
النساء وثلثتها مصادر نساه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله
الله وتحليل ما حرمه فهو كفر اخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا
ضلالا زائدا وقرا حمزة والكسائي وحفص يُضَل على البناء للمفعول وعن يعقوب
يُضِل على ان الفاعل الله يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة
ويحرمون مكانه شهرا اخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول
من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي
ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان الهتكم قد حرمت
عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة
ما حرم الله اي ليوافقوا العدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه
او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها
من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل
وهو الله والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي

القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصر دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول

آمنوا

النفور الخروج من مكان لمكان آخر

الشقة بالضم السفر البعيد

بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله على النصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي

لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا
لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع
بمشقة وقرئ بكسر الشين والعين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا
رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة
العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في
قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط
وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم
بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس
في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا
مستطيعين للخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو
من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو وعاتبه عليه والمعنى
لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا
توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين
فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه
للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان
يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا
ان يستأذنوك في التخلف عنه او ان يستأذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا
والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما
يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص
الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع

عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون اي
يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ
عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده
بكسر العين باضافة وغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم
قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم
اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا
مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان
بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين
يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم
ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك
ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي
وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك
لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة
والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم
الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم
والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون
قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم
بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت
امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه
كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذي جدة اسفل من ثنية
الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل

ودوّروا الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتأييد الالهي وظهر
امر الله وعلا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول
والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم
وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوّت الرسول بالمبادرة الى
الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني
ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تأذن لي وفيه اشعار بانه
لا محالة متخلف اذن له او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ
لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس قال
قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكن اعينك
بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها و
هي فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين
جامعة لهم يوم القيمة او الآن لان احاطة اسبابها بهم كوجودها ان تصبك
في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم
وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد
يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم في التخلف
ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول وهم فرحون
مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته و
ايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم و
مخالفتكم وقرئ وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعّل لانه من بنات الواو
لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد
وقيل من الصوب هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل

المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون
بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى
العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين
ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب
بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون
ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر
اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها على سبيل الفرض وفائدته المبالغة في تساوي
الامرين في عدم القبول كأنهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل
منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين
ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين
تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل
منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم
الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقي
وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين
ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون
على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم
كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها
وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم
وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون
ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله
انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون

يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو
يجدون ملجأ حصنا يلجأون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا
نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا اى مكانا يدخلون
انفسهم ومندخلا من تدخل ومدخلا من اندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه
وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شئ كالفرس الجموح وقرئ يجمزون
ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير
يلامزك في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان
لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت في ابى الجواظ المنافق قال الا ترون
الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في
ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف
قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك
ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية ولو انهم
رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة او الصدقة
وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا
حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة
او غنيمة اخرى فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا
من فضله والآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم
ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما
الصدقات للفقراء والمساكين اى الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم
وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير
من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره

والمسكين

والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله
اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر وانه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر
وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين
في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه
فيستألف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم
وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس
لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه عليه السلام كان يعطيهم
والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذى كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف
قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانعى الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير
سواد الاسلام فلما اعزه الله وكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف
في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع
الرقاب فيعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول عن
اللام الى في للدلالة على الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها
والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او
لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني الا
لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار
مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى او لعامل عليها
وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع
الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الكلام اى فرض لهم
الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على

تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها فظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية الاشتراك والى ذلك ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب بفعل دل عليه اذن خير اي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم ليرضوا عنهم والخطاب

للمؤمنين

للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان الشأن وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولون فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرون من انزال السورة فيكم او ما تحذرونه من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاركم

فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول
والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم
لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم
كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء
وقرا عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف
بالتاء والبناء للمفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون و
المنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض
الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم
وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله
يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان
والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح
نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم
من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق
عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها
مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها
ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع
والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم
انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة
واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم وتمثيل حالهم فاستمتعوا
بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه
ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم

ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها
عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم
واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين
خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك
حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك
هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة الم ياتهم نبا الذين
من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود
اهلكوا بالرجفة وقوم ابرهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه
واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة
والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت فصار
عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين
وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعني الكل
بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس
كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب
بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله
والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور
اولئك سيرحمهم الله لا محالة فالسين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز
غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد
الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة
تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد

والى قصور كالحصى في جنات عدن اقامة وخلود وعنه صلعم عدن دار الله
التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون
الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه
وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم
اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب
الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم
فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك ورضوان من الله اكبر
لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء
وعنه عليه السلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى
وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك
قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك
اي الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه
الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين
بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأواهم
جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه صم
اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد
لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صم فاستحضره
فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم

ينالوا

ينالوا من فتك الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك
ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر
بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع
اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراج
المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله
وما نقموا وما انكروا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله
ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من
العيش فلما قدمهم رسول الله صم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى
فامر رسول الله صم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ عن
اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس
على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق
يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم
في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله
لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن
حاطب اتى النبي صم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلم قليل تؤدي
شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا
لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها
المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صم
فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ
الصدقات فاستقبلها الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة
واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية

فارجعها حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلعم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذّبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه عليه السلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلعم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم

وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامر رسول الله صلعم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلعم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه السلم لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على

عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون
على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا
ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم **فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله** بقعودهم عن الغزو خلفه
يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه
على العلة او الحال **وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في** ايثار الدعة
والخفض على طاعة الله فيه وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه
ببذل الاموال والمهج **وقالوا لا تنفروا في الحر** اي قاله بعضهم لبعض او قالوه
للمؤمنين تثبيطا **قل نار جهنم اشد حرا** وقد آثرتموها بهذه المخالفة
لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة
على الطاعة **فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون** اخبار عما
يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب
ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم
فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من
المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان
المتخلفون اثني عشر رجلا **فاستأذنوك للخروج** اي الى غزوة اخرى بعد
تبوك **فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا** اخبار في معنى
النهي للمبالغة **انكم رضيتم بالقعود اول مرة** تعليل له وكان اسقاطهم
عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك
فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان
وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين **ولا تصل على احد منهم مات ابدا** روي

ان

منافقيهم

ان ابن ابي دعا رسول الله في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه
في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب
ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في
قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان
مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة
الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب
النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب
دون التمتع فكانه لم يحي **ولا تقم على قبره** ولا تقف عند قبره للدفن
او الزيارة **انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون** تعليل للنهي او لتأبيد
الموت **ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها
في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون** تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار
طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذا في فريق
غير الاول **واذا انزلت سورة** من القرآن ويجوز ان يراد بعضها **ان
آمنوا بالله** بان آمنوا ويجوز ان تكون ان المفسرة **وجاهدوا
مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم** ذووا الفضل والسعة **وقالوا
ذرنا نكن مع القاعدين** الذين قعدوا لعذر **رضوا بان يكونوا
مع الخوالف** مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه
وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من
السعادة وما في التخلف من الشقاوة **لكن الرسول والذين آمنوا معه
جاهدوا باموالهم وانفسهم** اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد
جاهد من هو خير منهم **واولئك لهم الخيرات** منافع الدارين النصر والغنيمة

كافرون

في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي
جمع خيرة تخفيف خيّرة وأولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب
أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم
بيان لما لهم من الخيرات الأخروية وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم
يعني أسدا وغطفان استأذنوا في التخلف متعذرين بالجهد وكثرة العيال
وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت طي على
أهالينا ومواشينا والمعذر إما من عذّر في الأمر إذا قصّر فيه موهما أن له
عذرا ولا عذر له أو من اعتذر إذا مهّد العذر بإدغام التاء في الذال و
نقل حركتها إلى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع
لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المُعْذِرون من أعذر إذا اجتهد في العذر وقرئ
المعّذّرون بتشديد العين والذال على أنه من تعذّر بمعنى اعتذر وهو لحن
إذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في أنهم كانوا معتذرين بالتصنع
أو بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم
منافقو الأعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الإيمان وإن كانوا هم الأولين
فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الأعراب أو من المعذرين
فإن منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب أليم بالقتل والنار ليس
على الضعفاء ولا على المرضى كالهرم والزمنى ولا على الذين لا
يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج
إثم في التأخر إذا نصحوا لله ورسوله بالإيمان والطاعة في السر والعلانية
كما يفعل الموالي الناصح أو بما قدروا عليه فعلا أو قولا يعود على الإسلام والمسلمين
بالصلاح ما على المحسنين من سبيل أي ليس عليهم جناح ولا إلى معاتبتهم

سبيل

سبيل وإنما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون في سلك
المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم أو للمسيء فكيف للمحسن
ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم عطف على الضعفاء أو على المحسنين و
هم البكاؤون سبعة من الأنصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله
بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد أتوا
رسول الله صلعم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال
المخصوفة نغزو معك فقال لا أجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن
معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى وأصحابه قلت لا أجد
ما أحملكم عليه حال من الكاف في أتوك بإضمار قد تولوا جواب إذا
وأعينهم تفيض من الدمع أي دمعا فإن من للبيان وهي
مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها لأنه يدل على
أن العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة أو الحال أو المصدر
لفعل دل عليه ما قبله ألا يجدوا أي لئلا يجدوا متعلق بحزنا أو بتفيض
ما ينفقون في مغزاهم إنما السبيل بالمعاتبة على الذين
يستأذنونك وهم أغنياء واجدون الأهبة رضوا بأن يكونوا مع الخوالف
استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة
والانتظام في جملة الخوالف إيثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا
عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون إليكم في التخلف
إذا رجعتم إليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة
لأنه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لأنه قد نبأنا الله من أخباركم
أعلمنا بالوحي إلى نبيه بعض أخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد

وسيرى الله عملكم ورسوله أتتوبون عن الكفر أم تثبتون عليه وكأنه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم ولا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فأعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين فان رضاكم لا يستلزم رضا الله تعالى ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله تعالى وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله تعالى فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الاية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم الكتاب والسنة واجدر الا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر

والمدر

والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله عز وجل ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله تعالى ولا يرجو عليه ثوابه وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وابو عمرو السوء ههنا وفي الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله تعالى ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة

والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية
وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير
وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون
بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي
الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا
من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير
من تحتها كما في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم
ممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة
واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف
على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف
الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول
صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان
تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير
لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع
كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم
ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم
مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة
ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون
اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة
من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم

آخره متى اضع العمامة تعرفوني

فذكر

فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر
فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي
هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو
بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط
بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله تعالى
اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه
خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا
التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت
تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من
اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم
وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار
لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها
لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم
عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم
قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز
ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله
هو التواب الرحيم وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم
وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان
او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم
وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون

بالمجازاة عليه **وآخرون** من المتخلفين **مرجون** موخرون اي موقوف امرهم
من ارجاته اذا اخرته وقرا نافع وحمزه والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان
لامر الله في شانهم **اما يعذبهم** ان اصروا على النفاق **واما**
يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة
الله تعالى **والله عليم** باحوالهم **حكيم** فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم
والمراد بهولاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا
امرهم الى الله عز وجل فرحمهم الله تعالى **والذين اتخذوا مسجدا** عطف على
وآخرون مرجون او مبتدا خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب
على الاختصاص وقرا نافع وابن عامر بغير واو **ضرارا** مضارة للمؤمنين
روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم
فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم
فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه
حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم
ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد
الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة **وكفرا**
وتقوية للكفر الذي يضمرونه **وتفريقا بين المؤمنين** يريد الذين كانوا
يجتمعون للصلوة في مسجد قباء **وارصادا** ترقبا **لمن حارب الله**
ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد
قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن

وهرب الى الشام لياتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين
وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام **ومن قبل**
متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا المسجد من قبل ان ينافق هولاء بالتخلف
لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيه فقال انا
على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت
وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او
الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والزكوة والتوسعة على المصلين **والله**
يشهد انهم لكاذبون في حلفهم **لا تقم فيه ابدا** للصلوة
لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول ابي سعيد سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم
هذا مسجد المدينة **من اول يوم** من ايام وجوده ومن يعم الزمان
والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر **احق ان**
تقوم فيه اولى بان تصلي فيه **فيه رجال يحبون ان يتطهروا**
من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله تعالى وقيل من الجنابة فلا
ينامون عليها **والله يحب المطهرين** يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه
ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون
حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون
انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام
اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال
اتشكرون في الرخاء قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم

قنسرين بالتشديد والتخفيف قرية في نواحي الشام

قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند
الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة
ثم نتبع الاحجار الماء فتلا صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا **افمن اسس**
بنيانه بنيان دينه **على تقوى من الله ورضوان خير** على قاعدة محكمة
هي التقوى من الله تعالى وطلب مرضاته بالطاعة **ام من اسس بنيانه**
على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها
فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط
في النار وانما وضع شفاء الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة
التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم
رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان
تاسيس ذلك امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله تعالى ومقتضياته
التي الجنة ادناها وتاسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة
فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر اسس على
البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس
واساس بالفتح والكسر وثلثتها جمع اس وتقوى بالتنوين
على ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف
بالتخفيف **والله لا يهدي القوم الظالمين** الى ما فيه صلاح ونجاة
لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به
المفعول وليس بجمع ولذلك قد يدخل التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله تعالى
ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال
سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم

رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم **الا ان تقطع قلوبهم**
قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة و
الاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في
النار وقيل التقطيع بالتوبة ندما واسفا وقرا يعقوب الى بحرف الانتهاء و
تقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء و
تقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب ولو قطعت
على البناء للفاعل والمفعول **والله عليم** بنياتهم **حكيم** فيما امر بهدم
بنائهم **ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة** تمثيل
لاثابة الله تعالى اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله **يقاتلون في**
سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله الشرى
وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت
ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل **وعدا عليه**
حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد **في التورية**
والانجيل والقران مذكورا فيهما كما اثبت في القران **ومن اوفى بعهده**
من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا **فاستبشروا ببيعكم**
الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب
كما قال **وذلك هو الفوز العظيم التائبون** رفع على المدح اي هم التائبون
والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدا خبره محذوف
تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى
او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال
وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين **العابدون الذين**

عبدوا الله مخلصين له الدين **الحامدون** لنعمائه او لما نابهم من السراء
والضراء **السائحون** الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصوم شبه
بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى
الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم **الراكعون**
الساجدون في الصلوة **الآمرون بالمعروف** بالايمان والطاعة
والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه
بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله
تعالى **والحافظون لحدود الله** اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع
للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان
التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء
تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية **وبشر المؤمنين**
يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم
للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك و
حذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام
ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه عليه السلام قال
لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة أحاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال
استغفر ما لم أنه عنه وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه
ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته
في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل الآيتين **ولو كانوا اولي قربى من بعد**
ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار
لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم عليه السلام لابيه

الكافر

الكافر فقال **وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه** وعدها
ابرهيم اياه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب
ما قبله ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابرهيم ابوه وهو الوعد بالايمان
فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي فيه بانه لن يؤمن
تبرأ منه قطع استغفاره **ان ابرهيم لأواه** لكثير التاوه وهو كناية
عن فرط ترحمه ورقة قلبه **حليم** صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على
الاستغفار له مع شكاسته عليه **وما كان الله ليضل قوما** اي ليسميهم ضلالا
ويؤاخذهم مؤاخذتهم **بعد اذ هداهم** للاسلام **حتى يبين لهم**
ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول
في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم
مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل
غير مكلف **ان الله بكل شيء عليم** فيعلم امرهم في الحالين **ان الله**
له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب
التبرؤ عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه
ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤوا مما
عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه **لقد تاب الله**
على النبي والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين في التخلف او برأهم
عن علقة الذنوب كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو
بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين
والانصار لقوله تعالى توبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص

دونه ما هو فيه والترقي اليه من كمال النقيصه واظهار لفضلها بانها مقام الانبيا
والصالحين من عباده **الذين اتبعوه في ساعة العسرة** في وقتها وهي حالهم
في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد
حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ **من
بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم** عن الثبات على الايمان او اتباع
الرسول صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد اليه الضمير في منهم
وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد
ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين **ثم تاب عليهم** تكرير للتاكيد
وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب
عليهم لكيدودتهم **انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة** وتاب على الثلثة
كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع **الذين خلفوا** او
تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون **حتى اذا ضاقت
عليهم الارض بما رحبت** اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو
مثل لشدة الحيرة **وضاقت عليهم انفسهم** قلوبهم من فرط الوحشة
والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور **وظنوا** وعلموا **ان لا ملجأ
من الله** من سخطه **الا اليه** الا الى استغفاره **ثم تاب عليهم**
بالتوفيق للتوبة **ليتوبوا** او انزل قبول توبتهم ليعدوا في جملة التوابين
او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم **ان الله
هو التواب الرحيم** لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة **الرحيم** المتفضل
عليهم بالنعم **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله** فيما لا يرضاه **وكونوا
مع الصادقين** في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا

وقرئ من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلثة واضرابهم
ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي
عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة **ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه** لا يصونوا انفسهم
عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه
وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب
والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه
ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه
السراب فقال عليه الصلوة والسلم كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم **ذلك** اشارة الى ما دل عليه
قوله تعالى ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة **بانهم** بسبب انهم **لا
يصيبهم ظمأ** من العطش **ولا نصب** تعب **ولا مخمصة** مجاعة
في سبيل الله ولا يطؤن موطئا مكانا **يغيظ الكفار** يغيظهم
وطاؤه **ولا ينالون من عدو نيلا** كالقتل والاسر والنهب **الا كتب
لهم به عمل صالح** الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة
ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه
على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن
كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار
واستيلائهم **ولا ينفقون نفقة صغيرة** ولو علاقة **ولا كبيرة** مثل
ما انفق عثمان في جيش العسرة **ولا يقطعون واديا** في مسيرهم وهو كل
منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض

الضح ضوء الشمس ١٢

الشق المنعطف ومنفرج الوادي منعطفه ١٢

إلا كتب لهم أثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك أحسن ما
كانوا يعملون جزاء أحسن أعمالهم أو أحسن جزاء أعمالهم وما كان المؤمنون
لينفروا كافة وما استقام لهم أن ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم
كما لا يستقيم لهم أن يتثبطوا جميعا فإنه يخل بأمر المعاش فلولا نفر من
كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة
جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا
مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم وليجعلوا
غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة إرشاد القوم وإنذارهم وتخصيصه
بالذكر لأنه أهم وفيه دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية وأنه ينبغي
أن يكون غرض المتعلم فيه أن يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في
البلاد لعلهم يحذرون إرادة أن يحذروا عما ينذرون منه واستدل
به على أن أخبار الآحاد حجة لأن عموم كل فرقة يقتضي أن ينفر من كل ثلاثة
تفردوا بقرية طائفة إلى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو
لم يعتبر الأخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد أشبعت القول فيه تقريرا و
اعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو أنه لما نزل في
المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون إلى النفير وانقطعوا عن التفقه فأمروا
أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا
ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الأكبر لأن الجدال بالحجة هو الأصل والمقصود
من البعثة ويكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي من الفرق بعد
الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف أي لينذر البواقي قومهم
النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم يا أيها

الذين

الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار أمروا بقتال الأقرب
منهم فالأقرب كما أمر رسول الله صلعم أولا بإنذار عشيرته فإن الأقرب أحق
بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر و
قيل الروم فإنهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا
فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما
لغتان فيها واعلموا أن الله مع المتقين بالحراسة والإعانة وإذا ما
أنزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول إنكارا واستهزاء أيكم
زادته هذه السورة إيمانا وقرئ أيكم بالنصب على إضمار فعل يفسره
زادته فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر
السورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها إلى إيمانهم وهم يستبشرون
بنزولها لأنه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم وأما الذين في قلوبهم
مرض كفر فزادتهم رجسا إلى رجسهم كفرا بها مضموما إلى الكفر
بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه أولا يرون
يعني المنافقين وقرأ يعقوب وحمزة بالتاء أنهم يفتنون يبتلون
بأصناف البليات أو بالجهاد مع الرسول صلعم فيعاينون ما يظهر عليه من
الآيات في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون
من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون وإذا ما أنزلت سورة
نظر بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون إنكارا لها وسخرية أو
غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من أحد أي يقولون هل يراكم
أحد إن قمتم من حضرة الرسول صلعم فإن لم يرهم أحد قاموا ثم انصرفوا
عن حضرته صلعم مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الإيمان وهو يحتمل

الاخبار والدعاء ما نتم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم
تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من
انفسكم اي من اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم و
لقاؤكم المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين
منكم ومن غيركم رءوف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرافة
شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل
حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو
كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب
العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه
الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان اخر ما نزل هاتان
الايتان وعن النبي صلعم ما نزل القران علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة
براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف
من الملائكة سورة يونس مكية وهي مائة وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الر

فخمها ابن كثير ونافع برواية قالون وحفص وقرأ ورش بين اللفظين
وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك ايات
الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القران من الاي والمراد
من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم
اياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب
وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس
او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه

اعجوبة

اعجوبة لهم فيوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء
رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا
يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور
العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه الصلوة والسلام لم يكن
يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب
ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم السلم قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه عز وجل
بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس
ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موضع مفعول اوحينا
وبشر الذين امنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه
وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم
قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان
السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها
والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون
ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول صلعم لسحر مبين وقرأ
ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلعم وفيه اعتراف
بانهم صادفوا من الرسول صلعم امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة
وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر
امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها
وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من
شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان

ان يشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اى الموصوف
بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد
في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون
ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه
مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه
وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله تعالى
حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله عز وجل انه يبدؤا
الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزى الذين آمنوا و
عملوا الصالحات بالقسط اى بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل
في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه
لمقابلة قوله تعالى والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا
يكفرون فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم بسبب كفرهم
لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات
من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة
المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء
ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والاية كالتعليل لقوله تعالى
اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله تعالى
المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرا انه يبدأ
بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او
بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اى ذات ضياء وهو مصدر
كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء منقلبة عن الواو وعن ابن كثير

برواية قنبل هنا وفي الانبياء والقصص ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب
بتقديم اللام على العين والقمر نورا اى ذا نور وسمي نورا للمبالغة وهو
اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى
بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بالعرض مقابلة الشمس والاكتساب
منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما
منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة
منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله تعالى لتعلموا عدد السنين
والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم
ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة
يفصل الايات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير
والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما
خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لايات على وجود الصانع
ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على
التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم
البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة
لغفلتهم عنها واطمانوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها
وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن اياتنا غافلون لا يتفكرون
فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان
الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث
لا يخطر الاخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث
ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل

ولا عدادها أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه
وتمرنوا به من المعاصي إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم
بسبب إيمانهم إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة أو لإدراك الحقائق كما قال عليه السلام
من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم أو لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب
وإن دل على أن سبب الهداية هو الإيمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله
بإيمانهم على استقلال الإيمان بالسببية وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف
تجري من تحتهم الأنهار استئناف أو خبر ثان أو حال من الضمير المنصوب
على المعنى الأخير وقوله تعالى في جنات النعيم خبر أو حال أخرى منه أو
من الأنهار أو متعلق بتجري أو بيهدي دعواهم فيها أي دعاؤهم
سبحانك اللهم اللهم إنا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به
بعضهم بعضا أو تحية الملائكة إياهم فيها سلام وآخر دعواهم وآخر
دعائهم أن الحمد لله رب العالمين أي أن يقولوا ذلك ولعل المعنى أنهم
إذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت
الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز بأصناف الكرامات
أو الله تعالى فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الإكرام وأن هي المخففة من الثقيلة
وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يعجله
لهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير إشعارا بسرعة
إجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم أو بأن المراد شر استعجلوه
كقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس
الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه
ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي إليهم أجلهم لأميتوا وأهلكوا

وقرا

وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل
محذوف دل عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم إمهالا لهم
واستدراجا وإذا مس الإنسان الضر دعانا لإزالته مخلصا فيه لجنبه
ملقيا لجنبه أي مضطجعا أو قاعدا أو قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء
لجميع الأحوال أو لأصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته
واستمر على كفره أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع إليه كأن لم يدعنا كأنه
لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال ونحر مشرق اللون كأن ثدياه
حقان إلى ضر مسه إلى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين
زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والإعراض عن العبادات
ولقد أهلكنا القرون من قبلكم يا أهل مكة لما ظلموا حين ظلموا
بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات
بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو بإضمار قد أو عطف على ظلموا
وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم و
خذلان الله تعالى لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي كذلك
مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل وإصرارهم عليه بحيث تحقق
أنه لا فائدة في إمهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم أو نجزيكم
فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وأنهم أعلام فيه ثم جعلناكم
خلائف في الأرض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف
من يختبر لننظر كيف تعملون أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على مقتضى
أعمالكم وكيف معمول تعملون فإن معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه ما قبله

او فايدة له الدالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث
ذواتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقران غير هذا
بكتاب اخر نقراه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت
او ما نكرهه من معايب الهتنا او بدله بان تجعل مكان الاية المشتملة
على ذلك اية اخرى ولعلهم سالوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي
ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر
استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع
الاتيان بقران اخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع
لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض
الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القران كلامه واختراعه
ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف
ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء
بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك
ما تلوته عليكم ولا ادريكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرا ابن كثير برواية
قنبل والبزي مع خلاف عنه ولادريكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما
تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه
لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراكم ولا ادراتكم بالهمزة فيهما
على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع
اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرءونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله
لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم

عمرا مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القران لا اتلوه ولا اعلمه
فان فيه اشارة الى ان القران معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم
اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة
ثم قرا عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا على كل منثور
ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين
واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من عند الله تعالى افلا تعقلون
اي افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله تعالى
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوه اليه كناية او
تظليم للمشركين بافترائهم على الله تعالى في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب
باياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي
ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى يعود عبادته بجلب نفع ودفع ضر ويقولون
هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من
امور الاخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم
حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر
ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه
بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في السموات
ولا في الارض حال من العايد المحذوف موكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون
من دون الله تعالى اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث
مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم

او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرا حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في
النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا امة واحدة موجودين على الفطرة
او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلم الى ان قتل قابيل هابيل
او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع
الهوى والاباطيل او ببعثة الرسول فتبعهم طائفة واصرت اخرى ولولا
كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم
الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه
يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه
آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص
بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا
لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله تعالى بكم لجحودكم
ما انزل عليه من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة
صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر
في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين
حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله تعالى
ويكيدون رسوله صلعم قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان
تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة
جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج او الجزاء
على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان
ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب
يمكرون بالياء ليوافق ما قبله وهو الذي يسيركم في البر والبحر يحملكم على

البر

السير ويمكنكم منه وقرا ابن عامر بالنون والشين من النشر حتى اذا كنتم في الفلك
في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه
تذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة بلينة الهبوب و
فرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة
بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم
الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا
وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين
من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا
بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول
فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق
فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو
احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم
فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم
او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة
لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته وحفص نصبه على انه مصدر مؤكد
اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار
من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال
او مفعول دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم في القيامة
فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا
حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها

كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى
خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزرع والبقول و
الحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف النبات و
اشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت
بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت
على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت
كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها و
رفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها
فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن
بالامس كان لم يغن زرعها اي لم ينبت والمضاف محذوف في الموضعين
للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل فيما قبله هو مثل في الوقت القريب والممثل به
مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه حطاما بعد ما كان
غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح
لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل
الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام
دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه
على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة
ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم وهو طريقها
وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية
بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده
للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة

تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة
عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله تعالى ورضوان
وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم ولا يغشاها
قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل
النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف
الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله
للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ
والخبر جزاء سيئة بمثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هو الفضل
او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء
سيئة مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة
الباء او تقديره مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم
من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله تعالى او من جهة الله و
من عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما
لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل
في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة
او معنى الفعل في الليل وقرا ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا
يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر
ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه
ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم

الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم **انتم** تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله **وشركاؤكم** عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه **فزيلنا بينهم** ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم **وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون** مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله تعالى الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين **فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم** فانه العالم بكنه الحال **ان كنا عن عبادتكم لغافلين** ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة **هنالك** في ذلك المقام **تبلو كل نفس ما اسلفت** تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض **وردوا الى الله** الى جزائه اياهم بما اسلفوا **مولاهم الحق** ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد **وضل عنهم** وضاع عنهم **ما كانوا يفترون** من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة **قل من يرزقكم من السماء والارض** اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض **امن يملك السمع والابصار** امن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها **ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي** اي ومن يحيي ويميت او ومن ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه **ومن يدبر الامر** ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص **فسيقولون الله** اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه **فقل افلا تتقون** انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك **فذلكم الله ربكم الحق** اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم **فماذا بعد الحق الا الضلال** استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال **فانى تصرفون** عن الحق الى الضلال **كذلك حقت كلمة ربك** اي كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه وقرأ نافع وابن عامر كلمات هنا وفي آخر السورة وفي غافر **على الذين فسقوا** تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح **انهم لا يؤمنون** بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب **قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده** جعل الاعادة كالابداء في الالزام لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم في الجواب فقال تعالى **قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده** لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها **فانى تؤفكون** تصرفون عن قصد السبيل **قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق** بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق

ولذلك عقب بهما ما الحشر والى الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق
احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي الا ان
يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله
وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرا ابن كثير وورش
عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر
والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد
ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون
مثله وقرئ الا ان يهدي للمبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي
صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا
مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد
والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم
الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق
من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به
ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد
والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن و
اعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى افتراء من دون الله
من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية
المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار
عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف
تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق

وتفصيل

وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع
لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا من
رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق
او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير
في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام
يقولون افتراه بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا بسورة
مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية
والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك
فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله فانه وحده
قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى
التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته
ويحيطوا بالعلم بشأنه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء
وسائر ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم
تبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين
لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا
تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم
بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها
او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب
تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان
عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين

ومنهم من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به
ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او
فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين
وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم
فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا
انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ
بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف
ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون
كالاصم الذي لا يسمع اصلا أفانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو
كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع
الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال
العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومشايعة
الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ
عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك ويعاين
دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون أفانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم
ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود
من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى
المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري منهم
والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن
الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان
للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم

بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف
اسبابه وقرأ حمزة والكسائي بالتخفيف ورفع الناس ويوم يحشرهم كأن لم
يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول
ما يرون والجملة التشبيهية في موضع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث
الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله او لمصدر
محذوف اي حشرا كأن لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا
كأنهم لم يتعارفوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة
الامر عليهم وهي حال اخرى مقدرة او بيان لقوله تعالى كأن لم يلبثوا او متعلق
الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا
من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال
ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاكتسبوا بها جهالات ادت بهم
الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك نبصرنك بعض الذي
نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل
ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة فهو جواب نتوفينك وجواب
نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه
ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم
او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول
يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي
بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك
المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه ولكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه

فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن
وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى
هذا الوعد استبعاد له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب
منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل
في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او لكن ما شاء الله
من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين
وقتكم وينجز وعدكم قل ارأيتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا
وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب
معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه و
كله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون
وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الموعد
لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او
تعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني
ويكون الجملة متعلقة بارأيتم او بقوله اثم اذا ما وقع آمنتم به بمعنى ان
اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض
ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير آلآن على ارادة القول
اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا و
استهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا
عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون

يستقدمون

من الكفر

من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو أحق ما
تقول من الوعد وادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب
لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل
انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ
والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك
قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل
كلا الضميرين للقرآن واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك توصل بواوه
في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين بفائتين
العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير
ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية
لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما رأوا العذاب
لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا
ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او
لانه يقال سر الشيء لخالصه من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها
من قولهم اسر الشيء اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا
لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة
بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله
ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا
ان وعد الله حق لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا
هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته
لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه

ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون صح

من ربكم

ترجعون بالموت والنشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع
للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة
عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد
وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزل عليهم فنجوا بها من ظلمات
الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد
من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته
بانزال القران والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا
فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او
فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال
وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم
وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط
كانه قيل ان فرحوا بشي فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان
مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله
واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل
وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون
من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون
على معنى فبذلك فليفرح المومنون فهو خير مما تجمعون ايها المخاطبون
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر
في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى
اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال

فجعلتم

فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر وما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل آلله اذن لكم في
التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك
اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام
للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن
الذين يفترون على الله الكذب اي شي ظنهم يوم القيمة ايحسبون
ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن
وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم
عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون
هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في امر واصله الهمزة من شانت
شانه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة القران
معظم شان الرسول او لان القران يكون لشان فيكون التقدير من اجله
ومفعول تتلو من قران على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي
او للقران واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل
تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة و
ذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين
عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك
ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا الكسائي بكسر الزاي هنا وفي سبا من مثقال
ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في
الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما
وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله و
لا نافية وأصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر
ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف أو على محله
مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ألا إن
أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول والآية مجملة فسره بقوله
الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان
توليهم لربهم لهم البشرى في الحياة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه
وعلى لسان نبيه وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات
وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين
بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب أو الرفع على المدح
أو على وصف الأولياء أو على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله
لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده ذلك إشارة إلى كونهم مبشرين
في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق
المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه أن يقع بعده كلام متصل بما قبله
ولا يحزنك قولهم إشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك
من أحزنه وكلاهما بمعنى إن العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل
ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لأن الغلبة
لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع
لأقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها ألا إن لله من في
السماوات ومن في الأرض من الملائكة والثقلين وإذا كان هؤلاء الذين هم أشرف

الممكنات

عبيدا لا يصلح أحد منهم للربوبية فما لا يعقل منها أحق أن لا يكون له ندا أو
شريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء أي شركاء
على الحقيقة وإن كانوا يسمونها شركاء ويجوز أن يكون شركاء مفعول يدعون
ومفعول يتبع محذوف دل عليه إن يتبعون إلا الظن أي ما يتبعون يقينا
وإنما يتبعون ظنهم أنها شركاء ويجوز أن تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع
وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى أي شيء يتبع الذين
تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين أي أنهم لا يتبعون إلا الله ولا يعبدون
غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة
فيكون إلزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم
ومنشأ رأيهم وإن هم إلا يخرصون يكذبون فيما ينسبون إلى الله
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته
وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وإنما قال
مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب
إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله
ولدا أي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فإنه لا يصح إلا ممن يتصور
له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه فإن اتخاذ
الولد مسبب عن الحاجة له ما في السماوات وما في الأرض تقرير لغناه
إن عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما أقامه من البرهان مبالغة
في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له أو
بعندكم كأنه قيل إن عندكم في هذا من سلطان أتقولون على الله ما لا تعلمون
توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على أن كل قول لا دليل عليه

اختلال

أو يحزرون ويقدرون أنها شركاء
تقديرا باطلا

فهو جهالة وان العقايد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سايغ قل
ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه
لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا
خبر مبتداء محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر
او حيوتهم او تقلبهم متاع او مبتدء خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا
ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب
الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح
خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم
وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي
بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بايات الله
فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه
وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير
المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف
المضاف اي امر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم
وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع
على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم
ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا
مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم
عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا ادوا الي ذلك الامر الذي
تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا
الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم

اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم
اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا
على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين
المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه
بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت
عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا
ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا
باياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى
عليهم وتحذير لمن كذب الرسل وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده
من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤوهم بالبينات
بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان
يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل
اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسول كذلك
نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف
وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد
مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون
الى فرعون وملائه باياتنا بالايات التسع فاستكبروا عن اتباعها
وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم
واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات
القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين
ظاهر انه سحر او فايق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق

لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي بالقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون
أسحر هذا لانهم بتّوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون
الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى أتقولون للحق
أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني
عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس
بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح
الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا كانهم قالوا أجئتنا
بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا
لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة
الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف
الملوك بالكبرياء او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين
بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي
بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا
ما انتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به
هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية
مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها وآلسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف
تقديره أهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اي آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما
بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله
سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته
ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله
الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو

كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية
من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا
من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من
شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته
وماشطته على خوف من فرعون وملئهم اي مع خوف منهم والضمير
لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون
آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم
فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراد الضمير للدلالة على ان الخوف
من الملأ كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه
لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء
وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين يا قوم ان كنتم آمنتم بالله
فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين
لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان
وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد
مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله
توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا
لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم اي لا تسلطهم علينا
فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم
مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل
اولا لتجاب دعوته وأوحينا الى موسى واخيه ان تبوّآ ان اتخذا مباءة
لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا

انتما وقومكما **بيوتكم** تلك البيوت **قبلة** مصلى وقيل مساجد
متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها **واقيموا الصلوة**
فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم
عن دينهم **وبشر المؤمنين** بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما
ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس
القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما
ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة
وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس
والمراكب ونحوهما **واموالا في الحيوة الدنيا** وانواعا من المال
ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة
احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي
متعلقة بآتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج
وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها
ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض
ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله **ربنا اطمس على اموالهم** اهلكها
والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم **واشدد على قلوبهم** اي واقسها
واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان **فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم**
جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض
قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن
فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان
ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة

ولا

ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال او عدم
الوثوق والاطمئنان بوعد الله وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعانِ بالنون الخفيفة
وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعانّ من تبع ولا تتبعان ايضا **وجاوزنا
ببني اسرائيل البحر** اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ
جوّزنا وهو من فعّل المرادف لفاعل كضعّف وضاعف **فاتبعهم** فادركهم
يقال تبعته حتى اتبعته **فرعون وجنوده بغيا وعدوا** باغين وعادين
او للبغي والعدو وقرئ عدوّا **حتى اذا ادركه الغرق** لحقه **قال آمنت انه
لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين** اي بانه وقرا حمزة
والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن
الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل **آلآن** اتؤمن الآن وقد
ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار **وقد عصيت قبل** قبل ذلك مدة عمرك
وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان **فاليوم ننجيك**
نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض
ليراك بنوا اسرائيل وقرا يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحّيك بالحاء اي نلقيك
بناحية الساحل **ببدنك** في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح
او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب
يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك
كانه كان مظاهرا فيها **لتكون لمن خلفك آية** لمن وراءك علامة
وهم بنوا اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا
موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل
او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا

من الطغيان او حجة تدل على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك
مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اى لخالقك اية كسائر
الايات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك
واماطة الشبهة فى امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا
محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها
ولا يعتبرون ولقد بوأنا انزلنا بنى اسرائيل مبوّأ صدق منزلا
صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا
حتى جاءهم العلم فما اختلفوا فى امر دينهم الا من بعد ما قرأوا التورية وعلموا
احكامها او فى امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر
معجزاته ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق عن
المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت فى شك مما انزلنا اليك من القصص
على سبيل الفرض والتقدير فاسئل الذين يقرؤن الكتاب فانه محقق
عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى
الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ
فى العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول او زيادة تثبيته لا امكان وقوع
الشك ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبى والمراد
امته او لكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما نزلنا على لسان
نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها
بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل
للمرية فيه بالايات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من
الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكونن من الخاسرين

ايضا

ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر
او يخلدون فى العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه
ولو جاءتهم كل اية فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به
مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون
فلولا كانت قرية امنت فهلا كانت قرية من القرى التى اهلكناها
امنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها
بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس
لما امنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا
عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الجملة فى معنى النفى
لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى
اهاليها كانه قال ما امن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس
ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى اجالهم روى
ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم
بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود
ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس عليه السلام فلم يجدوه
فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم
وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض
وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا
الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة ولو شاء ربك
لامن من فى الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين

على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين
وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر أفأنت
تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب
الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على
الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا
عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد
الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله
الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء وقرأ ابو بكر
ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر
في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد
الاول قوله قل انظروا تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب
صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت
انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه
وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام
الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره
من قولهم ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك
او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا
عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي
رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين
كذلك الانجاء او كالانجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا

اعتراض

اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائي ننجي مخففا
قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني
وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا
خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف
لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي
هو يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون
من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان
يجوز ان يكون من المطرد مع ان وانّ وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير
فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير
ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها
بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها
والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض
والانتهاء عن القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من
الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
بنفسه ان دعوته او خذلته فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط
وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان
يصبك فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك
بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي ارادك به ولعله ذكر
الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات
وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة
على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن

بما يريد بهم

يتوفاكم

فان فعلت

ردّه يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم
فتعرضوا الرحمة بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد
جاءكم الحق من ربكم الرسول والقرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى
بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل
بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم
بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك
بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله
بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه
لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي عليه السلام من قرأ سورة يونس
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من
غرق مع فرعون سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب

مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه
اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات
السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة
منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية
والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ
والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما
يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته
ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار
من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت

او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر
امره وما خفي الا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا او قيل ان مفسرة
لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد
او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه
او اتركوها تركا انني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب على
الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على الا تعبدوا
ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق
لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز
ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن
ودعة الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب
الاستيصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة
الى كل واحد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل
في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين
وان تولوا فان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة
وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا
من ولي الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس
وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه
تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون
عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي او يولون ظهورهم وقرئ تثنوني
بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون واصله تثنونن
من الثن وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني

يطولكم بمنافع

ويعطه

ويثنون من اثنونى كاحلولى بالهمزه ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع
رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا
واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد صلعم كيف يعلم وقيل
نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين
يستغشون ثيابهم الا حين ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم
ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوى في علمه سرهم
وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار
ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله
غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا
لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها
في الحيوة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل
ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من
الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد
بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات
باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف
او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات
بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن
حايل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء
وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على
متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق

اى

اى خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك
اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون
بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من
حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل
لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبيح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على
الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح
ولذلك قال النبي صلى الله عليه و[سلم] ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع
في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من
بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول
به او القران المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرا حمزة والكسائي
الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت
او ان يكون ان بمعنى عل اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن
اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات
قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع
الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم كيوم بدر ليس العذاب مدفوعا
عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها
وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة
في التهديد ما كانوا به يستهزءون اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون
فوضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا
الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه

ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليئوس قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره
وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه
نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف
الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني
انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر
والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا
من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران والبطر
بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول الا الذين
صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات
شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم و
اجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان
محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء
منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك بعض ما يوحى اليك
وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء
لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل
عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ههنا وضائق به صدرك
وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا
لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه
ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير
ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك
يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم

بحالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر
سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل
الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات
مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء
مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار
وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة
على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم
باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا
كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في
كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم
وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل
بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله
الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره
ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه
تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل انتم مسلمون
ثابتون على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا
ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان
لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة
فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد
حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام
ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر

من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره **نوف اليهم**
اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة
الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله ويوف على البناء
للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم
يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم **وهم فيها لا يبخسون**
لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في
الكفرة وبرهم **اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار** مطلقا في مقابلة
ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم
السيئة **وحبط ما صنعوا فيها** لانه لم يبق لها ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم
لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعلق
الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا **وباطل** في نفسه **ما كانوا يعملون**
لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا
على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا
من في زور كلام وبطل على الفعل **افمن كان على بينة من ربه** برهان
من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب
من هذا شانه هولاء المقصرين همهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب
بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان
يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي وقيل
مؤمنوا اهل الكتاب **ويتلوه** ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل
العقل **شاهد منه** شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن
ومن قبله ومن قبل القرآن **كتاب موسى** يعني التورية فانها

ايضا

ايضا يتلوه في التصديق وقيل البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد
جبريل او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه و
الضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة
وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القرآن شاهد ممن
كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل
القرآن التورية **اماما** كتابا مؤتما به في الدين **ورحمة** على المنزل
عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين **اولئك** اشارة الى من كان على
بينة **يؤمنون به** بالقرآن **ومن يكفر به من الاحزاب** من اهل مكة
ومن تحزب معهم على رسول الله **فالنار موعده** يردها لا محالة **فلا تك**
في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك
انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال
فكرهم **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا** كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى
عنه ما انزله **اولئك يعرضون على ربهم** في الموقف بان يحبسوا وتعرض
اعمالهم **ويقول الاشهاد** من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع
شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف **هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا**
لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله
الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه **ويبغونها عوجا** يصفونها
بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة **وهم بالآخرة**
هم كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكرير هم لتاكيد كفرهم
واختصاصهم به **اولئك لم يكونوا معجزين في الارض** اي ما كانوا معجزين
الله في الدنيا ان يعاقبهم **وما كان لهم من دون الله من اولياء** يمنعونهم

من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف
لهم العذاب استئناف وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد
ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا
يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو
بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا
يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين
خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم
ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها وخسروا بما بذلوا وضاع
عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الآخرة
هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي
الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون
مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز
ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع
كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد
فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين
العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح
فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل
يستوي الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون
بضرب الامثال والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم
وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين

ابين

ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من
اني لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير
اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب
لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهارك صائم للمبالغة
فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا
تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا
جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او اراذل جمع ارذل بادي الراي
ظاهر الراي من غير تعمق من البدو او اول الراي من البدء والياء مبدلة من الهمزة
لانكسار ما قبلها وقرا ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف
اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك
او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف
عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا
من فضل تؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين
اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين
قال يا قوم ارأيتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة
بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت
عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة
او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها
للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرا حمزة والكسائي وحفص فعميت اي
اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء
بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع

ضميران وليس لاحدهما مرفوعا وقد تقدم كلا عو منهما جاز في الثاني الفصل والوصل
ويا قوم لا اسئلكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر
مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المامول منه وما انا بطارد
الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقوا ربهم
فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم
ولكني اريكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس
طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله
بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون
لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم
عندي خزائن الله خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب
عطف على عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا
او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الراي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى
الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر
مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم
لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم
في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك
والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الراء
في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية
من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم
وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا
فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت

من

من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما
ياتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب
او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب
والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان
الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال
الرجل لامراته انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق
وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله تعالى
يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من
غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم
وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل
ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء
مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه
لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله
من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك
باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى
عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا
اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فلا تراجعني فيهم
ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق
فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر
عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان
يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون له

صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون
إذا أخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني به إياهم وبالعذاب الغرق ويحل
عليه وينزل أو يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب
مقيم دائم وهو عذاب النار حتى إذا جاء أمرنا غاية لقوله ويصنع
الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه أو حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار
التنور نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه
النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها أو في الهند أو بعين وردة
من أرض الجزيرة وقيل التنور وجه الأرض أو أشرف موضع فيها قلنا احمل
فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين
اثنين ذكراً وأنثى هذا على قراءة حفص والباقون أضافوا على معنى
احمل اثنين من كل زوجين أي من كل صنف ذكر وصنف أنثى وأهلك عطف
على زوجين أو اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم إلا من سبق عليه القول
بأنه من المغرقين يريد ابنه كنعان وأمه واعلة فإنهما كانا كافرين ومن
آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه إلا قليل قيل كانوا تسعة
وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم و
اثنان وسبعون رجلاً وامرأة من غيرهم روي أن نوحاً عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين
من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل
لها ثلاثة بطون فحمل في أسفلها الدواب والوحش وفي أوسطها الإنس وفي أعلاها
الطير وقال اركبوا فيها أي صيروا فيها وجعل ذلك ركوباً لأنها في
الماء كالمركوب في الأرض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا

حال

حال من الواو أي اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها و
إرسائها أو مكانهما على أن المجرى والمرسى للوقت أو للمكان أو للمصدر والمضاف محذوف
كقولك آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالاً ويجوز رفعهما ببسم الله
على أن المراد بهما المصدر أو جملة من مبتدأ وخبر أي إجراؤها بسم الله على أن بسم الله
خبره أو صلة والخبر محذوف وهي إما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها أو حال
مقدرة من الواو أو الهاء وروي أنه كان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت
وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يكون الاسم مقحماً كقوله ثم اسم
السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ
مرساها أيضاً من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل
صفتين لله إن ربي لغفور رحيم أي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته
إياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا أي فركبوا
مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو
ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل
من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت و
المشهور أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعاً فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى
نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الألف على أن الضمير لامرأته و
كان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ إذ الأنبياء عصمت
من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية
سوغ حذف حرف النداء وكان في معزل عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه
مفعل للمكان من عزله عنه إذا أبعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور
كسروا الياء ليدل على ياء الإضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فإنه وقف عليها

في لقمان وفي الموضع الاول في اتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواية عنه في ساير المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما **ولا تكن مع الكافرين** في الدين او الاعتزال **قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء** ان يغرقني **قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم** الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه **وحال بينهما الموج** بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل **فكان من المغرقين** فصار من المهلكين **وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي** نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك **وغيض الماء** نقص **وقضي الامر** وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين **واستوت** واستقرت السفينة **على الجودي** جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة **وقيل بعدا للقوم الظالمين** هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل

العصمة المنع

وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار **ونادى نوح ربه** اراد ندائه بدليل عطف قوله **فقال رب ان ابني من اهلي** فان النداء **وان وعدك الحق** وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه **وانت احكم الحاكمين** لانك اعلم الحكام واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع **قال يا نوح انه ليس من اهلك** لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله **انه عمل غير صالح** فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت ... فانما هي اقبال وادبار

ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح **فلا تسألن ما ليس لك به علم** ما لم تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شأن ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله **اني اعظك ان تكون من الجاهلين** لان الاستثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذلك نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة واثبتها نافع برواية ورش في الوصل **قال رب اني اعوذ بك ان اسألك** فيما يستقبل **ما ليس لي به علم** فالاعلم لي بصحته

كذلك

وإلا تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة
والتفضل علي أكن من الخاسرين أعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام
انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك
وخيرات كما عليك او وزيادات في نسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرئ اهبط
بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير النامي وعلى أمم ممن معك وعلى
امم هم الذين معك والمراد سموا امما لانهم امم متحزبة او لان الامم تتشعب منهم او على
امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وأمم سنمتعهم
اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب أليم
والمراد بهم الكفار من ذريتهم وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب
والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء
وخبرها من أنباء الغيب اي بعضها نوحيها إليك خبر ثان
والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق
به او حال من الهاء ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر
اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في
نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على
انه لم يتعلمها اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف
بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح
إن العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز للمتقين
عن الشرك والمعاصي وإلى عاد أخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه
وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من إله
غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده إن أنتم إلا مفترون على الله

باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن
أجري إلا على الذي فطرني خاطب به كل رسول قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا
للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع أفلا تعقلون افلا تستعملون
عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ ويا قوم استغفروا
ربكم ثم توبوا إليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة
وايضا التبرؤ عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل
السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة إلى قوتكم ويضاعف
قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات
وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم هود
على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا
ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا
هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم
وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي
عبادتهم عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين
اقناط له من الاجابة والتصديق إن نقول إلا اعتراك ما نقول الا قولنا
اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء
بجنون لسبك اياها او صدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة
مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال إني أشهد الله واشهدوا
أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا اجاب به عن
مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه من اضرارهم
تأكيدا لذلك وتثبيتا له فامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجمعوا

صادرين عن قولك

ثم لا تنظرون

على الكيد في إهلاكي من غير إنظار حتى إذا اجتهدوا فيه ورأوا أنهم عجزوا عن آخرهم وهم كالأقوياء الأشداء أن يضروه لم يبق لهم شبهة أن آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع ولا تتمكن من إضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فإن مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش إلى إراقة دمه بهذا الكلام لا يكون إلا لثقته بالله وتثبيطهم عن إضراره ليس إلا لعصمته إياه ولذلك عقبه بقوله **إني توكلت على الله ربي وربكم** تقرير له والمعنى أنكم وإن بذلتم غايتكم وسعكم لم تضروني فإني متوكل على الله واثق بكلائته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله **ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها** أي إلا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والأخذ بالنواصي تمثيل لذلك **إن ربي على صراط مستقيم** أي إنه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم **فإن تولوا** فإن تتولوا **فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم** فقد أديت ما علي من الإبلاغ وإلزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم **ويستخلف ربي قوما غيركم** استئناف بالوعيد لهم بأن الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم وأموالهم أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكأنه قيل وإن تتولوا يعذبكم ويستخلف **ولا تضرونه** بتوليكم **شيئا** من الضرر ومن جزم يستخلف أسقط النون منه **إن ربي على كل شيء حفيظ** رقيب فلا يخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم أو حافظ مستول عليه فلا يمكن أن يضره شيء **ولما جاء أمرنا** عذابنا أو أمرنا بالعذاب **نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا** وكانوا أربعة آلاف

و

ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم منه وهو السموم كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطع أعضاءهم أو المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضا والتعريض بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ **وتلك عاد** أنث اسم الإشارة باعتبار القبيلة أو لأن الإشارة إلى قبورهم وآثارهم **جحدوا بآيات ربهم** كفروا بها **وعصوا رسله** لأنهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل لأنهم أمروا بطاعة كل رسول **واتبعوا أمر كل جبار عنيد** يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا إذا طغى والمعنى واتبعوا من دعاهم إلى الكفر وما يرديهم **وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة** أي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب **ألا إن عادا كفروا ربهم** جحدوه أو كفروا نعمه أو كفروا به فحذف الجار **ألا بعدا لعاد** دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على أنهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وإنما كرر ألا وأعاد ذكرهم تفظيعا لأمرهم وحثا على الاعتبار بحالهم **قوم هود** عطف بيان لعاد فائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد إرم والإيماء إلى أن استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود **وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض** هو كونكم منها لا غيره فإنه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب **واستعمركم فيها** عمركم فيها واستبقاكم من العمر أو أقدركم على عمارتها أو أمركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى أعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم **فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب** قرب الرحمة **مجيب** لداعيه

قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية وإننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من اراب او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تأكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له أفي بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ

اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة وقرأ نافع والكسائي ههنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسيره في سورة الاعراف كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم وقرأ حفص وحمزة ان ثمود ههنا وفي الفرقان والعنكبوت بفتح الدال من غير تنوين ونونه الكسائي بخفض الدال في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او للاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والجار في ان مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم وأوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا نأكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد

يغنوا فيها

رأيها فإنها كانت تقول لإبرهيم اضمم إليك لوطا فإني أعلم أن العذاب ينزل
بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ولم
تعد حقاها ثدييها أن تحلبا ومنه ضحكت السمرة إذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء
فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص
بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء إسحق يعقوب
وقيل إنه معطوف على موضع بإسحق أو على لفظ إسحق وفتحته للجر فإنه غير مصروف
ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على أنه مبتدأ
خبره الظرف أي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به
لأنه بعد الولد وعلى هذا تكون إضافته إلى إسحق ليس من حيث إن يعقوب وراءه
بل من حيث إنه وراء إبرهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة
كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد أن ولدا فسميا به وتوجيه البشارة إليها
للدلالة على أن الولد المبشر به يكون منها ولأنها كانت عقيمة حريصة على الولد
قالت يا ويلتا يا عجبا وأصله في الشر فأطلق في كل أمر فظيع وقرئ بالياء
على الأصل أألد وأنا عجوز ابنة تسعين أو تسع وتسعين وهذا بعلي
زوجي وأصله القائم بالأمر شيخا ابن مائة أو مائة وعشرين ونصبه على الحال
والعامل فيها معنى اسم الإشارة وقرئ بالرفع على أنه خبر محذوف أي هو شيخ أو خبر
بعد خبر أو هو الخبر وبعلي بدل إن هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين
وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا أتعجبين من أمر الله
رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت منكرين عليها فإن خوارق العادات
باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع
ولا حقيق بأن يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات

وأهل البيت نصب على المدح أو النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا أيتها
العصابة إنه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والإحسان
فلما ذهب عن إبرهيم الروع ما أوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته
البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم و
مجادلته إياهم قوله إن فيها لوطا وهو إما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية
الحال أو لأنه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو أو دليل جواب المحذوف
مثل اجترأ على خطابنا أو شرع في جدالنا أو متعلق به أقيم مقامه مثل أخذ
أو أقبل يجادلنا إن إبرهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء إليه أواه
كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع إلى الله والمقصود
من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا إبرهيم على إرادة
القول أي قالت الملائكة يا إبرهيم أعرض عن هذا الجدال إنه قد جاء أمر ربك قدره بمقتضى قضائه الأزلي بعذابهم وهو أعلم بحالهم
وإنهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لأنهم جاؤوا في صورة غلمان فظن أنهم
أناس فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر
والكسائي سيء وسيئت بإشمام السين الضم وفي العنكبوت والملك والباقون بإخلاص كسر
السين وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن
شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب
شديد من عصبه إذا شده وجاءه قومه يهرعون إليه يسرعون إليه كأنهم
يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت
كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا
يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن أضيافه كرما

صح

سيئ وصم

وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبونهم لخبثهم
وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي
خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار لشدة امتعاضه من ذلك
كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية
وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف
فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر
بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو فانه لا يقع بين الحال
وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون
ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في
شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي
الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة
وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة
لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن شديد الى قوي اتمنع به
عليكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وآله رحم الله اخي لوطا
كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان
لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم وروي انه اغلق بابه
دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة
ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا
الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب
جبرئيل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجا النجا فان
في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع

بالوصل

بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت
منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى
للوط الا امراتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر
باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه
ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع
على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او
اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها
لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين
من قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراءة
على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا
ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل
الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه العذاب فلما
جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه
بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها
اي الملائكة المامورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه
روي ان جبرئيل عم ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل
السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن
او شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله
سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله وادر عطيته
والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما
كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا

علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه صح

مَنْضُودٍ نضد معدا لعذابهم ونضد في الارسال بتتابع بعضه بعضا
كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مُسَوَّمَةً معلمة
للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم
من يرمى به عِنْدَ رَبِّكَ في خزائنه وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر
عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلم انه سأل جبريل فقال يعني ظالمي
امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل
الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام
وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا
اراد اولاد مدين بن ابرهيم عليه السلم او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه
قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ
امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل
المخل لحكمة التعاوض إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ بسعة تغنيكم عن البخس او
بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم
او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة للنهي وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك
من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال و
توصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه وَيَا قَوْمِ
أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ صرح بالامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة
وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء
ولو بزيادة لا يتأتى دونها بِالْقِسْطِ بالعدل والتسوية من غير زيادة
ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به فانه قد يكون

محظورا

محظورا وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون
في المقدار او في غيره وكذا قوله وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فان العثو
يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور
في المعاملات والعثي السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد
به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلم وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين
امر دينكم ومصالح اخرتكم بَقِيَّتُ اللَّهِ ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما
حرم عليكم خَيْرٌ لَكُمْ مما تجمعون بالتطفيف إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بشرط
ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان
او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات
وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ
احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ
وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء
صنيعكم قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا
من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته
والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس
من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ
حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك تأمرك بتكليف ان نترك
فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ
عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان
العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان
ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ

تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده
بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك **قال يا قوم أرأيتم
إن كنت على بينة من ربي** اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة
ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما آتاه من المال الحلال وجواب
الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية
والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه
من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته
بلا كد مني في تحصيله **وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه** اي وما اريد ان
آتي ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا ان
انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه
اذا كان الامر بالعكس **ان اريد الا الاصلاح ما استطعت** ما اريد الا ان
اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت
الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلثة على هذا النسق شأن
وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلثة
اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي
ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف
وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته
فحذف المضاف **وما توفيقي الا بالله** لاصابة الحق والصواب الا بهدايته
ومعونته **عليه توكلت** فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز
في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد
الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ **واليه انيب** اشارة الى معرفة المعاد

[هامش: وما توفيقي]

وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة
الحق فيما يأتيه ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره
وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بعداوتهم وتهديدهم
بالرجوع الى الله للجزاء **ويا قوم لا يجرمنكم** لا يكسبنكم **شقاقي** معاداتي
ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق **او قوم هود** من الريح
او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه يعدى الى
واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي الى
مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح
لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون
ذات اوقال **وما قوم لوط منكم ببعيد** زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن
قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم
وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله
بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق **واستغفروا
ربكم ثم توبوا اليه** عما انتم عليه **ان ربي رحيم** للتائبين **ودود**
فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة
بعد الوعيد على الاصرار **قالوا يا شعيب ما نفقه** ما نفهم **كثيرا مما تقول**
كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم
تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة
نفرتهم عنه **وانا لنراك فينا ضعيفا** لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا
بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده
التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة

[هامش: كالصهيل]
[هامش: عظيم الرحمة]

والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغيرات النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا فانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط

فانه

فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتورية او المعجزات وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص ما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحققه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية

الجثوم السقوط على الارض وقيل القعود على الركبة مجمع

كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد
او تفسير له على ان المراد بالرشد ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا
في هذه في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا والآخرة
بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد
ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة
في الدارين ذلك اي ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه
عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم
وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل
حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا
اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها للهلاك بارتكاب ما يوجبه فما اغنت
عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من
دون الله من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم
غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك
وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى
اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى
وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفايدتها الاشعار
بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان
اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد و
التحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله تعالى
من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عظته
لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الآخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه

بانه

بانه من آثار مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا
العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام
لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الآخرة دل عليه يوم
مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم
وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم
الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود
اي مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به
كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا
في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان ساير الايام كذلك وما نؤخره
اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف
المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم
يأت اي الجزاء او اليوم لقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين
او الله عز وجل لقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة يات بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس
لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه
باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا
يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر او المأذون فيه هي الجوابات الحقة
والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد
وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر
لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا

ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما
في اول النهيق واخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم
بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير
وقرى شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم
في النار بدوامها فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع دوامها
بل التعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل
ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من
دوامهما دوامه الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت
ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الاخرة وارضها ويدل
عليها قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الاخرة لا بد لهم
من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه
ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا
ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق
الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل
يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة
ايام عذابهم فان التابيد من مبدا معين ينتقض باعتبار الابتدا كما ينتقض
باعتبار الانتهاء وهولاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال
فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة
كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع
وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن
السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان

اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل
الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله
ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره
يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ
ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء
من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى
سوى كقولك علي الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من
الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال
لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع
وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب
ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التابيد وقرا حمزة والكسائي
وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على
المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعد
ما انزل عليك من مال الناس مما يعبد هولاء من عبادة هولاء المشركين
في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم
او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم
من قبل استيناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم واباؤهم سواء في
الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة ابائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما
عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في
الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة

قبل عليه ﴿وإنا لموفوهم نصيبهم﴾ حظهم من العذاب كآبائهم أو من الرزق
فيكون عذراً لتأخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه ﴿غير منقوص﴾ حال من النصيب
لتقييد التوفية فإنك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازاً ﴿ولقد
آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف
هؤلاء في القرآن ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة
﴿لقضي بينهم﴾ بإنزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق ﴿وإنهم﴾ وإن كفار
قومك ﴿لفي شك منه﴾ من القرآن ﴿مريب﴾ موقع للريبة ﴿وإن كلا﴾
وإن كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف إليه وقرأ
ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الإعمال اعتباراً للأصل ﴿لما ليوفينهم
ربك أعمالهم﴾ اللام الأولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس
وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لمّا بالتشديد على أن أصله
لمن ما فقلبت النون ميماً للإدغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت أولاهن و
المعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء أعمالهم وقرئ لمّاً بالتنوين أي جميعاً كقوله
أكلاً لمّاً وإن كل لمّا على أن إن نافية ولما بمعنى إلا وقد قرئ به ﴿إنه بما يعملون
خبير﴾ فلا يفوته شيء منه وإن خفي ﴿فاستقم كما أمرت﴾ لما بيّن
أمر المختلفين في التوحيد والنبوة وأطنب في شرح الوعد والوعيد أمر رسوله
صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما أمر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط
بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصوناً من الطرفين والأعمال من تبليغ
الوحي وبيان الشرائع كما أنزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط و
إفراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتني
سورة هود ﴿ومن تاب معك﴾ أي من تاب من الشرك والكفر وآمن معك

وقرأ أبي وإن كل لما ليوفينهم على أن إن نافية
ولما بمعنى إلا وقراءة عبد الله بن مسعود وإن
إن كل إلا ليوفينهم وقراءة الزهري وإن كلا
لما ليوفينهم بالتنوين كقوله أكلاً لماً وإن كلا
على أن يعني مجموعين كأنه قيل وإن كلا
جميعاً كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعين

وهو عطف على المستكن في استقم وإن لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه
﴿ولا تطغوا﴾ ولا تخرجوا عما حد لكم ﴿إنه بما تعملون بصير﴾ فهو مجازيكم عليه
وهو في معنى التعليل للأمر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير
تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ فلا
تميلوا إليهم أدنى ميل فإن الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم
واستدامته ﴿فتمسكم النار﴾ بركونكم إليهم وإذا كان الركون إلى من وجد
منه ما يسمى ظلماً كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين أي الموسومين بالظلم ثم بالميل
إليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية أبلغ ما يتصور في النهي عن
الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على
الاستقامة التي هي العدل فإن الزوال عنها بالميل إلى أحد طرفي إفراط وتفريط
فإنه ظلم على نفسه أو غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم النار بكسر التاء
على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من أركنه ﴿وما لكم من دون الله
من أولياء﴾ من أنصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ﴿ثم لا تنصرون﴾
أي ثم لا ينصركم الله إذ سبق في حكمه أن يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره
إياهم وقد أوعدهم بالعذاب عليه وأوجبه لهم ويجوز أن يكون منزلاً منزلة الفاء
لمعنى الاستبعاد فإنه لما بين أن الله معذبهم وأن غيره لا يقدر على نصرهم
أنتج ذلك أنهم لا ينصرون أصلاً ﴿أقم الصلاة طرفي النهار﴾ غدوة وعشية
وانتصابه على الظرف لإضافته إليه ﴿وزلفاً من الليل﴾ وساعات منه قريبة
من النهار فإنه من أزلفه إذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لأنها
أقرب الصلوات من أول النهار وصلاة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لأن ما بعد
الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفاً بضمتين وضمة وسكون

كبر وكبر وقرب وقرب وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة إن الحسنات يذهبن السيئات
يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر وفي سبب
النزول ان رجلا اتى النبي صلعم فقال اني قد اصبت من امراة غير اني لم آتها فنزلت
ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين
عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فإن الله لا يضيع
أجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة
والصبر احسان وايماء بان لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان
من القرون من قبلكم أولو بقية من الرأي والعقل او اولو فضل وانما
سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من
خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة
لها من العقاب ويؤيده انه قرئ بقية من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون
عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم
لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض
واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا
بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كأنه
اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم
للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام
اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض و
قرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به
المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم
بشرك وأهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا

واتبع الذين ظلموا

وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق
حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل
الناس أمة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة
وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين
بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا إلا من
رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين
الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى
الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت
كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لأملأن جهنم من الجنة والناس
اي من عصاتهما أجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبأ
نقص عليك من أنباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا
او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة
قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب
على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من
انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق
ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة و
قل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم إنا عاملون
على حالنا وانتظروا بنا الدوائر إنا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل
على امثالكم ولله غيب السموات والأرض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما
وإليه يرجع الأمر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه فاعبده وتوكل
عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد

وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء

سورة يوسف مكية مائة واحدى عشرة آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ

اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ اي الكتاب قُرْآنًا عَرَبِيًّا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروءا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بِمَا أَوْحَيْنَا بايحائنا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان

المخففة

المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة إِذْ قَالَ يُوسُفُ بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لِأَبِيهِ يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام وعنه صلى الله عليه وسلم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يَا أَبَتِ اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب إِنِّي رَأَيْتُ من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تأويل رؤياي أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ روي عن جابر ان يهوديا جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قَالَ يَا بُنَيَّ تصغير

ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة لا تقصص
رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم
يعقوب عم من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف
عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما
بحرفي التانيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق
المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت
لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فيتصور بما
فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة
تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة
المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت
الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه
لتضمنه معنى فعل يعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلله بقوله
ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل
بادم وحوا فلا يألو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد
وكذلك اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف
وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام
والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ
خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير
الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان
ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء
وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك

بالنبوه

بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر
بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك
بالرسالة وقيل على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح
وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابرهيم
واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم
يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات
دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك للسائلين لمن سأل عن قصتهم
والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي
وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت
تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع
محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين
زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة
لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان
افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه
فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء
احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا
سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله
المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من
المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم
يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف
من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا

وتحويلها اياها قاله شمعون وقيل دان ورضي به الاخرون او اطرحوه ارضا
منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة
يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته
عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف
على يخل او نصب باضمار ان من بعده بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله
او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح
ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو
وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل
لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابت الجب في قعره
سمي بها لغيبوبته عن اعين الناظرين وقرا نافع غيابات في الموضعين على الجمع كانه لتلك
الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه ياخذه بعض
السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين بمشاورتي
او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا
تامنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق
عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رايه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم
والمشهور تامنا بالادغام باشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ
ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا
الى الصحراء نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ونلعب
بالاستباق والانتضال وقرا ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع
بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرا الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد
الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع

على الابتداء وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به
لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان ياكله الذئب لان الارض كانت
مذابة وقيل راى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزه
على الاصل ابن كثير ونافع في رواية قالون وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة
درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه
غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله
الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء
مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا
به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر
بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام
يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم
لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل
يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر
فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم
ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا
ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه
وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه
جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل
كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي
القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام
بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب

البذر

الكوفيين نقول الواو ... جميع النحويين ونقديره واجمعوا ... العربون اقحام الواو وقالوا ... لم يثبت ذلك ...

صبي مراهق
مدان للتحلم
مغرب

التميمة التعويذ

فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبرئيل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم
هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك
وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى
ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول
اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا
اى آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاءوا اباهم عشاء آخر
النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى
اى عشوا من البكاء يبكون متباكين روى انهم لما سمع بكاءهم فزع
وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق
في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا
بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف
وجاءوا على قميصه بدم كذب اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز
ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى جاءوا
كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اى كدر او طرى وقيل اصله البياض الخارج
على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع
النصب على الظرف اى فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها
على المجرور روى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال قميصه واخذه و
القاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذئبا
احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت
لكم انفسكم امرا اى سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول

التسويل تحسين النفس لما تحرص عليه وتصوير القبيح منه بصورة الحسن طيبر

وهو الاسترخاء فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل
وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان على
ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل
استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا
من الجب وكان ذلك بعد ثلث من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء و
يستقى لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملاها
فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه
او لقومه كانه قال تعال فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه
وقرأ غير الكوفيين يا بشراى بالاضافة وقرئ يا بشرى بالادغام وهو لغة وبشراى
بالسكون على قصد الوقف واسروه اى الوارد واصحابه من سائر الرفقة
وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير
لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم
يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه
وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة
واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون
لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه
وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه
او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ
الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا
فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في كانوا ان كان للاخوة
فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء

مقتها او يرجع بما نقص من اثمانه مستعجلين في بيعه وان كانوا مستبعدين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حيوته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملاه فضة وقيل ذهبا لامراته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها ويعبر المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شي ولا ينازعه فيما

او على

او على امر يوسف اراد به اخوته يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شي ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الاغلاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيات والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرا ابن كثير بالضم تشبيها بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهي لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيا وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشي قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشي امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه

في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل
وهمّ بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب
محذوف يدل عليه وقيل رأى جبرئيل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله
وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء
كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء
خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله
لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن اي الذين
اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن
الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه
الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه و
القد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها
لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب
ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها وتغيره على يوسف واغرائه به انتقاما منه
وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني
عن نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب
ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل
ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلعم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون
وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان
اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت و
هو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او
انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر

المواتاة حسن المطاوعة والموافقة

فكذبت

فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه
فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها
شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان و
نحوه ونظيره قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه
ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحسان سابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم
لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا
الصرف وبسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه اي ان قولك
ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن
من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد
النساء الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال و
الشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه و
تفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك
يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب
متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا
الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة
ظرف لقال اي اشاعوا الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب
والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امرأت العزيز تراود فتاها
عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى
فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها
وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ
شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في

تصرف عني كيدهن وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي
بالتثبيت على العصمة اصب اليهن اميل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى
شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل
اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء
بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون
فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله
والا تصرف عني فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة
السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين
اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات
ثم ظهر للعزيز من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي
وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره
ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا
حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ
بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة
هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق انه
ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه
قال احدهما يعني الشرابي اني اراني اي ارى في المنام وهي حكاية حال
ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز
اني اراني احمل فوق راسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا
بتأويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين
وانما قالا ذلك لانهما راياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين

الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام
ترزقانه الا نبأتكما بتأويله اي بتأويل ما قصصتما علي او بتأويل الطعام
يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد و
يرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين
منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب
ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما اي قبل ذلك التأويل
ذلكما مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني
تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي
علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب
او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع
اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير
الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا
معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد
من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا
لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون
هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب
الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها
كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما
اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار أأرباب متفرقون شتى
متعددة متفاوتة وترك الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار
الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما

وطن بلاد ينهام اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله
بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على
تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم
يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل الهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما
تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات
من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه الا
تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون
المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان
التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما تسمونها آلهة و
تعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين
منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره
ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم
يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان
يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد الخباز فيصلب
فتأكل الطير من رأسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما
وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي
ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن
وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر
حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي
ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه

او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله صلعم رحم الله اخي يوسف
لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في
كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في
السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع
وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف
لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل
السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات
وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما
استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز
لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف
فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه
يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون
ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية
التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من
عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله
ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام
كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي
هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات
وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان
كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتأويل الاحلام
بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تأويل عندنا

وانما اتى ببيان الساة الصادقة فهو كان مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بها وبلم **وقال الذي نجا منهما** من صاحبي السجن وهو الشرابي **وادكر بعد امة** وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وقرئ النعمة اي بعدما انعم عليه بالنجاة وأمه اي نسيان يقال أمه يأمه أمها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول **انا انبئكم بتأويله فارسلون** اي الى من عنده علمه او الى السجن **يوسف ايها الصديق** اي فارسل الى يوسف فجاءه وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه **افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر** **وأخر يابسات** اي في رؤيا ذلك **لعلي ارجع الى الناس** اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه **لعلهم يعلمون** تأويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم **قال تزرعون سبع سنين دأبا** اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله **فما حصدتم فذروه في سنبله** لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة **الا قليلا مما تأكلون** في تلك السنين **ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن** اي يأكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به **الا قليلا مما تحصنون** تحرزون لبذور الزراعة **ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس** يمطرون

من

من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث **وفيه يعصرون** ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعدما ضيق عليهم **وقال الملك ائتوني به** بعدما جاءه الرسول بالتعبير **فلما جاءه الرسول** ليخرجه **قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن** انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلعم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون **ان ربي بكيدهن عليم** حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن **قال ما خطبكن** قال الملك لهن ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه **اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله** تنزيه له وتعجب من قدرته

قال

على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن
حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ
فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر من حص شعره
اذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم
قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز
اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي
لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار
والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده
او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل
في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي
اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما
انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما قال ليعلم
اني لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة
بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى
والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي
او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن
رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى
نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام
ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من شاء بالعصمة
او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه

وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه
اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك اليوم لدينا
مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من
السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك
من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا
اللسان قال لسان ابائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها
فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل
واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه الامر وقيل توفي قطفير في تلك
الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد منها افرائيم
وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض ارض مصر
اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام
لما رأى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على
جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا
سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك
اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها
حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب
برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي
اجورهم عاجلا وآجلا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك
والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره
الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة
وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباعهم اولا بالدراهم والدنانير

حتى لم يبق شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم
حتى استرقهم جميعا ثم عرض الأمر على الملك فقال الرأي رأيك فأعتقهم ورد عليهم
أموالهم وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب بنيه
غير بنيامين إليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون أي عرفهم
يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم إياه في سن الحداثة ونسيانهم
إياه وتوهمهم أنه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه
وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم أصلحهم
بعدتهم وأوقر ركائبهم بما جاؤوا له والجهاز ما يعد من الأمتعة للنقلة
كعدد السفر وما يحمل من بلدة إلى أخرى وما تزف به المرأة إلى زوجها وقرئ
بجهازهم بالكسر قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم روي أنهم لما دخلوا
عليه قال من أنتم وما أمركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو أب واحد وهو شيخ صديق
نبي من الأنبياء واسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أحدنا إلى البرية
فهلك قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الحادي عشر قالوا عند أبينا
يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا
بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا فأصابت
شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوه حملا زائدا لأخ
لهم من أبيهم فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم ألا ترون
أني أوفي الكيل أتمه وأنا خير المنزلين للضيف والمضيفين
لهم وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي
ولا تقربون أي ولا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو إما نهي أو نفي معطوف
على الجزاء قالوا سنراود عنه أباه سنجتهد في طلبه من أبيه وإنا لفاعلون

ذلك

ذلك لا أتوانى فيه وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي
وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم
فإنه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت
نعالا وأدما وإنما فعل ذلك توسعا عليهم وترفعا من أن يأخذ ثمن الطعام
منهم وخوفا من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها
لعلهم يعرفون حق ردها أو لكي يعرفوها إذا انقلبوا إلى أهلهم وفتحوا
أوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع
فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا
إن لم نذهب ببنيامين فأرسل معنا أخانا نكتل نرفع المانع من الكيل
ونكتل ما نحتاج إليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على إسناده إلى الأخ أي يكتل
لنفسه فينضم اكتياله إلى اكتيالنا وإنا له لحافظون من أن يناله مكروه
قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل وقد قلتم في يوسف
وإنا له لحافظون فالله خير حافظا فأتوكل عليه وأفوض أمري إليه
وهو أرحم الراحمين فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين و
انتصاب حفظا على التمييز وحافظا قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال
كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا
متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم وقرئ ردت إليهم بنقل كسرة
الدال المدغمة إلى الراء نقلها في قيل وبيع قالوا يا أبانا ما نبغي ماذا
نطلب هل من مزيد على ذلك أكرمنا وأحسن مثوانا وباع منا ورد علينا
متاعنا أو لا نطلب وراء ذلك إحسانا أو لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا
لك من إحسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب أي أي شيء تطلب وراء هذا من الإحسان

وهو الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف موضح لقوله
ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير
اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا
ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما
استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة
على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير
اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه
بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة
الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل
انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد
قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا
من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا موكدا بذكر الله
لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان
يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا
وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال الا
حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تاويل النفي اي
لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي
ما اطلب الا فعلك فلما اتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول
من طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة
مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة

واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين
حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي
يدل عليه قوله صلعم في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات من كل لامة
وعين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما اشرت به
اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم ان قضى عليكم
سوءا ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين
الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف
والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا
من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم
راي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال
يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت
المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي
ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحزازته من ان يعانوا قضاها اظهرها
ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما
اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر
وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين
على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا
فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال
لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب
ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب
ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس

اخاه

بما كانوا يعملون فرحنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبئة السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او لانكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه الصلوة والسلم يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فُعْل كسُقْف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تُفقِدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد

في رحله

او انكم

في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابرهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطى

فقيل انهم اقبلوا على ابن يامين وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا متى اخذت هذا الصاع فقال وضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم

السائل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير
للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير يفسرها
قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم
شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها
باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان
والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها
العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له
عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك
مستأنس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين
بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا
متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا
لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن ان آخذ من وجدنا
الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا
منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة خلصوا
انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته
كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو
روبيل او في الراي وهو شمعون وقيل يهودا الم تعلموا ان اباكم
قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا
منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته ومن قبل ما فرطتم في يوسف
قصرتم في شأنه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف
على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او

على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر
لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان يكون موصولا اي
ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض
فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الرجوع اليه او يحكم الله لي
او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم
كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع
منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى
جنبه فمسه وكان هو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه سكن غضبه فقال روبيل
من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون
الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدنا من
ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا
بان راينا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين
فلا ندري انه سرق او سرق ودس الصاع في رحله او ما كنا للعواقب عالمين فلم
ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف
واسئل القرية التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي
فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها
واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تأكيد في محل
القسم قال بل سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم
اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه
فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل
اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف

لبذرا من بذر يعقوب

القرية الارض الجامعة لمساكن كثيرة ونظيره البلد والمدينة صح

وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم
في تدبيرها فتولى عنهم فاعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى
على يوسف اي يا اسفى تعالي فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة
والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما
لان رزءه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان
واثقا بحيوتهما دون حيوته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون
عند المصيبة الا امة محمد صلعم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع و
قال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة
محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز
التاسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل
من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلعم على ولده ابرهيم وقال
القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون
فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل
بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى
فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا
ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره
تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس
بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون
حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض
وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف
وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما

انما اشكوا

اشكوا بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر
الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله
من لطفه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه ما لا تعلمون او من الله
بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فساله
عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى تخر له اخوته سجدا
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما
والتحسس طلب الاحساس ولا تايئسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرجه
وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيى بها العباد انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط
من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعدما رجعوا
الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا
ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته
ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر
وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتم
لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او
بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص
بنبينا عليه وعليهم السلم ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق
التفضل مطلقا ومنه قوله صلعم في القصر هذه صدقة تصدق الله عليكم
فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله قال هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه
افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم

جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه المعاقبة وانما قال ذلك تنصحا لهم و
تحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا
وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على
فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم فعل الجهال او
لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا أإنك لأنت يوسف استفهام
تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأه ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه
بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج
عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب
مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه
وادخالا له تفخيما لشانه في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة
انه من يتق اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات
وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير
للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك
الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين
والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم
لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش للازالة كالتجليد
فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق
بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته
فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جرمهم حينئذ
واعترفوا بها وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر
ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك

تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان
اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي و
اني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل
القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا
يرجع بصيرا اي ذا بصر وأتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم و
ذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال
ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق
بقميصه من ريحه حين اقبل به يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون
تنسبون الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة
لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت
انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم
لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف والاكثار ذكره والتوقع للقائه
فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه
فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب
او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم
اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف و
انزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني
لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق
المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم
ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة

الطيش سبك بودن
بيضاوي

التفنيد تضعيف الرأي
وقيل بعض الفضلاء من جمع

تحرياً للوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو
المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائماً يدعو وقام
يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبرئيل وقال ان الله
قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل
على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم **فلما دخلوا على يوسف**
روي انه وجه اليه رواحل واموالاً ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك
باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلاً وامرأة
وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلاً سوى
الذرية والهرمى **آوى اليه ابويه** ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما
نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله آبائك ابرهيم واسمعيل
او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اماً **وقال ادخلوا مصر
ان شاء الله آمنين** من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول
المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم **ورفع
ابويه على العرش وخروا له سجداً** تحية وتكرمة له فان السجود كان
عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجداً لله شكراً وقيل الضمير لله
والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظاً للاهتمام بتعظيمه
لهما **وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل** التي رأيتها ايام الصبى **قد جعلها
ربي حقاً** صدقاً **وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن** ولم يذكر الجب
لئلا يكون تثريباً عليهم **وجاء بكم من البدو** من البادية لانهم كانوا اصحاب
المواشي واهل البدو **من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي** افسد بيننا
وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري **ان ربي**

معلم الدابة فانه امر الدابة بالرياضة

لطيف

لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وينفذ فيه مشيئته ويتسهل
دونها **انه هو العليم** بوجوه المصالح والتدابير **الحكيم** الذي يفعل
كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف عليه السلام طاف بابيه في خزائنه
فلما ادخله خزينة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما
كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبرئيل عليه السلام قال اوما تسأله قال انت
ابسط مني اليه فسأله قال جبرئيل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان يأكله
الذئب قال فهلا خفتني **رب قد آتيتني من الملك** بعض الملك وهو ملك مصر
وعلمتني من تأويل الاحاديث الكتب او الرؤيا ومن ايضاً للتبعيض لانه لم
يؤت كل التأويل **فاطر السموات والارض** مبدعهما وانتصابه على
انه صفة المنادى او منادى برأسه **انت وليي** ناصري او متولي
امري **في الدنيا والآخرة** او الذي يتولاني بالنعم فيهما **توفني
مسلماً** اقبضني **والحقني بالصالحين** من آبائي او بعامة الصالحين
في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعاً وعشرين سنة ثم توفي
واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة وعاد وعاش
بعده ثلثاً وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه
الله طيباً طاهراً فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه
في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا
شرعاً فيه ثم نقله موسى الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد
ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب
ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو
مبتدأ **من انباء الغيب نوحيه اليك** خبران له **وما كنت لديهم اذ**

الرابة زوجة الاب

تحرش الدابة حرز ... او حثها ... قاموس

ما اعقك

التوق الشوق

اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة لقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او القرآن من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكأين من آية وكم من آية والمعنى وكأي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك

فسر السبيل بقوله ادعوا الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تأكيد للمستتر في ادعوا او على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء نوحي اليهم كما اوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرا حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل من النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة

حدا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرا غير الكوفيين
بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف
وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم
ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنون وانما
لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان ينجيهم لا يشاركهم فيه غيرهم
وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد
باسنا عن القوم المجرمين اذا انزل بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان
في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة
لاولي الالباب لذوي العقول المبراة عن شوائب الالف والركون الى
الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القران حديثا مفترى ولكن
تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج
اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القران بوسط او بغير وسط وهدى
من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله
وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الاية وهي خمس
واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم المر

قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة
وتلك اشارة الى اياتها اي تلك الايات ايات السورة الكاملة او القران والذي
انزل اليك من ربك هو القران كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام
على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق

والجملة

والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو
اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي
رفع السموات مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر
بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد
كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك
وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية
لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم
ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر
من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس
والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث
الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره
او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت
يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك
يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد
لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا
ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي
مد الارض بسطها طولا وعرضا ليثبت عليها الاقدام ويتقلب فيها الحيوان
وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية
والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال
وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات

او صفة رواسي جبال جمع الكثرة

متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات
صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي
الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائي
وابو بكر يغشّي بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها
وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبّر امرها وهيّا اسبابها
وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها
رخوة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر
موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة
الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث
انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب
وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع
لانه مصدر في اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل
بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان
ومتفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم وهو لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو
يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا
ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد
الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب
يسقى بالتذكير على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في
ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب
يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر
على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي

دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع
تصرفاته أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له
والعامل في اذا محذوف دل عليه أإنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا
بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم
مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود
بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك
انهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم
المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا
حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة
لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص من امثلت الرجل من صاحبه
اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين
والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله
النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة
فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب
الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب
للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما
اوتي موسى وعيسى انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل و

انقلاب العصا حية واحياء الموتى

ما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك **ولكل قوم هاد** نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الايات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال **الله يعلم ما تحمل كل انثى** اي حملها او ما تحمله انه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة **وما تغيض الارحام وما تزداد** وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهايته ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امراته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ان تكون ما مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيها **وكل شيء عنده بمقدار** بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيا له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك وقرا ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف بالياء في هذه الاربعة الاحرف حيث وقعت بالياء والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء **عالم الغيب** الغائب عن الحس **والشهادة** الحاضر له **الكبير** العظيم الشان **المتعال** المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه **سواء منكم من**

اسر

اسر القول في نفسه **ومن جهر به** لغيره **ومن هو مستخف بالليل** طالب للخفاء في مختبا بالليل **وسارب بالنهار** بارز يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله **له** لمن اسر او جهر او استخفى او سرب **معقبات** ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين **من بين يديه ومن خلفه** من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر **يحفظونه من امر الله** من باسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله **ان الله لا يغير ما بقوم** من العافية والنعمة **حتى يغيروا ما بانفسهم** من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة **واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له** فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب **وما لهم من دونه من وال** ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال **هو الذي يريكم البرق خوفا** من اذاه **وطمعا** في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التاويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوي او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه

وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانيته وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما سئل النبي صلعم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله صلعم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلعم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول صلعم فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة المكايدة لاعدائه من محل فلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة

المجابة

المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلعم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعوة الرسول صلعم وبيان ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعونهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته ولا الاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه وقرئ بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤوا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر

والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل
قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب
عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب
به قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد
عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون
ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير
ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء
رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل
بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم
والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك
والتوحيد وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل
اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة
في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا
لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق
الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون
على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء
لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها
ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد اي المتوحد بالالوهية
القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب
السماء او من السماء نفسها فان المبادي منها فسالت اودية انهار
جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري

فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم
الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه
والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم
الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه
ابتغاء حلية طلب حلي او متاع كالاواني والات الحرب والحرث والمقصود
من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء
وهو خبثه ومن للابتداء او التبعيض وقرا حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير
للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق
والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية
على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت
بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والابار وبالفلز
الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة
والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب
جفاء يجفا به اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ
جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث
في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح
المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى
الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب
على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر
الحسنى وهي الجنة او المثوبة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو ان لهم ما في
الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدا

لبيان مآل غير المستجيبين أولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بأن يحاسب
الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد
المستقر والمخصوص بالذم محذوف أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق
فيستجيب كمن هو أعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة للإنكار
أن تقع شبهة في تشابههما بعدما ضرب من المثل إنما يتذكر أولوا الألباب
ذووا العقول المبرأة عن مشايعة الإلف ومعارضة الوهم الذين يوفون
بعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أو ما عهد الله
عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله
وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل
من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع
حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب
خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه
النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما
وأقاموا الصلوة المفروضة وأنفقوا مما رزقناهم بعضه
الذي وجب عليهم إنفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف
ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الإساءة بالإحسان
أو يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها أولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا
وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات إن رفعت بالابتداء
وإن جعلت صفات لأولي الألباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات
جنات عدن بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره يدخلونها
والعدن الإقامة أي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من

آبائهم

آبائهم وأزواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وإنما ساغ للفصل
بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم
تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة أو أن الموصوفين
بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة
في أنسهم وفي التقييد بالصلاح دلالة على أن مجرد الأنساب لا تنفع والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف
قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم
أو بمحذوف أي هذا بما صبرتم لا بالسلام فإن الخبر فاصل والباء للسببية أو للبدلية
فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها
إلى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الأولين
من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول ويقطعون
ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض بالظلم وتهييج الفتن أولئك
لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم أو سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة
عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا
أي أهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة
في جنب الآخرة إلا متاع إلا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى
أنهم أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا
بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا أنزل
عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات
ويهدي إليه من أناب أقبل إلى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري
مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما أعظم عنادكم إن الله يضل من يشاء ممن كان

على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به
بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتدا محذوف وتطمئن
قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد
القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن
الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين
آمنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب
قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب
ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال
الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم
ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك
لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه [اليك صح] وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون
بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا انعمه
وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع
الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا
وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو
لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب
مرجعي ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه
والمراد منه تعظيم شان القرآن او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا
زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية
الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرؤه
او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في

[حاشية: القطع الفصل بين الشيئين واصله وكثر في الاجسام ويستعمل في الاعراض ايضا ... قطع الكلام]

التذكير

التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان
قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا
فنتخذ فيها البساتين والقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث
لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض
قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض
وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا
بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنه لو من معنى النفي اي بل الله قادر
على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين
شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم مع ما رأوا
من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس
وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل الياس
بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان الميؤوس عنه لا يكون ولذلك علقه بقوله
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض
الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف وتقديره افلم
ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال
قارعة داهية تقرعهم وتقلعهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون
منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين
بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم كان [لا يزال صح] يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف
مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم فانه حل بجيشه قريبا
من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت او القيامة او فتح مكة

إن الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ
برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد
للمستهزئين به والمقترحين عليه والإملاء أن يترك ملاوة من الزمان في دعة وأمن
ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أي عقابي إياهم أفمن هو قائم
على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير أو شر لا يخفى عليه شيء
من أعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك
وجعلوا لله شركاء استئناف أو عطف على كسبت إن جعلت ما مصدرية
أو لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على
أنه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا
يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون
الشركة أم تنبئونه بل أتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم
في الأرض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو بصفات لهم يستحقونها لأجلها
لا يعلمها وهو العالم بكل شيء أم بظاهر من القول أم تسمونهم شركاء
بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج
بليغ على أسلوب عجيب ينادي على نفسه بالإعجاز بل زين للذين كفروا
مكرهم تمويههم فتخيلوا أباطيل ثم خالوها أو كيدهم للإسلام بشركهم
وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو و
ابن عامر وصدوا بالفتح أي وصدوا الناس عن الإيمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين
ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم
عذاب في الحياة الدنيا بالقتل والأسر وسائر ما يصيبهم من المصائب
ولعذاب الآخرة أشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه

أو من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها
التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه أي فيما قصصنا عليكم
مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الأنهار على طريقة قولك صفة
زيد أسمر أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار أو على
زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة أكلها
دائم لا ينقطع ثمرها وظلها أي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس
تلك أي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى أمرهم
وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين إطماع للمتقين وإقناط للكافرين
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك يعني المسلمين
من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون
بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة أو عامتهم فإنهم كانوا يفرحون بما يوافق
كتبهم ومن الأحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة
ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما من ينكر بعضه
وهو ما يخالف شرائعهم أو ما يوافق ما حرفوه منها قل إنما أمرت أن
أعبد الله ولا أشرك به جواب للمنكرين أي قل لهم إني أمرت فيما أنزل إلي
بأن أعبد الله وأوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم إلى إنكاره وأما
ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الإلهية في
جزئيات الأحكام وقرئ ولا أشرك بالرفع على الاستئناف إليه أدعو لا إلى غيره
وإليه مآب وإليه مرجعي للجزاء لا إلى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الأنبياء
فأما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالأعصار والأمم فلا معنى لإنكاركم المخالفة فيه
وكذلك ومثل هذا الإنزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها

أنزلناه حكماً يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربياً مترجماً
بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت
أهواءهم التي يدعونك إليها كتقرير دينهم والصلوة إلى قبلتهم بعدما حولت
عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من
ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لأطماعهم وتهييج للمؤمنين
على الثبات في دينهم ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك بشراً مثلك وجعلنا
لهم أزواجاً وذرية نساء وأولاداً كما هي لك وما كان لرسول
وما صح له ولم يكن في وسعه أن يأتي بآية تقترح عليه وحكم يلتمس منه
إلا بإذن الله فإنه المليء بذلك لكل أجل كتاب لكل وقت
وأمد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء
ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما يقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب
ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره
مثبتاً أو يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرناً ويثبت آخرين وقيل
يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت
بالتشديد وعنده أم الكتاب أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ إذ ما من
كائن إلا وهو مكتوب فيه وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك
وكيف ما دارت الحال أريناك بعض ما وعدناهم أو توفيناك قبله فإنما عليك
البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل بإعراضهم
ولا تستعجل بعذابهم فإنا فاعلون له وهذا طلائعه أولم يروا أنا نأتي
الأرض أرض الكفرة ننقصها من أطرافها بما نفتحه على المسلمين منها
والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء

بالإبطال

بالإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى أنه
حكم للإسلام بالإقبال وعلى الكفرة بالإدبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي
النصب على الحال أي يحكم نافذاً حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما
قليل في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والإجلاء في الدنيا وقد مكر الذين
من قبلهم بأنبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعاً إذ لا يؤبه بمكر
دون مكره فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس
فيعد جزاءه وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب
المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام يدل على أن المراد بالعقبى
العاقبة المحمودة مع ما في الإضافة إلى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو
الكافر على إرادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر أي أهله ويعلم
من أعلمه إذا أخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قيل المراد بهم رؤساء
اليهود قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم فإنه أظهر من الأدلة على رسالتي
ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما ألف
عليه من النظم المعجز أو علم التورية وهو ابن سلام وأضرابه أو علم اللوح المحفوظ و
هو الله أي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح إلا هو شهيداً
بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على
الأول مرتفع بالظرف فإنه معتمد على الموصول ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف خبره
وهو متعين على الثاني وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطي عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب
يكون إلى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله تعالى سورة إبراهيم
مكية وهي إحدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اى هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم
الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن
ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة
لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى
النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن يسال عنه واضافة الصراط الى الله
اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه و
لا يخيب سابله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض على قراءة نافع وابن عامر
مبتدا وخبر او الله خبر محذوف والذى صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز
لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد
وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو
النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات
الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار
للشى يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله
بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويُصِدّون من اصدّه وهو منقول من صدّ
صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان فى صده مندوحة عن تكلف التعدية
ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه
فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين
والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدا خبره اولئك فى ضلال
بعيد اى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضال
فوصف به فعله للمبالغة وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة
قومه الذى هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه

فعل للمبالغة او للامر الذى من الضلال

بيسر

بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم و
احق بان ينذرهم ولذلك امر النبى صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى
امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة
واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها
وما فى اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن
وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد
وعمد وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها
جبريل او كل نبى بلغة المنزل عليهم وذلك ترده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم
والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل لتبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله
عن الايمان ويهدى من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على
مشيته الحكيم الذى لا يضل ولا يهدى الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى
باياتنا يعنى اليد والعصا وساير معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات
الى النور بمعنى اى اخرج لان فى الارسال معنى القول او بان اخرج فان
صيغ الافعال سواء فى الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة
وذكرهم بايام الله بوقايعه التى وقعت على الامم الدارجة وايام العرب
حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور
يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض
عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مومن
وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المومن واذ قال موسى
لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من آل فرعون اى اذكروا نعمته
وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك

لبس

عليكم

اذ اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال
يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون احوال من آل فرعون
او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر
بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم
واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه
بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد
بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم ايضا من كلام موسى عم وتأذن بمعنى آذن
كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم
يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم
نعمة على نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم بالكفران
عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة
مفعول قول مقدر او مفعول تأذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال
موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله
لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود يحمده الملائكة وينطق
بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام
وعرضتموها للعذاب الشديد الم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح
وعاد وثمود من كلام موسى عم او كلام مبتدا من الله تعالى والذين من بعدهم
لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله
ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود
كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم
فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ

نساءكم

او وضعوها

او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم
باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على
ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل
ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم
وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم
ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم
وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب
موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت
رسلهم افي الله شك ادخل همزة الانكار على الظرف لان الكلام في
المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة
وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض
وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا
ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له
مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام
يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن
تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار
مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن
المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى
الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا
لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر
رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا

في

بهذه الدعوى فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه
المزية او على صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ما جاؤوا به من البينات والحجج
واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا
بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم
في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنته عليهم وفيه دليل
على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشية الله تعالى
وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان
بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشية الله
فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه
في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا
به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي
اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم
ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن
على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم
بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون
على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين
اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على
ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد
فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين على
اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم

اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد
ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين
لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم
القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي
بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على اعدائهم
او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وانت خير الفاتحين وهو معطوف على فأوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل
للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا
على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب
كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة
او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها
واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حيوته وحقيقته
ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم
يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود
اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى
ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول
عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول النفس ويأتيه الموت
من كل مكان اي اسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من
كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت
فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل

يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية
منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي
ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخاب رجاؤهم فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم في
جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار **مثل الذين كفروا بربهم** مبتدأ
خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله **اعمالهم**
كرماد وهو على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل
والخبر كرماد **اشتدت به الريح** حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع
الرياح **في يوم عاصف** العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة
كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة
الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير
اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح
العاصف **لا يقدرون** يوم القيمة **مما كسبوا** من اعمالهم
على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل **ذلك**
اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون **هو الضلال البعيد**
فانه الغاية في البعد عن طريق الحق **الم تر** خطاب للنبي صلعم والمراد به امته
وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين **ان الله خلق السموات**
والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي
خالق السموات **ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد** يعدمكم ويخلق
خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه
فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير
الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال **وما ذلك**

واغاثة الملهوف

على

على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور
دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه و
خوفا من عقابه يوم الجزاء **وبرزوا لله جميعا** اي يبرزون من قبورهم
يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب
الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم
وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه **فقال الضعفاء** الاتباع جمع ضعيف يريد به
ضعاف الرأي وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو
للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم **انا كنا**
لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب
او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف **فهل انتم مغنون عنا** دافعون
عنا **من عذاب الله من شيء** من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية
للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا
للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى
مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء **قالوا**
اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم **لو هدانا**
الله للايمان ووفقنا له **لهديناكم** ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا
لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم
كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص **سواء علينا اجزعنا ام صبرنا**
مستويان علينا الجزع والصبر **ما لنا من محيص** منجى ومهرب من العذاب
من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت و
مصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي

انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كان فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتج المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرا حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي

اشركتمونيه

اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان تكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اجتثت استوصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك

فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك
وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظل
والكشوث ولعل المراد بهما ما يعم ذلك **يثبت الله الذين آمنوا**
بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم **في الحيوة**
الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى عم وجرجيس وشمعون
والذين فتنهم اصحاب الاخدود **وفي الآخرة** فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن
معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة وروي انه عم ذكر قبض روح المؤمن
فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان في قبره فيقولان له من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان
صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت **ويضل**
الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون
الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن **ويفعل الله ما يشاء** من تثبيت بعض
واضلال آخرين من غير اعتراض عليه **الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا**
اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها
سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله و
اسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد عم
فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر فصاروا اذلاء فبقوا
مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي هم الافجران من قريش بنو المغيرة
وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين
واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر **دار البوار** دار
الهلاك بحملهم على الكفر **جهنم** عطف بيان لها **يصلونها** حال منها

او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصبا لجهنم
وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم **وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله**
الذي هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال
ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض **قل تمتعوا**
بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد
بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين
كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله **فان مصيركم الى النار** وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور
من آمر مطاع **قل لعبادي الذين آمنوا** خصهم بالاضافة تنويها لهم و
تنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه
اي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا **يقيموا الصلوة وينفقوا**
مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك
فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدرا بلام الامر ليصح تعلق القول
بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت
امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما وهو ضعيف
لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة
اذا كان الفاعل واحدا **سرا وعلانية** منتصبان على المصدر اي انفاق
سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية
والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به **من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه**
فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه **ولا خلال** ولا مخالة
فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما
ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي

العالم ﴿الله الذي خلق السموات والارض﴾ مبتدأ وخبر ﴿وانزل من السماء
ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾ تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس
مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر
فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق ﴿وسخر لكم الفلك لتجري
في البحر بامره﴾ بمشيته الى حيث توجهتم ﴿وسخر لكم الانهار﴾ فجعلها
معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها ﴿وسخر
لكم الشمس والقمر دائبين﴾ يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحان
من المكونات ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم
﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه
شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان
حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل وما يحتمل ان يكون موصولة
وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي
وآتاكم من كل شيء غير سائليه ﴿وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾
لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل
على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ﴿ان الانسان لظلوم﴾ يظلم النعمة
باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان ﴿كفار﴾ شديد الكفران و
قيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ﴿واذ قال ابراهيم
رب اجعل هذا البلد﴾ بلد مكة ﴿آمنا﴾ ذا امن لمن فيها والفرق بينه و
بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا
وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة ﴿واجنبني وبني﴾ بعدني واياهم ﴿ان
نعبد الاصنام﴾ واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد و

اما اهل

اما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه
اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل
لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار و
يقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته ﴿رب انهن اضللن
كثيرا من الناس﴾ فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد
الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا ﴿فمن تبعني﴾
على ديني ﴿فانه مني﴾ اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ﴿ومن عصاني
فانك غفور رحيم﴾ تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة
وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره
﴿ربنا اني اسكنت من ذريتي﴾ اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول
وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانهم ﴿بواد غير ذي زرع﴾ يعني وادي مكة
فانها حجرية لا تنبت ﴿عند بيتك المحرم﴾ الذي حرمت التعرض له والتهاون
به او لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه و
لذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار
ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها لابراهيم فولدت
منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة
فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثم طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه
فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في البانها ففعلت
﴿ربنا ليقيموا الصلوة﴾ اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم
بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم
وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بان المقصودة بالذات من اسكانهم ثم والمقصود

بانها

من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم
الاقامة وسأل من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اي افئدة
من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس
والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس
وقرئ آفدة وهي يحتمل ان تكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان تكون اسم فاعل من
افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف
وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوي اليهم
تسرع اليهم شوقا ووداداً وقرئ تهوى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى
من هوي يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من
الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب
الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية و
الصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم
سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا
فلا حاجة لنا الى الطلب لكن ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك و
استعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك
والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ الى الله وما يخفى على
الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى
كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب لي
وانا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من آلائه
اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة
واثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك

وقرئ هشام افئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة صح

كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على
اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد
فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب
اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف
على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في الامم الماضية
انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او وتقبل عبادتي
ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل
اراد بهما آدم وحوا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من ثبوت القائم
على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف او اسند اليه
قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد
بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا
بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم
وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص فيه ابصارهم فلا
تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم
لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها
لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم
نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط
الحيرة والدهشة ومنه قيل للاحمق وللجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه ولا قوة قال
زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس
يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم

وهو مفعول ثان لانذر **فيقول الذين ظلموا** بالشرك والتكذيب **ربنا**
اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان
قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك **نجب دعوتك**
ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن
من الصالحين **اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال** على ارادة القول
وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم
باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا ودل عليه حالهم حيث
بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم
اذا ماتوا لا يزولون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت **وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم** بالكفر
والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغنى واقام وقد يستعمل
بمعنى التبوء فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار **وتبين لكم كيف فعلنا بهم**
بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم **و**
ضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق
العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة **و**
قد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل
وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم
به جزاء لمكرهم وابطالا له **وان كان مكرهم** في العظم والشدة **لتزول**
منه الجبال مسوى لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها
كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي صلعم ونحوه وقيل مخففة
من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله

وشرايعه

وشرايعه وقرا الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام الفاصلة ومعناه
تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا
كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه
لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف
يخلف رسله **ان الله عزيز** غالب لا يماكر قادر لا يدافع **ذو انتقام**
لاوليائه من اعدائه **يوم تبدل الارض غير الارض** بدل من يوم يأتيهم او
ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان
ما قبل ان لا يعمل فيما بعده **والسموات** عطف على الارض وتقديره و
السموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير
وعليه قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما
اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية
يحتملهما فعن امير المؤمنين علي رضي الله عنه تبدل الارض من فضة وسموات من ذهب وعن
ابن مسعود وانس رضي الله عنهم هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى
ابو هريرة انه صلعم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي
لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل
بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم
والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله تعالى
ان كتاب الفجار لفي سجين **وبرزوا** من اجداثهم **لله الواحد القهار**
لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب

فلا استغاثة لاحد الى غيره ولا استجارة **وترى المجرمين يومئذ مقرنين**
قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقايد والاعمال كقوله تعالى واذا
النفوس زوجت او قرنوا مع الشيطان او مع ما اكتسبوا من العقايد الزايغة
والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل
ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم **في الاصفاد**
متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن
جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق واصله
الشد **سرابيلهم** قمصانهم **من قطران** وجاء قطران لغتين فيه
وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته
وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون
طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع
اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين
ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية
فيجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس او
الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين
وتغشى وجوههم النار اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق
ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع
على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله تعالى افمن
يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم
ليجزي الله كل نفس ما كسبت اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت
او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون على اجرامهم

علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا **ان الله**
سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب **هذا** اشارة الى القران
او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله **بلاغ**
للناس كفاية لهم في الموعظة **ولينذروا به** عطف على محذوف اي
لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق
بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح اليا من نذر به اذا علمه واستعد له
وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة عليه
والمنبهة على ما يدل عليه **وليذكر اولوا الالباب** فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا
بما يحظيهم واعلم انه تعالى ذكر لهذا البلاغ ثلث فوايد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب
وتكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية الى منتهى كمالها التوحيد واستصلاح
القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفايزين بهما
وعن النبي صلعم من قرأ سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام
وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب وقران مبين

الاشارة الى ايات السورة والكتاب هو السورة وكذا القران وتنكيره للتفخيم
اي ايات الجامع لكونه كتابا وكلاما وقرانا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول
النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما
بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الرا وفتحها مع التخفيف والتشديد وبتاء التانيث
ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي
لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة

موصوفة كقوله رب ما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه
الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف و
هم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان حانت منهم افاقة في
بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك
حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم
ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد
للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض
اقناط الرسول صلعم من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد
اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه
طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب
في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله
الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا
للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اي
وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي
نزل عليه الذكر نادوا به النبي صلعم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له
وهو قوله انك لمجنون ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل عليك
الذكر اي القرآن لوما تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع
الشي لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك
على الدعوة كقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا
لك كما كانت تاتي الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل

الملائكة

الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر
بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق
اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تاتيكم بصور تشاهدونها
فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت
كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين
اذن جواب لهم وجزاء الشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين
انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه و
قرره بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه
معجزا مباينا لكلام البشر لا يخفى تغير نظمه على اهل اللسن او نفى تطرق الخلل
اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له
للنبي صلعم ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة
وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب
الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم و
ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلعم
وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال
الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك
ادخال الشي في الشي كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه
دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله
لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك
الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج
ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضماير توافقها في المرجوع اليه ولا تعين ان يكون الجملة

حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه
وقد خلت سنة الاولين فيهم بان خلاهم وسلك الكفر فى قلوبهم او باهلاك
من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين
بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول
نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من
غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار
بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة
من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه
عند ظهور غيره من الآيات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه
لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا فى السماء بروجا
اثنى عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء
وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين
المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل
شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فى
امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان
واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم
من المناسبة فى الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس
انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلعم
منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر
وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه
شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق

للكواكب

للكواكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا
فيها رواسى جبالا ثوابت وانبتنا فيها فى الارض او فيها وفى الجبال
من كل شئ موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب
من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن فى ابواب النعمة والمنفعة
وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة
على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم
ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا
فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل
معينين مختلفة الاجزاء فى الوضع محدثا فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة
مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد فى الالوهية والامتنان
على العباد بما انعم عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ فى ذلك وقال وان
من شئ الا عندنا خزائنه اى وما من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه
اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء
المخزونة التى يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة
الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد
فى بعض الاوقات على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح
لواقح حوامل شبه الريح التى جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه
ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى
قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس فانزلنا
من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين
متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين فى الغدران والعيون والآبار

وذلك ايضاً مما يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهوا في بعض الاوقات من بعض الجهات على
وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الما تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من مخصص
وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها وَنُمِيتُ
بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر
وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ الباقون اذا مات الخلائق كلها وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ
مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او
من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق
الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا شي من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على
كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلعم على الصف
الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلعم
فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت وَإِنَّ رَبَّكَ
هُوَ يَحْشُرُهُمْ لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي
لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على
كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشيا يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله إِنَّهُ حَكِيمٌ
باهر الحكمة متقن في افعاله عَلِيمٌ وسع علمه كل شي وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ صَلْصَالٍ طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل
اذا انتن تضعيف صل مِنْ حَمَإٍ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء
وهو صفة صلصال اي كائن من حما مَسْنُونٍ مصور من سنة الوجه
او مصبوب لييبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو
الصب كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل
ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر

على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى السنين وَالْجَانَّ ابا الجن
وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من
شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل
يفسره خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ من قبل خلق الانسان مِنْ نَارِ السَّمُومِ من
نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع
خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها
اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى
خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين
فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع
والاحيا وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ واذكر وقت قوله لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا
مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ عدلت خلقته وهياته لنفخ
الروح فيه وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي حتى جرى اثاره في تجاويف اعضائه
فحيي واصل النفخ اجرا الريح في تجويف جسم اخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار
اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف
الشرايين الى اعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه
لما مر في سورة النسا فَقَعُوا لَهُ فاسقطوا له امر من وقع يقع
سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم و
منع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين
دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا إِلَّا إِبْلِيسَ
ان جعل منقطعا اتصل به قوله أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ اي ولكن
ابليس ابى وان جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سائل قال هلا سجد

قال يا ابليس ما لك ان لا تكون مع الساجدين اي غرض لك في ان لا تكون معهم

قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي

ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من

حمإ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص

ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج

منها من السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير

والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن

الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى

يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان

الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده

هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه

بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء

متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون

اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه

الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه

اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون

المراد بالايام الثلثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه

اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف

والياس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك

ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث مع الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة

وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة

والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن

لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا

التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى

خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود

لادم عم او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه

وتسليطه على اغواء بني ادم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون

الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب

وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على

الغواية الا عبادك منهم المخلصين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم

من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القران

اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه

مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص

المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي من غير

اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم

سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع

لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له

فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس

كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء

منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه

الى تناقض الاستثناءين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين

اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على

مضاف ومعمر لاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ
يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى
ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار جميع
المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها
سبع فرق لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ من الاتباع جُزْءٌ مَقْسُومٌ افرز له
فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس
للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ جز على حذف
الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف
ومنهم حال من جزء او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم
موصوفها إِنَّ الْمُتَّقِينَ من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منها كقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار
من ماء غير آسن الآية ادْخُلُوهَا على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء
على انه ماض فلا تكسر التنوين بِسَلَامٍ سالمين او مسلما عليكم آمِنِينَ
من الآفات والزوال وَنَزَعْنَا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب
نفوسهم مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه
ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة إِخْوَانًا
حال من ضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه
والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ويجوز
ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين
حالا من المستقر في على سرر لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ استئناف او حال بعد حال

مجامع

او حال من الضمير في متقابلين وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ فان تمام النعمة بالخلود نَبِّئْ
عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ فذلكة ما سبق
من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب
باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالمغفرة والرحمة دون التعذيب ترجيح
الوعد وتاكيده وفي عطف وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ على نبئ عبادي تحقيق
لهما بما يعتبرون به إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا اي نسلم عليك سلاما
او سلمنا سلاما قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ خائفون وذلك لانهم دخلوا
بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع
ما يكره قَالُوا لَا تَوْجَلْ وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل
من واجله بمعنى اوجله إِنَّا نُبَشِّرُكَ استئناف في معنى التعليل للنهي عن
الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بِغُلَامٍ هو اسحق
لقوله تعالى فبشرناه باسحق عَلِيمٍ اذا بلغ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ
مَسَّنِيَ الْكِبَرُ تعجب من ان يولد مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في
مثل هذه الحال وكذلك قوله فَبِمَ تُبَشِّرُونَ اي فباي اعجوبة تبشروني
او فباي شيء تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء
وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها
مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية
على الياء قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه
او بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ من
الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان و
عجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال

قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شأنكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم عليهما السلام او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما نعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر قدرنا بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا جار مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان

تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري من النجوم كم علينا من قطع الليل منهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدي وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط

يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحيوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبرئيل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد سبق مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لايات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لاية للمؤمنين بالله ورسله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الاخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالح ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة

والشام

في هود

والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم وحسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله تعالى كلها فيكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع

نقب

ثم عطف احد الوصفين على الاخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب
الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة
الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر
من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما
وعظم صغيرا وروي انه صلعم وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير
فيها انواع البز والطيب والجوهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه
الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع ايات
هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يومنوا وقيل انهم
المتمتعون به واخفض جناحك للمومنين وتواضع لهم وارفق بهم
وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل
بكم ان لم تومنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم
فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا
مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلعم فاهلكهم الله
يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عم
وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك
والمقتسمون هم الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق
للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير
الاولين او اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القران ما يقرؤونه
من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلعم وقوله لا تمدن الى اخره اعتراضا
ممدا لها الذين جعلوا القران عضين اجزاء جمع عضة واصلها
عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا

باطل صح

بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلعم العاضهة والمستعضهة وانما جمع جمع السلامة
جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره فوربك
لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه
وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تومر فاجهر به
من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة و
التمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تومر به من الشرايع
واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزءين
بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن
وايل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في
ايذاء النبي صلعم والاستهزاء به فقال جبريل عم لرسول الله صلعم امرت ان اكفيكهم
فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب
عرقا في عقبه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله
حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط قيحا فمات والى
اسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع
الله الها اخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القران و
الاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح
والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك
للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه صلعم انه كان اذا حزبه
امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت

فقطعه صح

فإنه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلعم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلعم

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلعم من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما تقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم منه **سبحانه وتعالى عما يشركون** تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرا حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت أتى امر الله فوثب النبي صلعم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه **ينزل الملائكة بالروح** بالوحي او القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرا ابن كثير وابو عمرو ويُنزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرا ابو بكر تُنزَّل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل **من أمره** بامره او من اجله **على من يشاء من عباده** ان يتخذه رسولا **أن أنذروا** بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته **أنه لا إله إلا أنا فاتقون** ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي

الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع **خلق السموات والأرض بالحق** اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته **تعالى عما يشركون** منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليها ومما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام **خلق الإنسان من نطفة** جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل **فإذا هو خصيم مبين** منطيق مجادل او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلعم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت **والأنعام** الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره **خلقها لكم** او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له **فيها دفء** ما يدفأ به فيقي البرد **ومنافع** نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها **ومنها تأكلون** اي تاكلون ما يؤكل منها كاللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات فعلى سبيل التداوي او التفكه **ولكم فيها جمال** زينة **حين تريحون** تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي **وحين تسرحون** تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم

الا راحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاء البطون حافلة الضروع ثم اوت
الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفا له
بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه **وتحمل اثقالكم** احمالكم **الى بلد لم**
تكونوا بالغيه ان لم تكن فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم اليه **الا**
بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح
مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف
قوته بالتعب **ان ربكم لرؤف رحيم** حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم
وتيسير الامر عليكم **والخيل والبغال والحمير** عطف على الانعام **لتركبوها**
وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل
لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود
من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا
يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين
اي متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ
لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا و
يدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر
ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا
احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له
من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر
وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق
او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من
يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده

السالك

السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال
ومنها جائر حائد عن الطريق او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان
يبين طرق الضلال او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والى جائر انما
جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد **ولو شاء لهداكم اجمعين**
اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء
هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء **ماء لكم منه شراب**
ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم
حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله فسلكه ينابيع
وقوله تعالى فاسكناه في الارض **ومنه شجر** ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي
ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال يعلفها اللحم اذا عز الشجر
والخيل في اطعامها اللحم ضرر **فيه تسيمون** ترعون من سامت الماشية
واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات
ينبت لكم به الزرع وقرا ابو بكر بالنون على التفخيم **والزيتون والنخيل**
والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض
كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا
هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها
ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من
تامل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها و
يخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق
والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع
مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك

عن المقصد

على السوية

ليس لا يتطلق فاعل فما تابعه حتى ليس بحوهر صالح وحه لا اضداد ولا انداد ولعل فصل الآية به لذلك
وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم
مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها
ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما
عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك وان سلم
فلا ريب في انها ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من
موجد مخصص واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمي جمع لاختلاف النوع
وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه
ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة
غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم في الارض عطف على
الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه
فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ان
اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو
الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد
والغوص لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه
ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا
طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف ان لا ياكل لحما حنث
باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق
الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم

فاسند اليهم لانهم من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن
مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت
جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة
ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب
الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل
المعاش وألقى في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم
كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة
خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك
بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال
بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض
جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال
وانهارا وجعل فيها انهارا لان ألقى فيه معناه وسبلا لعلكم
تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات معالم يستدل
بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري
والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضم وسكون على
الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم
كانوا كثير الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج
الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم
خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم
أفمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على
كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته

ما لا يقدر على خلق شي من ذلك بل على ايجاد شي ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق
لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها
والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم او الاصنام واجراها
مجرى اولي العلم لانهم سموها الهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من
يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما
لا علم عنده **أفلا تذكرون** فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل
الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**
لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم
والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما
لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور **إن الله لغفور** حيث يتجاوز
عن تقصيركم في اداء شكرها **رحيم** لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة
على كفرانها **والله يعلم ما تسرون وما تعلنون** من عقايدكم واعمالكم
وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم **والذين تدعون من
دون الله** اي والالهة الذين تعبدونهم من دونه وقرا ابو بكر يدعون بالياء
وقرا حفص ثلثتها بالياء **لا يخلقون شيئا** لما نفى المشاركة بين من يخلق و
من لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان
اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال **وهم يخلقون** لانها ذوات
ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود **أموات
غير أحياء** هم اموات لا تعتريهم الحيوة او اموات حالا او مالا غير احياء
بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات
وما يشعرون أيان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم

فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا
للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف **إلهكم إله واحد**
تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج **فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون**
بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالاخرة فان المومن بها
يكون طالبا للدلايل متاملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار
قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المالوف فانه ينافي النظر
والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة
في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الاخرين **لا جرم** حقا **أن الله يعلم ما
يسرون وما يعلنون** فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او
فعل **إنه لا يحب المستكبرين** فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او
اتباع رسوله **وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم** القايل بعضهم على التهكم او
الوافدون عليهم او المسلمون **قالوا أساطير الأولين** اي ما تدعون نزوله
او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض او على تقدير
انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقايلون له قيل هم المقتسمون **ليحملوا
أوزارهم كاملة يوم القيامة** اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم
كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال **ومن أوزار الذين يضلونهم**
وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب **بغير علم** حال
من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفايدتها الدلالة على ان جهلهم
لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل **ألا ساء ما
يزرون** بئس شيا يزرونه فعلهم **قد مكر الذين من قبلهم** اي
سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله **فأتى الله بنيانهم من القواعد**

أي أتاها أمره من جهة العمد التي بنوا عليها بأن ضعضعت فخر عليهم السقف
من فوقهم وصار سبب هلاكهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون
ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح
ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد أمر السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى
قومه فهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم أو يعذبهم بالنار لقوله تعالى
ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ويقول أين شركائي أضاف إلى
نفسه استهزاء أو حكاية لإضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون
فيهم تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني
فإن مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين أوتوا العلم أي الأنبياء والعلماء
الذين كانوا يدعونهم إلى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم أو الملائكة إن
الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم
إظهار الشماتة وزيادة الإهانة وحكايته لأن يكون لطفا لمن سمعه الذين
تتوفاهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بإدغام التاء في التاء وموضع
الموصول يحتمل الأوجه الثلاثة ظالمي أنفسهم بأن عرضوها للعذاب
المخلد فألقوا السلم فسالموا وأخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا
نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز أن يكون
تفسيرا للسلم على أن المراد به القول الدال على الاستسلام بلى أي فتجيبهم الملائكة
بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فألقوا
السلم إلى آخر الآية استئناف ورجوع إلى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا أول
من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بأنا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين
سوءا واحتمل أن يكون الراد عليهم هو الله أو أولو العلم فادخلوا أبواب جهنم

كل صنف بابها المعد له وقيل أبواب جهنم أصناف عذابها خالدين فيها فلبئس
مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا
أنزل ربكم قالوا خيرا أي أنزل خيرا وفي نصبه دليل على أنهم لم يتلعثموا
في الجواب وأطبقوه على السؤال معترفين بالإنزال على خلاف الكفرة روي أن
أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلعم فإذا جاء الوافد المقتسمين
قالوا له ما قالوا وإذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين أحسنوا في هذه
الدنيا حسنة مكافأة في الدنيا ولدار الآخرة خير أي ولثوابهم
في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز أن يكون بما بعده حكاية
لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على أنه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة
فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون
المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون
من أنواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على أن الإنسان لا يجد جميع ما يريده
إلا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد
الوجه الأول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر
والمعاصي لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة إياهم بالجنة
أو طيبين بقبض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية إلى حضرة القدس يقولون
سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
حين تبعثون فإنها معدة لكم على أعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لأن الأمر
بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم إلا أن
تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء أو يأتي أمر ربك
القيامة أو العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب

فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء او منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله هدايته لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الآية الاخرى فسيروا في الارض

ردوا صح

يا معشر

يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدى من يضل من يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة وقرا غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده وقد رد الله ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه بين كلا الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل و

موعد صح

هنا وفي يس صح

سهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه **لنبوئنهم في الدنيا حسنة** مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة **ولأجر الآخرة أكبر** مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة افضل **لو كانوا يعلمون** الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم **الذين صبروا** على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح **وعلى ربهم يتوكلون** منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم** رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه **فاسألوا أهل الذكر** اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم **إن كنتم لا تعلمون** وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امراة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه صلعم راى جبريل على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم **بالبينات والزبر** اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحى على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسألوا اعتراض او بلا يعلمون على ان الشرط للتبكيت

والالزام

والالزام **وأنزلنا إليك الذكر** اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه **لتبين للناس ما نزل إليهم** في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل **ولعلهم يتفكرون** وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق **أفأمن الذين مكروا السيئات** اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا برسول الله صلعم وراموا صد اصحابه عن الايمان **أن يخسف الله بهم الأرض** كما خسف بقارون **أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون** بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط **أو يأخذهم في تقلبهم** اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم **فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف** على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم **فإن ربكم لرءوف رحيم** حيث لا يعاجلكم بالعقوبة **أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء** استفهام انكار اي قد راوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها **يتفيأ ظلاله** اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة **عن اليمين والشمائل** عن ايمانها وشمائلها اي عن

جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل
لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم
داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء
كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا
طأطأ راسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى
يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير
الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض
ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة
لافعال الله فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور
من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي
لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي
المقابل له فان الاظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي
من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله
يسجد ما في السموات وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد
لارادته وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى
عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب
هو الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة عطف على المبين
عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من
قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات
وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل
للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق

من

من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم
يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر
فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله
لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل
على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي
اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد
للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم
الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب
وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما
في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين اي الطاعة واصبا
لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب
اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن
وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال
وما بكم من نعمة فمن الله واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله و
ما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار
النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر
فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة
ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا
بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان
كانه قال اذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون للتبعيض على ان يعتبر بعضهم

كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد **بما آتيناهم** من نعمة الكشف عنهم كانهم
قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله **فتمتعوا** امر تهديد
فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على
ليكفروا وعلى هذا جاز ان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب
ويجعلون لما لا يعلمون اى لآلهتهم التى لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما
او التى لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان
العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به
نصيبا مما رزقناهم من الزروع والانعام **تالله لتسئلن عما كنتم
تفترون** من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه **ويجعلون
لله البنات** كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله **سبحانه** تنزيه
له من قولهم وتعجب منه **ولهم ما يشتهون** يعنى البنين ويجوز فى ما يشتهون الرفع
بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى
ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشىء واحد لكنه لا يبعد تجويزه فى المعطوف **واذا بشر
احدهم بالانثى** اخبر بولادتها **ظل وجهه** صار او دام النهار كله
مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير
وهو كظيم مملو غيظا من المرأة **يتوارى من القوم** يستخفى منهم **من
سوء ما بشر به** من سوء المبشر به عرفا **ايمسكه** محدثا نفسه متفكرا
فى ان يتركه **على هون** ذل **ام يدسه فى التراب** ام يخفيه فيه
وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما **الا ساء ما يحكمون** حيث يجعلون
لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم **للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء**
صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية للموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم

وكراهة

وكراهة الاناث خشية الاملاق **ولله المثل الاعلى** وهو الوجوب الذاتى
والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين **وهو العزيز الحكيم**
المتفرد بكمال القدرة والحكمة **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم** بكفرهم ومعاصيهم
ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها
من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره
بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء **ولكن
يؤخرهم الى اجل مسمى** سماه لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا **فاذا
جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة
ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلم
لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم **ويجعلون لله ما يكرهون**
اى ما يكرهونه لانفسهم من البنات ومن الشركاء فى الرياسة ومن الاستخفاف بالرسل واراذل
الاموال **وتصف السنتهم الكذب** مع ذلك وهو **ان لهم الحسنى**
اى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع
كذوب صفة للالسنة **لا جرم ان لهم النار** رد لكلامهم واثبات لضده
وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقرأ
نافع بكسر الراء على انه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى
طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات **تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك
فزين لهم الشيطان اعمالهم** فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين
فهو وليهم اليوم اى فى الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين
كان يزين لهم او يوم القيمة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير
لقريش اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم يغريهم

ويغويهم وان تقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين والناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب أليم في القيامة وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وإن لكم في الأنعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر نسقيكم بالفتح من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد واخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم

يخلق

لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والأعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا استئناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر إن في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات وأوحى ربك إلى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين أن اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض

او تتخذون ص

لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها
وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة و
صحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره
للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء
ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي
ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا
من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك
سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي
مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما
امرت به يخرج من بطونها عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه
محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه
مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في باطنها
عسلا ثم تلقي ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة
صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في
بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض
واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل فيه شفاء للناس
اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا
والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة
ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب
ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب
بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن

اولما

او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر
اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من
قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم بآجال مختلفة
ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه
الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون
لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان
وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب
النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير
قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى
الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك
حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله
الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله
رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب
كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق
على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية
ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله
يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما
انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعدما انعم الله
عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وعليكم

الرزق

وتفصيل بعضكم {والله جعل لكم من انفسكم ازواجا} اي من جنسكم لتانسوا بها
ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حوا من آدم {وجعل لكم من ازواجكم
بنين وحفدة} واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات
يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربايب ويجوز ان
يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين {ورزقكم من الطيبات}
من اللذايذ او من الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها {افبالباطل
يؤمنون} وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحاير
والسوايب {وبنعمة الله هم يكفرون} حيث اضافوا نعمه الى الاصنام
او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص
مبالغة او للمحافظة على الفواصل {ويعبدون من دون الله ما لا يملك
لهم رزقا من السموات والارض شيئا} من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا
فشيئا منصوب به والا فبدل منه {ولا يستطيعون} ان يتملكوه او لا استطاعة
لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز
ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احيا متصرفون شيئا من ذلك
فكيف بالجماد {فلا تضربوا لله الامثال} فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او
تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال {ان الله يعلم} فساد
ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته
وعظم جرمكم فيما تفعلون {وانتم لا تعلمون} ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه
فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشيا وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم دون نصه
ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون
ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال {ضرب الله مثلا

{عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو
ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون} مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف راسا
ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء
واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على
امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق
وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز عن الحر
فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك
المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع
الضمير في يستوون لانه للجنس فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد {الحمد لله}
كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها {بل اكثرهم لا
يعلمون} فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها {وضرب الله مثلا
رجلين احدهما ابكم} ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم {لا يقدر على شيء}
من الصنايع والتدابير لنقصان عقله {وهو كل على مولاه} عيال وثقل
على من يلي امره {اينما يوجهه} حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البنا
للمفعول وتوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه القى سعدا وتوجه بلفظ الماضي
{لا يات بخير} بنجح وكفاية مهم {هل يستوي هو ومن يامر بالعدل}
ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل
لمجامع الفضايل {وهو على صراط مستقيم} وهو في نفسه على طريق مستقيم لا
يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما
كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة
بينه وبينها او للمؤمن والكافر {ولله غيب السموات والارض} يختص به علمه

لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بأن لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فإن علمه غائب عن أهل السماوات والأرض **وما أمر الساعة** وما أمر قيام القيامة في سرعته وسهولته **إلا كلمح البصر** إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها **أو هو أقرب** أو أمرها أقرب منه بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي تبتدئ فيه فإنه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن وأو للتخيير أو بمعنى بل وقيل معناه أن قيام الساعة وإن تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو أقرب مبالغة في استقرابه **إن الله على كل شيء قدير** فيقدر على أن يحيي الخلائق دفعة كما قدر على أن أحياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم** وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على أنه لغة أو اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في أهراق **لا تعلمون شيئا** جهالا مستصحبين جهل الجمادية **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة** أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الإحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها **لعلكم تشكرون** كي تعرفوا ما أنعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه **ألم يروا إلى الطير** قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على أنه خطاب للعامة **مسخرات** مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية له **في جو السماء** في الهواء المتباعد من الأرض **ما يمسكهن فيه إلا الله** فإن ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها **إن في ذلك لآيات** تسخير الطير للطيران بأن خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها في الهواء على خلاف طبعها **لقوم يؤمنون**

لأنهم

لأنهم هم المنتفعون بها **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا** موضعا تسكنون فيه وقت إقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول **وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا** هي القباب المتخذة من الأدم ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فإنها من حيث إنها نابتة على جلودها يصدق عليها أنها من جلودها **تستخفونها** تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها **يوم ظعنكم** يوم ترحالكم **ويوم إقامتكم** ووضعها أو ضربها وقت الحضر أو النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة **ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها** الصوف للضائنة والوبر للإبل والشعر للمعز وإضافتها إلى ضمير الأنعام لأنها من جملتها **أثاثا** ما يلبس ويفرش **ومتاعا** ما يتجر به **إلى حين** إلى مدة من الزمان فإنها لصلابتها تبقى مدة مديدة أو إلى حين مماتكم أو إلى أن تقضوا منه أوطاركم **والله جعل لكم مما خلق** من الشجر والجبل والأبنية وغيرها **ظلالا** تتقون بها حر الشمس **وجعل لكم من الجبال أكنانا** مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن **وجعل لكم سرابيل** ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها **تقيكم الحر** خصه بالذكر اكتفاء بأحد الضدين أو لأن وقايته هي كانت أهم عندهم **وسرابيل تقيكم بأسكم** يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس **كذلك** كما أتم هذه النعم التي تقدمت **يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون** أي تنظرون في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة أي تشكرون فتسلمون من العذاب أو تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع **فإن تولوا** أعرضوا ولم يقبلوا منك **فإنما عليك البلاغ المبين** فلا يضرك فإنما عليك البلاغ وقد بلغت

وهذا من اقامة المسبب مقام السبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون
نعم الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها
بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم
اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلعم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا او
معنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون
عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر
او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله
بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد
لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ
لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحبونه من شدة المنع
عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم
ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهو الرضا وانتصاب
يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا راى
الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي
العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم
اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا
ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك نعبدهم او نطيعهم
وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا
اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله
وانهم عبدوه حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا
يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله

وماكان

وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا
الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل
عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم
ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب
المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث
في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث
منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا
عليك الكتاب استيناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء
من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى
ورحمة للجميع وحرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان
الله يامر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين
التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد
باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل
والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل
او الكيفية كما قال عم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما تحتاجون اليه وهو تخصيص
بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية
كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في
اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر
عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو

[illegible]

مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن
مسعود رضي هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون
ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة
للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر
والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون وأوفوا
بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلعم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم
وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق
الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو همزة
وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع
لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد
قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا
طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني
لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل
هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون
ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع
موقع الخبر اي لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذي ايمانكم مفسدة
ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي
اربى من امة بان تكون جماعة اربى عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى
لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا

اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما
يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم
اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وبيعة رسول الله صلعم ام تغترون
بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفا
وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب
والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن
يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسألن
عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم
تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم عن محجة
الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان
زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا
بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفا او صدكم غيركم عنه فان
من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة
ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا
عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين ويشرطون لهم على الارتداد
انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الاخرة هو خير لكم
مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم
من اعراض الدنيا ينفد ينقضي وما عند الله من خزائن رحمته باق
لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين
الذين صبروا على الفاقة واذى الكفار او مشاق التكاليف اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات

او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا
للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب
وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش
عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة
والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظ
وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه وقيل في الآخرة
ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات
القران اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك
في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان
الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه
ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود رضي قرأت
على رسول الله صلعم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبرئيل عن القلم عن اللوح المحفوظ
انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون على اولياء الله والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره و
لا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة
فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه
على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به مشركون بالله او
بسبب الشيطان واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية
الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح

فلعل

فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون
مصلحة الآن وثبته مكانه وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة
انما انت مفتر متقول على الله تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا
والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز
ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب
قل نزله روح القدس يعني جبرئيل عم واضافة الروح الى القدس
وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله
تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك
بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه فانهم
اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمانت
قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على
محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم
وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا
الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن
التورية والانجيل وكان الرسول صلعم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا
غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي رض
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة
اليه ماخوذ من لحد القبر وقراه حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء اعجمي غير بين
وهذا وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة و
الجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه
كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربي تفهمونه بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه

ولسانهما اعجمي يعلم من المغيرة بسماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان الاعجمي
وهذا عربي والقران كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم
الكثيرة التي في القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة
فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية
لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية
عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يصدقون انها من عند الله
لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم
في الاخرة هددهم على كفرهم بالقران بعدما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم
قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله لانهم
لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش
هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب
ايات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم
عنه دين ولا مروءة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر
بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من
اولئك او من الكاذبون او مبتدا خبره محذوف دل عليه قوله تعالى فعليهم غضب او
ذم مرفوع او منصوب او شرط محذوف الجواب الا من اكره على الافتراء او
كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه
مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق
بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم
غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا
اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين

ويجوز ان يكون من شرطية وان يكون من شرطية محذوف الجواب

ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا
وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله
ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه
فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان
عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان
الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين
فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في فقال انت ايضا
فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم
فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد
اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر
بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة بسبب انهم
اثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه
الى ما يوجب الايمان ولا يعصمهم من الزيغ اولئك الذين طبع الله على
قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم
الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب
لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى
بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا
كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرا ابن عامر فتنوا
بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا
ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من
بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم

ينعم عليهم مجازاة على ما عملوا بعده يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم
او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها
شأن غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم
لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها
مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة
كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف يأتيها رزقها اقواتها
رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله
بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر
واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له
كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار
الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي
هو وصف المعروف وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك
يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء
لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد
جاءهم رسول منهم فكذبوه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم
بعد ما ذكر مثلهم فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب
ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا
امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه
بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة
واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم

تقصدون بعبادة الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان لما امرهم بتناول
ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل
باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام
كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية وسياق الكلام و
تصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل كالسباع
والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق
بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقولوا هذا حلال و
هذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق
به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كأن
حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم ولذلك عد من فصيح
الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما
والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى
الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان
الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل
مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم
فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الآخرة وعلى الذين
هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما
ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا

الله غفور رحيم

بر عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة
ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل
بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على
الله وعلى غيره ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها من بعد التوبة
لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة إن ابرهيم كان أمة
لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا مفرقة في اشخاص كثيرة كقوله ليس من الله
بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل
فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره تزييف
مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده
مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من
أمه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون
بسيرته لقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما
باوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا
فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابرهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة
للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة
وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله وآتيناه في الدنيا حسنة
بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا
طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وإنه في الآخرة لمن الصالحين
لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد
وثم اما للتعظيم والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابرهيم اتباع الرسول صلعم ملته او
لتراخي ايامه أن اتبع ملة ابرهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق

وايراد

وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه وما كان
من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت فرض تعظيم
السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه على نبيهم وهم اليهود
امرهم موسى ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت
لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه
انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة
وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية
التي كفرت بانعم الله وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون
بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليهم
إلى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل
الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة و
العبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم
وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي أحسن بالطريقة التي
هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر
فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم إن ربك هو أعلم بمن
ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما
حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين
والمهتدين وهو المجازي لهم وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من شايعه بالدعوة الى ترك المخالفة ومراعاة العدل
مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفع العادات و
ترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه صلعم

لما رأى حمزة وقد مثّل به فقال والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلنّ بسبعين مكانك
فنزلت فكفّر عن يمينه وفيه دليل على أن للمقتص أن يماثل الجاني وليس له أن
يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وإن عاقبتم وتصريحا على الوجه
الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين أي الصبر خير من الانتقام
للمنتقمين ثم صرّح بالأمر به لرسوله صلى الله عليه وسلم لأنه أولى الناس به لزيادة علمه بالله
ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك إلا بالله إلا بتوفيقه وتثبيته
ولا تحزن عليهم على الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك
في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق هنا وفي النمل بالكسر
وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز أن يكون الضيق تخفيف ضيّق
إن الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في أعمالهم
بالولاية والفضل أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم أمره والذين هم محسنون
بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله
بما أنعم عليه في دار الدنيا وإن مات في يوم تلاها أو ليلته كان له من الأجر كالذي
مات وأحسن الوصية سورة بني إسرائيل مكية وقيل إلا قوله و
إن كادوا ليفتنونك إلى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا

سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الإضافة
ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه
بفعل متروك إظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد وأسرى
وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة
الإسراء ولذلك قرئ من الليل أي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام

بعينه لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم
واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق أو من الحرم وسماه المسجد الحرام لأن كله مسجد أو
لأنه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي أنه كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء
فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثّل لي النبيون فصليت بهم
ثم خرج إلى المسجد وأخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال
إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال إن قال لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال إني لأصدقه
على أبعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا إلى بيت المقدس فجلّي له
فطفق ينظر إليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا
فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها
جمل أورق فخرجوا يشتدون إلى الثنية فصادفوا العير كما أخبر ثم لم يؤمنوا
وقالوا ما هذا إلا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في أنه كان في
المنام أو في اليقظة بروحه أو بجسده والأكثر على أنه أسري بجسده إلى بيت المقدس
ثم عرج به إلى السموات حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه
والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي
كرة الأرض مائة ونيفا وستين مرة ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى
في أقل من ثانية وقد برهن في الكلام أن الأجسام متساوية في قبول الأعراض و
أن الله قادر على كل الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم
أو فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات إلى المسجد الأقصى بيت المقدس
لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لأنه
مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالأنهار والأشجار لنريه
من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس

وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه اي نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث الذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التورية وقتل شعياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء

وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود عليه السلام على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا متعلق بمحذوف هو بعثناهم ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان

الهدء السكون في
اهدأه فهدأ اي سكنه
فسكن منه

لم تقصد تقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال بمثل هذا ينتقم ربكم منكم
ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله قبل
ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرة
وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب
محمد صلعم وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير
وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا
القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي
ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على
ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه بشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او
على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر
على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل
دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته
وقيل المراد آدم عم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي
انه صلعم دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب
فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل
دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب
استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة الآية فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا و
جعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق

لا يقدرون م

كبيرا

واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق و
الاضاءة والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة
مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل
اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل
والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحونا آية الليل التي هي القمر حيث جعلناها
مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعلنا آية
النهار التي هي الشمس مبصرة جعلناها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا
فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به
الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين
والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والد
فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه
طائره عمله وما قدر له كأنه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا
يتيمنون ويتشأمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر
من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له
يوم القيمة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال
الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكررها لها ملكات ونصبه بانه
مفعول او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج
من خرج وغيره ويخرج وقرئ يخرج يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما
صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على
البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته

في الكشاف ان الرجل كان يخرج
مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر
سانحا تيمن وان مر بارحا تشأم
فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير
لما كان سببهما من قدر الله وقسمته
ومن عمل العبد الذي هو السبب في
الرحمة والنقمة ومنه قولهم طائر الله
لا طائرك اي قدر الله الغالب الذي
ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذي
تتشأم وتتيمن

لانه انما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من ضرب عليه
كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب
والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص **من اهتدى فانما**
يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا
يردي ضلاله سواه **ولا تزر وازرة وزر اخرى** ولا تحمل نفس حاملة وزرا
وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**
يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع **واذا**
اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا
السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة
امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على
ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل
على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله تعالى **ففسقوا فيها**
كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه
او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان
لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت
الشيء وآمرته فأمر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة
اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا و
رواية امّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من أمُر بالضم امارة اي جعلناهم
امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على
الفجور **فحق عليها القول** يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور
معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي **فدمرناها تدميرا** اهلكناها باهلاك

اهلها

اهلها وتخريب ديارها **وكم اهلكنا** وكثيرا اهلكنا **من القرون**
بيان لكم وتمييز له **من بعد نوح** كعاد وثمود **وكفى بربك بذنوب**
عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها
وتقديم الخبير لتقدم متعلقه **من كان يريد العاجلة** مقصورا عليها همه
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة
لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم
فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق
المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الآية في المنافقين
كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها
ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى
ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر به
لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص
وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة **فاولئك**
الجامعون للشرائط الثلث **كان سعيهم مشكورا** من الله اي مقبولا عنده
مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة **كلا** كل واحد من الفريقين والتنوين بدل
من المضاف اليه **نمد** بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه **هؤلاء و**
هؤلاء بدل من كلا **من عطاء ربك** من معطاه متعلق بنمد **وما كان**
عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على
الحال **وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا** اي التفاوت في الآخرة اكبر
لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها **لا تجعل مع الله الها آخر**

الخطاب للرسول والمراد امته او لكل احد **فتقعد** فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا عجز عنه **مذموما مخذولا** جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا **وقضى ربك** وامر امرا مقطوعا به **الا تعبدوا** بان لا تعبدوا **الا اياه** لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية **وبالوالدين احسانا** وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه **اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما** اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي يبلغان الالف فيه ضمير راجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك **فلا تقل لهما اف** فلا تضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذي بهما بعد الامر بالاحسان بهما **ولا تنهرهما** ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات **وقل لهما** بدل التافيف

مما يستقذر

والنهر

والنهر **قولا كريما** جميلا لا شراسة فيه **واخفض لهما جناح الذل** تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول **من الرحمة** من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس **وقل رب ارحمهما** وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما **كما ربياني صغيرا** رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما **ربكم اعلم بما في نفوسكم** من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا **ان تكونوا صالحين** قاصدين للصلاح **فانه كان للاوابين** للتوابين **غفورا** ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره **وآت ذا القربى حقه** من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم **والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا** بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه مر بسعد وهو يتوضا فقال ما هذا السرف فقال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار

إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين أمثالهم في الشرارة فإن التضييع والإتلاف شر أو أصدقاءهم وأتباعهم لأنهم يطيعونهم في الإسراف والصرف في المعاصي
روي أنهم كانوا ينحرون الإبل ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم في السمعة فنهاهم
الله عن ذلك وأمرهم بالإنفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا
مبالغا في الكفر به فما ينبغي أن يطاع وإما تعرضن عنهم وإن أعرضت
عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز أن يراد بالإعراض عنهم أن
لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار
رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيه أو منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق
من ربك ترجوه أن يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لأنه مسبب عنه ويجوز أن يتعلق
بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا أي فقل لهم قولا لينا ابتغاء
رحمة الله برحمتك عليهم بإجمال القول لهم والميسور من يسر الأمر مثل سعد الرجل
ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور مثل أغناكم الله ورزقنا الله
وإياكم ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان
لمنع الشحيح وإسراف المبذر نهى عنهما آمرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد
ملوما عند الله وعند الناس بالإسراف وسوء التدبير محسورا نادما
منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر إذا أبلغ منه وعن جابر رضي الله عنه بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه صبي فقال إن أمي تستكسيك درعا فقال من ساعة إلى ساعة
يظهر فعد إلينا فذهب إلى أمه فقالت قل إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك
فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروا للصلاة
فلم يخرج فأنزل الله ذلك ثم سلاه بقوله إن ربك يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما

تقصير ملوما

جالس

يرهقك من الإضاقة إلا لمصلحتك إنه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم
فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز أن يراد أن البسط والقبض من أمر الله العالم
بالسرائر والظواهر فأما العباد فعليهم أن يقتصدوا أو أنه تعالى يبسط تارة ويقبض
أخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وأن يكون
تمهيدا لقوله ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق مخافة الفاقة وقتلهم
أولادهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم أرزاقهم فقال نحن نرزقهم وإياكم
إن قتلهم كان خطئا كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع
النوع والخطء الإثم يقال خطئ خطئا كأثم إثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من أخطأ
يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وابن كثير خطاء بالمد
والكسر وهو إما لغة أو مصدر خاطأ وهو وإن لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله تخاطأه
القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب وهي مبني عليه وقرئ خطاء
بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا
بالعزم والإتيان بالمقدمات فضلا أن تباشروه إنه كان فاحشة فعلة ظاهرة
القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الأبضاع
المؤدي إلى قطع الأنساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق
إلا بإحدى ثلث كفر بعد الإيمان وزنا بعد إحصان وقتل مؤمن معصوم عمدا
ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي
يلي أمره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل
على من عليه أو بالقصاص على القاتل فإن قوله مظلوما يدل على أن قتل العمد عدوان
فإن الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف أي القاتل في القتل بأن يقتل من لا
يحق قتله فإن العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك أو الولي بالمثلة وقتل غير القاتل

هو وأدهم بناتهم

برواية ابن ذكوان

ويؤيده الاول قراة ابي فلا تسرفوا وقرا حمزه والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما **انه كان منصورا** علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الاخره بالثواب واما للولي فان الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف **ولا تقربوا مال اليتيم** فضلا ان تتصرفوا فيه **الا بالتي هي احسن** الا بالطريقة التي هي احسن **حتى يبلغ اشده** غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثنا **واوفوا بالعهد** بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره **ان العهد كان مسئولا** مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه يسال الناكث ويعاتب عليه او يسال العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا **واوفوا الكيل اذا كلتم** ولا تبخسوا فيه **وزنوا بالقسطاس المستقيم** بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لان العجمي اذا استعمله العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزه والكسائي وحفص بكسر القاف [7] **ذلك خير واحسن تاويلا** واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع **ولا تقف**[7] **ما ليس لك به علم** ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعيا او ظنيا واستعماله بهذا المعنى شايع وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البري بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا **ان السمع والبصر**

والفواد

[7] هنا وفي الشعراء

[7] ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة

والفواد كل اولئك اي كل هذه الاعضا فاجراها مجرى العقلا لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلا لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جا لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام **كان عنه مسئولا** في ثلاثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه للمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسال صاحبه عنه وهو خطا لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مواخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح **ولا تمش في الارض مرحا** اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت **انك لن تخرق الارض** لن تجعل فيها خرقا لشدة وطاتك **ولن تبلغ الجبال طولا** بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل النهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل **كل ذلك** اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس انها المكتوبة في الواح موسى **كان سيئه** يعني المنهي عنه فان المذكورة مامورات ومناهي وقرا الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله **عند ربك مكروها** بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى **ذلك** اشارة الى الاحكام المتقدمة **مما اوحى اليك**

ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله إلها آخر كرره للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه فإن من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه وأنه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه أولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله أفأصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للإنكار والمعنى أفخصكم ربكم بأفضل الأولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة إناثا بنات لنفسه وهذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم إنكم لتقولون قولا عظيما بإضافة الأولاد إليه وهي خاصة بعض الأجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل أنفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله أدونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز أن يراد بهذا القرآن إبطال إضافة البنات إليه على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم إلا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة إليه قل لو كان معه آلهة كما يقولون أيها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على أن الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب في الثاني على أن الأول مما أمر الرسول أن يخاطب به المشركين والثاني تنزيه منه إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا جواب عن مقالتهم الفاسدة والمعنى لطلبوا إلى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو بالتقرب إليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون

ابلغ

إلى ربهم الوسيلة سبحانه ينزهه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا كبيرا متعاليا أقصى غاية العلو عما يقولون فإنه في أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الإمكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بإمكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها المشركون لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لإسناده إلى ما يتصور منه اللفظ وإلى ما لا يتصور منه عليهما عند من جوز إطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر يسبح بالياء إنه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم أو مستورا عن الحس أو بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون أنهم لا يفهمون نفى عنهم أن يفهموا ما أنزل عليهم من الآيات بعدما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الأنفس والآفاق تقريرا وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة تكنها وتحول دونها عن إدراك الحق وقبوله أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه ويجوز أن يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أي منعناهم أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وإدراك اللفظ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال وأصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على أدبارهم نفورا هربا

حجابا

عن استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن
اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون
اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع
حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر
ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على
ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي سحر فذهب عقله وقيل الذي له سحر
وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا
لك الامثال مثلوك بالساحر والشاعر والكاهن والمجنون فضلوا
عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه فيتهافتون
ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا أإذا كنا
عظاما ورفاتا وحطاما أإنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار
والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل
في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر
او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم
اي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن
احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت
غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون
من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة
فسينغضون اليك رؤسهم فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون
متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر

او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم
يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء و
الاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة
والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون
التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين
عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور
كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني
المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا تخاشنوا المشركين
ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم يفضي
الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا
ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم وان يشأ يعذبكم تفسير
للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من
اهل النار فان ذلك يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما
ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك
مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا
في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلعم فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره الله
بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم
لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابو طالب نبيا و
ان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
بالفضائل النفسانية والتبرء عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع
حتى داود عم فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك قيل هو اشارة

الى تفضيل رسول الله صلعم وقوله تعالى وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله
وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض
يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور
لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة
بالضم فهو كالعباس او الفضل او لان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا
من الزبور فيه ذكر الرسول صلعم قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة
من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون
كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل
ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء
الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون
اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة ان عذاب
ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال
او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في
الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان
نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الايات التي اقترحتها قريش الا ان
كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود
وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت
به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر
بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة

بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ
بالفتح فظلموا بها فكفروا بها فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات
اي الايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا
نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وايات القران الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر
من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف
واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس
فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة
بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي
اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه
كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه
ان الاية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله
اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه قال لكأني انظر الى
مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش و
استسخروا منه وقيل رأى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو
القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله
تعالى الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة
في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها
قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجرة ولم يعلموا
ان من قدر ان يحمي وبر السمندر من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر
وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قادر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها و
لعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها

في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون
لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئ
بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم
بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوزا الحد
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا
لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول
اي خلقته وهو طين او منه اي ءاسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء
بعلة الانكار قال ارءيتك هذا الذي كرمت علي الكاف
لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني
محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له
لم كرمته علي لئن اخرتن الى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة
للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاستأصلنهم بالاغواء
الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها
ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها
من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب
قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه
فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب
على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا
مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله
او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز
واستخف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك

بدعائك

بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك
ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله
اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على
من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم
وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه و
جمعك الرجل وقرئ رجالك ورجّالك وشاركهم في الاموال بحملهم على
كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل
الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على
الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة
كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل وما يعدهم
الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بما
يوهم انه صواب ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة
وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم
الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله هو الذي يجري الربح
وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم
ما تحتاجون اليه وسهل لكم ما تعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر
خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم
الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه
او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم
عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي
فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض

أفأمنتم الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم
فحملكم ذلك على الإعراض فإن من قدر أن يهلككم في البحر بالغرق قدر أن يهلككم في البر
بالخسف وغيره أن يخسف بكم جانب البر أن يقلبه الله وأنتم عليه
أو يقلبه بسببكم فبكم حال أو صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون في
الأربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على أنهم لما وصلوا الساحل كفروا و
أعرضوا وأن الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من أسباب
الهلاك أو يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب أي ترمي بالحصباء ثم لا
تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فإنه لا راد لفعله أم أمنتم
أن يعيدكم فيه في البحر تارة أخرى بخلق دواع تلجئكم إلى أن ترجعوا
فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء إلا قصفته أي كسرته
فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على إسناده إلى ضمير الريح بما كفرتم بسبب
إشراككم أو كفرانكم نعمة الإنجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا
يتبعنا بانتصار أو صرف ولقد كرمنا بني آدم بحسن الصورة
والمزاج الأعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والإفهام بالنطق والإشارة
والخط والتهدي إلى أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الأرض و
التمكن من الصناعات وانسياق الأسباب والمسببات العلوية والسفلية إلى ما يعود
عليهم بالمنافع إلى غير ذلك مما يقف الحصر دون إحصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس
وهو أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده
وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا إذا جعلت
له ما يركبه أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الأرض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم
من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم

على

على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء أو بالشرف والكرامة
والمستثنى جنس الملائكة أو الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل
بعض أفراده والمسألة موضع نظر وقد أول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعو
نصب بإضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على
قلب الألف واوا في لغة من يقول أفعو في أفعى أو على أن الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى وأسروا
النجوى الذين ظلموا أو ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فإنها
ليست إلا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل أناس بإمامهم بمن
ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب أعمالهم التي قدموها
فيقال يا صاحب كتاب كذا أي ينقطع علقة الأنساب وتبقى نسبة الأعمال وقيل بالقوى
الحاملة لهم على عقائدهم وأفعالهم وقيل بأمهاتهم جمع أم كخف وخفاف و
الحكمة في ذلك إجلال عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا
فمن أوتي من المدعوين كتابه بيمينه أي كتاب عمله فأولئك
يقرءون كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا
ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء وجمع اسم الإشارة والضمير لأن من أوتي في
معنى الجمع وتعليق القراءة بإيتاء الكتاب باليمين يدل على أن من أوتي كتابه بشماله
إذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم
مع أن قوله تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى أتم مشعر بذلك
فإن الأعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب لا يبصر رشده كان
في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة وأضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد
وفقدان الآلة والمهلة وقيل لأن الاهتداء بعد لا ينفعه والأعمى مستعار من فاقد
الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالأجهل والأبله ولذلك لم يمله أبو عمرو

ويعقوب فإن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم المتوسط كما في أعمالكم بخلاف
النعت فإن ألفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للإمالة من حيث إنها تصير
ياء في التثنية وقد أمالهما حمزة والكسائي وأبو بكر **وإن كادوا ليفتنونك** نزلت
في ثقيف قالوا لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر
ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع
عنا وأن تمتعنا باللات سنة وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة فإن قالت العرب
لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم
بآلهتنا وتمسها بيدك وإن هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى إن الشأن قاربوا
بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة بالاستنزال **عن الذي أوحينا إليك** من الأحكام
لتفتري علينا غيره غير ما أوحينا إليك **وإذا لاتخذوك خليلا**
ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي **ولولا أن ثبتناك**
ولولا تثبيتنا إياك **لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا** لقاربت أن تميل
إلى اتباع مرادهم والمعنى أنك كنت على صدد الركون إليهم لقوة خدعهم وشدة
احتيالهم لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب من الركون فضلا عن أن تركن إليهم
وهو صريح في أنه صلى الله عليه وسلم ما هم بإجابتهم مع قوة الدواعي إليها ودليل على أن العصمة
بتوفيق الله وحفظه **إذا لأذقناك** أي لو قاربت لأذقناك **ضعف
الحيوة وضعف الممات** أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب
به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لأن خطأ الخطير أخطر وكان أصل الكلام عذابا
ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف
وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من أسماء العذاب
وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر **ثم لا تجد**

لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك **وإن كادوا** وإن كاد أهل مكة
ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم **من الأرض** أرض مكة **ليخرجوك
منها وإذا لا يلبثون خلفك** ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك
إلا قليلا إلا زمانا قليلا وقد كان كذلك فإنهم أهلكوا ببدر بعد هجرته
بسنة وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا
الشام مقام الأنبياء فإن كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج
مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة وأجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا
منصوبا بإذن على أنه معطوف على جملة قوله وإن كادوا ليستفزونك لا على
خبر كاد فإن إذن لا يعمل إذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكأنما
بسط الشواطب بينهن حصيرا **سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا**
نصب على المصدر أي سن الله ذلك سنة وهو أن يهلك كل أمة أخرجوا رسولهم
من بين أظهرهم فالسنة لله وإضافتها إلى الرسل لأنها من أجلهم ويدل عليه **ولا
تجد لسنتنا تحويلا** أي تغييرا **أقم الصلوة لدلوك الشمس** لزوالها
ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل
لغروبها وأصل التركيب للانتقال ومنه الدالك فإن الدالك لا يستقر يده وكذا
كل ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك
لأن الناظر إليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها في لثلث
خلون **إلى غسق الليل** إلى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الأخيرة
وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرآنا لأنه ركنها كما سميت ركوعا
وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوز

الموتها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على
الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قرآن الفجر كان مشهودا تشهده
ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم
الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير
والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها
ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى
غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى
غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة
والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة
او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن
كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة انه صلى الله عليه قال
هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه
وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك
مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام
وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا
مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا
ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة
ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه
سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل
ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح

على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر
فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في
الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب
وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا
غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما
فجعل ينكث بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل
فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال
يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي
للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي
من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد
الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان
بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد
بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من
عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر وناء على القلب او على انه بمعنى نهض واذا
مسه الشر من مرض او فقر كان يئوسا شديد اليأس من
روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته
التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد
فسر الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسئلونك عن الروح

ز رواية ابن ذكوان ممالة و
فصلت صح
ذ امال الكسائي وخلف فتحة النون و
الهمزة في السورتين وامال خلف فتحة
الهمزة فيهما فقط وامال ابو بكر فتحة الهمزة
هنا واضجع فتحتيهما في فصلت كذا
اضجع زداه ابل ١٢م

الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره **قل الروح من امر ربي** من الابداعيات
الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث
بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روي
ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح
فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي
فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل الروح جبرئيل
وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القران ومن امر ربي معناه من وحيه **وما
اوتيتم من العلم الا قليلا** تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب
العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات
ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا
من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض
تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام في جواب
وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا
انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة
تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان
ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان
تعلم من الخير والحق ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده
وهو بالاضافة الى معلومات الله تعالى التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين
وهو بالاضافة اليه كثير **ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك**
اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى
ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن المصاحف والصدور **ثم لا تجد**

لك به

لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا **الا
رحمة من ربك** فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون
استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا
بابقائه بعد المنة في تنزيله **ان فضله كان عليك كبيرا** كارساله
وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه **قل لئن اجتمعت الانس والجن على
ان ياتوا بمثل هذا القران** في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى **لا ياتون
بمثله** وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف
دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا
كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم **ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا** ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر
الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة لانهم كانوا وسائط في اتيانه
ويجوز ان تكون الاية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا **ولقد صرفنا
للناس في هذا القران** كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان
من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس
فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت
الا زيدا لانه متأول بالنفي **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من
الارض ينبوعا** تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القران
وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة
والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر
او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها او تكون لك
بستان يشتمل على ذلك **او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا** يعنون قوله تعالى

تفجيرا

أو يسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وأبو عمرو
وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن إلا في الروم وابن عامر إلا في هذه السورة
ونافع وأبو بكر في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو إما مخفف من المفتوح كسدر
وسدرا أو فعل بمعنى مفعول كالطحن. أو تأتي بالله والملائكة قبيلا
كفيلا بما تدعيه أي شاهدا على صحته ضامنا لدركه أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر
وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله
فإني وقيار بها لغريب أو جماعة فيكون حالا من الملائكة أو يكون لك
بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به وأصله الزينة أو ترقى في
السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل
علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي
تعجبا من اقتراحاتهم أو تنزيها لله من أن يأتي أو يتحكم عليه أو يشاركه أحد في القدرة
هل كنت إلا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل
وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن
أمر الآيات إليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله حتى تخيرتها علي هذا هو الجواب المجمل
وأما التفصيل فقد ذكر في آيات أخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى
أي وما منعهم الإيمان بعد نزول الوحي وظهور الحق إلا أن قالوا أبعث
الله بشرا رسولا إلا قولهم هذا والمعنى أنه لم يبق لهم شبهة تمنعهم
عن الإيمان بمحمد صلعم والقرآن إلا إنكارهم أن يرسل الله بشرا قل جوابا
لشبهتهم لو كان في الأرض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم
مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا

لتمكنهم

لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه وأما الإنس فعامتهم عماة عن إدراك الملك والتلقف منه
فإن ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل أن يكون حالا من رسولا
وأن يكون موصوفا به وكذلك بشرا والأول أوفق. قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم على أني رسول إليكم بإظهار المعجزة على وفق دعواي أو على أني
بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال أو التمييز إنه كان بعباده
خبيرا بصيرا يعلم أحوالهم الباطنة والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية
للرسول صلعم وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل
فلن تجد لهم أولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
يسحبون عليها أو يمشون بها روي أنه قيل لرسول الله صلعم كيف يمشون على وجوههم
قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم
عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم لأنهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا
عن استماع الحق وأبوا أن ينطقوا بالصدق ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من
الموقف إلى النار مؤوفي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت
سكن لهيبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بأن
نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كأنهم لما كذبوا بالإعادة
بعد الإفناء جزاهم بأن لا يزالون على الإعادة والإفناء وإليه أشار بقوله ذلك
جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا
لمبعوثون خلقا جديدا لأن الإشارة إلى ما تقدم من عذابهم أولم يروا أولم يعلموا
أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم فإنهم ليسوا
أشد خلقا منهن ولا الإعادة أصعب عليه من الإبداء وجعل لهم أجلا لا ريب فيه
هو الموت أو القيامة فأبى الظالمون مع وضوح الحق إلا كفورا إلا جحودا

قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه
مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفايدة هذا
الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم
خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار
النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة
الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا
بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل
والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على
بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلثة الاخيرة وعن
صفوان ان يهوديا سأل النبي صلعم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا
تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا
تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة و
لا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي
يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرايع
سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة و
الشقاوة وقوله صلعم وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستانف زايد على
الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم
فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة
رسول الله صلعم فسأل على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش و اذ متعلق بقلنا
او سل على هذه القراءة او فسأل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون

بينات

اذ جاءهم

اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى
بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة
يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار
يخبروك على انه جواب لاعتراض او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون
اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت
يا فرعون وقرا الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات
الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند
وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير
مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه
وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى عليه السلام يحوم حول اليقين
من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام
الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وان
ينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال
فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق
وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض
التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحيوة او الساعة
او الدار الاخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم
ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبايل شتى وبالحق
انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق
المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء
الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين

فلعله اراد بفرعون الشيطان لها اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا
للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرانا
فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار
كما في قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف
عشرين سنة لتقراه على الناس على مكث على مهل وتوده فانه ايسر
للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالضم وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب
الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا و
امتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله
تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قراوا
الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق
والمبطل او راوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا
لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث
بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان
سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز وعده في
تلك الكتب ببعثة محمد صلعم على فترة من الرسل وانزال القران عليه ويقولون
سبحان ربنا عن خلف الموعد ان كان وعد ربنا لمفعولا
انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف
الحال والسبب فان الاول للشكر وعند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ
القران حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه
الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القران خشوعا
كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين